سلسلة النبي والعترة

عالم آل محمد

الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام

فوزي آل سيف

دار المحجة البيضاء

عالم آل محمد
الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام

الرويس - خلف محفوظ ستورز بناية رمال

هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ - ٠١/٥٤١٢١١
ص.ب: ٥٤٧٩ / ١٤ - E-mail:almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com / info@daralmahaja.com

عالم آل محمد
الإمام علي بن موسى
الرضا عليه السلام

فوزي آل سيف

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدِّمة

1 ـ أحتمل أن قَدْرًا من الاستغراب سيرافق نظرة الناظر إلى عنوان الكتاب: (**عالم آل محمد؛ الإمام علي بن موسى الرضا**) وذلك طبيعي فيما أعتقد؛ لأن الصورة النمطية التي تشكّلت عن الإمام الرضا في أذهان الكثيرين تقتضي أن يكون الحديث مثلًا عن حياته السياسية في البلاط العباسي أو ما يُستفاد منه في المشاركة السياسية بين المعارضين والحاكمين (مع أننا لا نعتقد أنه كان في الأمر مشاركة سياسية بالمعنى الذي يفهمه المعاصرون)، أو تحليل أسباب وظروف قبول ولاية العهد، أو ما شاكل ذلك. وكأن كلَّ ذلك يقول إن حياة الإمام الرضا هي سياسيةٌ فينبغي الحديث عنها أو عن دروسها المستفادة.

وربما يقول البعض إن هذا العنوان أنسب بالإمام محمد الباقر أو بابنه الإمام جعفر الصادق عليهما السلام.

نؤكد أن تلك الصورة النمطية ليست بالضرورة هي الصورة الصحيحة، أو ليست الصورة الكاملة.

فإن الملاحظ لحياة الإمام عليٍّ الرضا عليه السلام سيرى أن أغلب حياته كانت في اتجاه نشر علوم آبائه وأجداده، فقد تصدى لهذا منذ كان من أبناء العشرين من العمر، واستمر فيه إلى أن استشهد، أي أن هناك خمسًا وثلاثين سنة هي التي انشغل فيها بهذا الجانب العلمي، ولم ينشغل في المقابل بالأمر السياسي ـ كما ينشغل الحاكمون بل وحتى المعارضون ـ بنفس المقدار ولا بجزء منه.. وبالنسبة لكتابنا هذا فقد أخذ الفصل الخاص بعنوان (عالم آل محمد) مع اختصاره، قرابة ثلث الكتاب.

والأهم من ذلك هو أن هذه التسمية هي من المعصومين، ولعله الوحيد بينهم عليهم السلام الذي أطلق عليه هذا اللقب من قِبل إمامين معصومين؛ الإمام جعفر الصادق وابنه موسى الكاظم، فإنهما عليهما السلام قد لقباه به، كما سيأتي في الصفحات القادمة.

2 ـ سيلحظ القارئ العزيز والعزيزة القارئة أن كثيرًا من الأخبار والروايات المرتبطة بحياة الإمام الرضا عليه السلام قد اعتمدنا في نقلها على كتاب الشيخ الصدوق محمد بن علي بن بابويه، عيون أخبار الرضا عليه السلام؛ وذلك راجع لعدة جهات:

الأولى: لجهة المؤلف فالشيخ الصدوق رحمه الله كان من المرتبة العلمية والعملية بحيث يعبّر عنه النجاشي في كتابه «شيخنا

وفقيهنا، ووجه الطائفة بخراسان، وكان ورد بغداد سنة خمس وخمسين وثلاث مئة، وسمع منه شيوخ الطائفة وهو حدث السن».

وقال شيخ الطائفة الطوسي واصفًا إيّاه: «محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي: جليل القدر، يكنى أبا جعفر، كان جليلًا، حافظًا للأحاديث، بصيرًا بالرجال، ناقدًا للأخبار، لم يُرَ في القميين مثله في حفظه وكثرة علمه، له نحو من ثلاثمائة مصنف».

وبعد أن ذكر السيد الخوئي ﵀ ما روي من أن ولادة الشيخ الصدوق بدعاء الإمام الحجة ﵇.. قال:

أقول: يظهر من الرواية الأخيرة أن قصة ولادة محمد بن علي بن الحسين بدعاء الإمام ﵇ أمر مستفيض معروف متسالم عليه، ويكفي هذا في جلالة شأنه، وعظم مقامه، كيف لا يكون كذلك وقد أخبر الإمام ﵇ أن والده يرزق ولدين ذكرين خيرين، على ما تقدم من النجاشي في ترجمة أبيه علي بن الحسين، وأنه يرزق ولدًا مباركًا ينفع الله به، كما في رواية الشيخ الأولى، وأنه يرزق ولدين فقيهين، كما في رواية الشيخ الثانية، وإني لواثق بأن اشتهار محمد بن علي بن الحسين بالصدوق، إنما نشأ من اختصاصه بهذه الفضيلة التي امتاز بها عن سائر أقرانه وأمثاله،

ولا ينبغي الشك في أن ما ذكره النجاشي والشيخ من الثناء عليه والاعتناء بشأنه مغن عن التوثيق صريحًا، فإن ما ذكراه أرقى وأرفع من القول بأنه ثقة.

وعلى الجملة فعظمة الشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين من الاستفاضة بمرتبة لا يعتريها ريب»[1]. ويكفي هذا المقدار من الكلمات لبيان منزلته العلمية وإحاطته بالأحاديث وخبرته فيها.

والثانية: لجهة تاريخ الكتاب الذي دُوِّن في وقت قريب من حوادث ووقائع الإمام الرضا عليه السلام، فإنه يفترض أن الصدوق قد ألّف كتاب «عيون أخبار الرضا»، هدية للصاحب إسماعيل بن عباد (ت385هـ) كما يظهر ذلك من مقدمة الكتاب ، وقد احتمل بعضهم أن يكون وقت تأليفه بحوالي سنة 365هـ. وبناء عليه يكون بينه وبين أحداث ولاية عهد الإمام الرضا عليه السلام ثم شهادته حوالي 165 سنة وهي مدة ليست بالطويلة، بل يكفي فيها أن يروي في كثير من الحالات عن ثلاثة رواة ليصل إلى الطرف الأخير في السند. وهذا ما يعطي الخبر والرواية مصداقية أكبر في أصل نقلها وفي تفاصيله حيث لم يمر الخبر على كثير من الرواة.

والثالثة: أنه يختلف عن كثير من كتب التاريخ في أن أخباره مسندة مما يمكن الباحث أن ينظر إلى السند ويستطيع التحقيق

(1) الخوئي؛ أبو القاسم: معجم رجال الحديث 17: 341.

في رجاله، وبهذا يكتسب ميزة كبيرة على الكثير من الكتب حتى تلك التي ألفها علماء بارعون كالشيخ المفيد رضوان الله عليه في الإرشاد، فمع أن الفاصلة بين الشيخين الصدوق (ت 381) والمفيد (413هـ) رحمهما الله ليست طويلة إلا أن الفاصلة بين الكتابين كبيرة جدًّا لصالح كتاب الصدوق.

كما أن تركيز الكتاب على (أخبار الإمام الرضا) والعيون منها خاصة في مجلدين كبيرين، يمكِّن الباحث من أخذ نظرة كلية عن حياته بل وتفصيلية عن سيرته صلوات الله عليه. وهذا ما قد لا يتوفر في سائر الكتب التي تؤرخ لحياة الإمام عليه السلام.

3 ـ أشكر الأخوات (والإخوة) اللاتي ساهمن في إنجاز هذا الكتاب وأسأل اللَّه سبحانه لهن ولهم الأجر الكبير، كما أهدي ثوابه إلى والديّ وأسرتي الكريمة التي تساعدني بشكل فعال على التفرغ للكتابة والبحث، سخية بوقت كان ينبغي أن يصرف معها، فلهم من اللَّه الأجر ولهم مني الامتنان والشكر.

فوزي بن المرحوم
محمد تقي آل سيف
1443/4/24هـ
تاروت ـ القطيف

الهوية الشخصية للإمام

الاسم: علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.

الوالدة: تُكتَم، نجمة.

العمر: 55 سنة.

الكنية: أبو الحسن.

اللقب: الإمام، الرضا، عالم آل محمد.

الولادة: سنة 148 هـ - المدينة المنورة.

الوفاة: شهيدًا بالسم سنة 203 هـ.

المدفن: مشهد - إيران.

الإمام الرضا
من الميلاد إلى الاستشهاد

في شهر ذي القعدة[1] سنة 148هـ على الأكثر وفي المدينة المنورة، كانت ولادة الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، ومع أنه لم يكن أكبر أبناء أبيه الكثيرين إلا أن موقعه كان متميّزًا بينهم، وذلك لما علمه أبوه منه، فكان أنْ أكثر الإشارة إلى فضله، ولزوم أخذهم عنه والانبعاث إلى طاعته.

فإنه بعد ولادته وبعد أن أجرى عليه السنن المستحبة من الأذان والإقامة في أذنه اليمنى واليسرى «أَعْطَاهُ أُمَّهُ نَجْمَةَ وَقَالَ خُذِيهِ فَإِنَّهُ بَقِيَّةُ اَللَّهِ عَزَّ وجَلَّ فِي أَرْضِهِ»[2].

(1) قد يكون في كلام الإمام الصادق عليه السلام (وليتني أدركته) إشارة إلى أنه عليه السلام سيكون قد قضى قبل ولادة حفيده الإمام الرضا، فإن المشهور أن شهادة الإمام الصادق كانت في شهر رجب أو في شوال من سنة 148هـ وعلى كلا التقديرين فإنها قبل ولادة الإمام الرضا.

(2) المجلسي؛ المولى محمد باقر: بحار الأنوار 49/ 11 ونجمة أحد أسماء والدته المكرمة كما سيأتي. ونص الخبر عنها هكذا: «فدخل إليّ أبوه موسى بن جعفر عليه السلام فقال لي: هنيئًا لك يا نجمة كرامة ربك، فناولته إياه في خرقة بيضاء فأذّن في أذنه اليمنى، وأقام في اليسرى ودعا بماء الفرات فحنكه به، ثم رده إليَّ وقال: خذيه فإنه بقية الله تعالى في أرضه..

والدة الإمام الرضا:

هي أم ولد[1] تذكر لها أسماء متعددة فبالإضافة إلى ما ورد في الرواية السابقة وفي الرواية[2] التي ذكر جابر بن عبد الله الأنصاري فيها أسماء الأئمة وأمهاتهم المذكورة في لوح كان عند فاطمة الزهراء عليها السلام حيث ورد فيها (أَبُو اَلْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى اَلرِّضَا أُمُّهُ جَارِيَةٌ اِسْمُهَا نَجْمَةُ)، فقد تسمى تُكتَم (بالمبني للمجهول بمعنى أنها تُستَر وتُخفَى) وقد ورد هذا الاسم في بعض الشعر الذي مدح به الإمام الرضا[3]، وكذلك قيل بأن الإمام الكاظم عليه السلام كان يخاطبها بعدما ولدت ابنه عليًّا الرضا بالطاهرة.

وربما يكون تعدد الأسماء راجعًا إلى مراحل زمنية كأن تكون قبل مجيئها إلى بيت الإمام عليه السلام معروفة باسم معيّن فإذا جاءت إلى بيته غُير اسمها لاسم آخر، أو بحسب ملاحظة بعض صفاتها وإظهار تلك الصفات، كما ذكر في سر تسميتها بالطاهرة أنها بعدما وضعت ابنها الإمام الرضا عليه السلام.

(1) هي الجارية تُملك ويواقعها مالكها بملك اليمين فإذا أنجبت منه ومات عنها انعتقت وأصبحت حرة من نصيب ابنها في الميراث. وقد ذكرنا في كتابنا (كاظم الغيظ: الإمام موسى بن جعفر) فلسفة هذا التشريع، وسر إقبال المعصومين على أخذ أمهات الأولاد في النكاح.

(2) الطبرسي؛ أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب: الاحتجاج 2/ 3733.

(3) نسب لعم أبي العباس الصولي:

ألا إن خير الناس نفسًا ووالدًا ... ورهطًا وأجدادًا عليٌّ المعظمُ
أتتنا به للعلم والحلم ثامنًا ... إماما يؤدي حجة اللّه تُكتَمُ

وقد ذكرنا في موضع آخر في حياة المعصومين عليهم السلام، بعض الجهات التي نستطيع أن نفهمها من كون أمهات الأئمة المعصومين بدءًا من الإمام الكاظم عليه السلام، وإلى الإمام المهدي جواريَ و (أمهات أولاد)، وارتباط هذا الأمر بالمهمة العامة التي يسعى الأئمة لها في تغيير المجتمع المسلم وتحريره من النظرات العنصرية والطبقية، وأفكار العلوّ العربي على سائر الأمم.. فليراجع في موضعه[1].

نص الإمام الكاظم على ابنه الرضا:

بين إخوته وأخواته الكثيرين[2] تربى على يد والده الإمام موسى محاطًا بعنايته الكبرى، إذ هو الوارث لعلمه ودوره، والوصي من بعده والقائم بالأمر بعد رحيله وكان الإمام موسى الكاظم يخبر عن ذلك إخوة الرضا، وأسرة بني هاشم وأصحابه وشيعته، تمهيدًا لإمامة الرضا وقطعًا للطريق على من يطمح فيها من غير استحقاق إلهي.

وقد ابتدأ هذا الاهتمام من أدوار الطفولة في حياة الإمام علي الرضا عليه السلام فها هو المفضل بن عمر الجعفي يقول: «دخلت على أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام وعليٌّ ابنه عليه السلام في حجره وهو

(1) آل سيف؛ فوزي: كاظم الغيظ الإمام موسى بن جعفر ص 15.

(2) ذكرنا في الكتاب السابق بأن عدد أولاد الإمام موسى بن جعفر (بنين وبنات) نحو سبعة وثلاثين.

يقبله ويمص لسانه، ويضعه على عاتقه ويضمه إليه ويقول: بأبي أنت ما أطيب ريحك وأطهر خلقك وأبين فضلك! قلت: جعلت فداك لقد وقع في قلبي لهذا الغلام من المودة ما لم يقع لأحد إلّا لك، فقال لي: يا مفضل هو مني بمنزلتي من أبي عليه السلام ﴿ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[1] قال: قلت: هو صاحب هذا الأمر من بعدك؟ قال: نعم من أطاعه رشد ومن عصاه كفر»[2].

وفي هذا الإطار كان والده يتعامل معه بطريقة خاصة أشار إليها بعض الرواة بقوله: قال: «كان موسى بن جعفر عليهما السلام ولده عليًّا عليه السلام: الرضا وكان يقول: ادعوا لي ولدي الرضا وقلت لولدي الرضا، وقال لي ولدي الرضا وإذا خاطبه قال: يا أبا الحسن»[3].

وفوق هذا كان قد نص صراحة في مواضع، وإشارة في مواضع أخر، ومع ملاحظة التقية أحيانًا على إمامته ووجوب طاعته، حتى عرف ذلك عنه أقاربه وأصحابه، فقد دخل محمد بن إسماعيل بن

(1) آل عمران: 34.

(2) المجلسي؛ بحار الأنوار 49/ 23، عن عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق: أبي، عن سعد، عن البرقي، عن أبيه، عن عبد الله بن عبد الرحمن عن المفضل. والكفر هنا بمعنى المخالفة العملية للواجب الإلهي مثل ما جاء في الحج ﴿مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ﴾[آل عمران: 97]. ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ﴾.

(3) بن بابويه؛ محمد بن علي (الشيخ الصدوق): عيون أخبار الرضا عليه السلام 1/ 23: الدقاق، عن الأسدي، عن سهل، عن عبد العظيم الحسني، عن سليمان بن حفص.. وفي هذا ما يشير إلى تخطئة القول الذاهب إلى أن تلقيبه بالرضا كان من جهة المأمون العباسي وأن ذلك بسبب تراضيهم على ولايته للعهد، فإن نداء أبيه إياه بالرضا يفترض أنه كان في زمان هارون وقبل شهادة الإمام موسى سنة 183 هـ في حين كانت ولاية العهد ما بعد سنة 200هـ.

الفضل الهاشمي على الإمام الكاظم وقد اشتكى (من المرض) شكاية شديدة، فقال له: إن كان ما أسأل الله أن لا يُريناه (يعني وفاة الإمام) فإلى مَن؟ قال: «إلى عليٍّ ابني، وكتابه كتابي، وهو وصيي وخليفتي من بعدي»[1].

وأما ما كان على سبيل الإشارة، لمن يفهمها فهو كثيرٌ جدًّا، فها هو يجمع «سبعة عشر رجلًا من وِلد علي وفاطمة صلوات الله عليهما فأشهدنا لعلي ابنه بالوصية والوكالة في حياته وبعد موته، وأن أمره جائز عليه وله».

ولذلك قال محمد بن زيد (الهاشمي): والله يا حيدر لقد عقد له الإمامة اليوم، وليقولن الشيعة به من بعده، قال حيدر بن أيوب: قلت بل يبقيه الله وأي شيء هذا؟ قال: يا حيدر إذا أوصى إليه فقد عقد له الإمامة»[2]!

ومن ذلك ما كان في محيط أوسع حيث أنه أوصى إليه وكتب له كتابًا اشهد فيه ستين رجلًا من وجوه أهل المدينة[3]. وفي نص آخر في المصدر نفسه «أقام لنا أبو الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام

(1) ابن بابويه الصدوق: عيون أخبار الرضا عليه السلام 1/ 31 أبي عن الحسن بن عبد الله بن محمد بن عيسى، عن أبيه، عن الخشاب عن محمد بن الأصبغ، عن أحمد بن الحسن الميثمي..

(2) المصدر السابق 1/ 37.

(3) المصدر السابق/ 37.

ابنه عليًّا عليه السلام كما أقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليًّا عليه السلام يوم غدير خم فقال: يا أهل المدينة أو قال: يا أهل المسجد هذا وصيي من بعدي».

ومثل ذلك ما فهمه هشام بن الحكم وهو المتبحر في علم الكلام من إشارة الإمام عليه السلام، بينما لم يفهمها علي بن يقطين ناقل الخبر بتمامها، يقول حسين بن نعيم الصحاف: كنت أنا وهشام بن الحكم وعلي بن يقطين ببغداد فقال علي بن يقطين: «كنت عند العبد الصالح موسى بن جعفر عليه السلام جالسًا فدخل عليه ابنه الرضا عليه السلام فقال: يا عليُّ هذا سيد ولدي وقد نحلته كنيتي! فضرب هشام براحته جبهته ثم قال: ويحك كيف قلت؟ فقال علي بن يقطين: سمعت والله منه كما قلت لك، فقال هشام: أخبرك والله أن الأمر فيه من بعده»[1].

وكلما اشتد الأمر من الناحية السياسية سارع الإمام الكاظم عليه السلام في تبليغ إمامة ابنه عليٍّ الرضا للناس، حتى كان يجيب من يسأل ويبادر من لا يسأل، فقد قال ليزيد بن سليط الزيدي في حديث طويل: «يا يزيد إني أؤخذ في هذه السنة وعليٌّ ابني سمي عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام وسمي عليٍّ بن الحسين عليهما السلام أعطي فهم الأول

(1) المصدر السابق/ 32: ابن الوليد، عن الصفار، عن عبد الله بن محمد بن عيسى، عن ابن محبوب وعثمان بن عيسى، عن حسين بن نعيم.

وحلمه ونصره ووده ودينه، ومحنة الآخر وصبره على ما يكره وليس له أن يتكلم إلا بعد هارون بأربع سنين فإذا مضت أربع سنين فسله عما شئت يجبك إن شاء الله تعالى»[1].

ومن رجع إلى الروايات المباشرة والصريحة في ذكر إمامته، أو غير المباشرة والمتنوعة في ذلك سيراها كثيرة للغاية، ويشهد لذلك ما ذكره في البحار ناقلاً عن عيون أخبار الرضا، وغيره فقد بلغت من الكثرة حدًّا كبيرًا. ولعل ذلك راجع إلى أنه سيواجه مشاكل في هذا الجانب، منها ما يرتبط بنزاع بعض إخوته إيّاه، ومنها ما سيقوم به زعماء الواقفة ـ وسيأتي حديث خاص عنهم ـ ومنها التخوف من سلطة هارون العباسي!

فكان يفترض أن كثرة هذه الروايات وتنوعها في أساليب بيان إمامته، بين صريحة ومشيرة، سوف تسهم في تخفيف تلك المشاكل وقطع الطريق على التوجهات المنحرفة.

تصديه للإمامة:

لم ينتظر الإمام الرضا عليه السلام شهادة أبيه الكاظم عليه السلام ليمارس دور التوجيه والإرشاد، والتصدي لبث المعارف الدينية، بل كان يمارس ذلك وهو في حوالي العشرين من العمر (أي حوالي سنة

(1) الكليني؛ محمد بن يعقوب (ثقة الإسلام): الكافي1/ 363.

168هـ) في حين كانت شهادة أبيه الكاظم في سنة 183هـ، وهناك روايات تشير إلى أن العلماء في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا أعياهم جواب مسألة توجهوا فيها إلى علي بن موسى الرضا[1].

واستمر على هذا الحال خصوصًا مع اعتقال والده الإمام موسى في سنة 179هـ وإشخاصه من المدينة إلى البصرة أولًا ثم إلى بغداد، حتى استشهد بعد أربع سنوات، وذلك أنه أصبح ملجأ شيعة أهل البيت في قضاياهم وأمورهم الدينية.

ولم تؤثر شهادة أبيه على يد هارون الرشيد العباسي وفي سجنه في أمر تصديه لما يقتضيه منصب إمامته الدينية، مع أن رأس البرامكة كما في بعض الروايات[2] قد اقترح على هارون، أن يقدم على قتل الإمام الرضا بعد أبيه موسى الكاظم، إلا أن هارون لم يفعل ذلك مع أنه عرف بالشراسة مع من يعتبرهم أعداءه ومخالفيه.

(1) الطبرسي؛ أبو علي الفضل بن الحسن: إعلام الورى بأعلام الهدى2/ 64 عن أبي الصلت الهروي قال: ولقد سمعت علي بن موسى الرضا عليه السلام يقول: «كنت أجلس في الروضة والعلماء بالمدينة متوافرون، فإذا أعيا الواحد منهم عن مسالة أشاروا إليَّ بأجمعهم وبعثوا إليَّ بالمسائل فأجيب عنها».

(2) الصدوق: عيون أخبار الرضا 2/ 246 بسنده عن صفوان بن يحيى قال: لما مضى أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام وتكلم الرضا عليه السلام خفنا عليه من ذلك فقلت له: إنك قد أظهرت أمرًا عظيمًا وإنا نخاف من هذا الطاغي فقال ليجهد جهده فلا سبيل له عَليَّ! قال صفوان: فأخبرنا الثقة أن يحيى بن خالد (البرمكي) قال للطاغي: هذا علي ابنه قد قعد وادعى الأمر لنفسه! فقال: ما يكفينا ما صنعنا بأبيه! تريد أن نقتلهم جميعا!. ولقد كانت البرامكة مبغضين على بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مظهرين لهم العداوة.

وربما يكون ذلك لأن قتل الإمام الكاظم كان أشبه بالفضيحة الكبرى بالنسبة له، أو لغير ذلك من الأسباب!

وفي هذا الظرف فقد استغرب بعض شيعة الإمام عليه السلام منه تصديه للإمامة مع كون سيف هارون لا يزال يقطر بالدم! وأجابهم الإمام عليه السلام بأن عليه من الله واقية وأنه يحميه منه، واستشهد بما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فعن محمد بن سنان قال: «قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام في أيام هارون: إنك قد شهرت نفسك بهذا الأمر وجلست مجلس أبيك وسيف هارون يقطر الدم، فقال: جرّأني على هذا ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن أخذ أبو جهل من رأسي شعرة فاشهدوا أني لست بنبيٍّ، وأنا أقول لكم: إن أخذ هارون من رأسي شعرة فاشهدوا أني لست بإمام»[1].

وكان من أوائل المبادرين إلى بيعته بالإمامة في البيت الكاظمي أخو الإمام أحمدُ بن موسى، فإنه مع أمه[2] رضوان الله عليها

(1) الكليني؛ محمد بن يعقوب: الكافي 8/ 281.

(2) المجلسي: بحار الأنوار4/ 310 ناقلاً عن الإرشاد للمفيد: فلما شاع خبر وفاة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام في المدينة اجتمع أهلها على باب أم أحمد، وسار أحمد معهم إلى المسجد ولما كان عليه من الجلالة، ووفور العبادة ونشر الشرايع، وظهور الكرامات ظنوا به أنه الخليفة والإمام بعد أبيه فبايعوه بالإمامة، فأخذ منهم البيعة ثم صعد المنبر وأنشأ خطبة في نهاية البلاغة، وكمال الفصاحة، ثم قال: أيها الناس كما أنكم جميعًا في بيعتي فاني في بيعة أخي علي بن موسى الرضا واعلموا أنه الإمام والخليفة من بعد أبي، وهو ولي الله والفرض علي وعليكم من الله ورسوله طاعته، بكل ما يأمرنا. فكل من كان حاضرًا خضع لكلامه، وخرجوا من المسجد، يقدمهم أحمد بن موسى عليه السلام وحضروا باب دار الرضا عليه السلام فجددوا معه البيعة.

(زوجة الإمام الكاظم عليه السلام) بعد أن جاء قسم من الناس إليه توهمًا منهم أنه الإمام، أخذهم إلى بيت أخيه وبايعت أم أحمد وابنها وجميع من حضر معهم، عليًّا بن موسى الرضا بالإمامة.

ولا ريب أن هذا الموقف منه، كان مهمًّا لا سيما مع طمع بعض إخوة[1] الرضا عليه السلام في منازعته ومناكفته، بالرغم من وصية أبيه الكاظم له دون سواه، والتي خصه فيها بتدبير أمور زوجاته المادية وبناته كذلك وتفويض أمر زواج من لم تتزوج من بنات الإمام الكاظم إليه إن رأى في ذلك صلاحًا[2].

ومرت أيام الإمام علي الرضا في المدينة المنورة هادئة بعيدًا عن الصراعات السياسية والتصفيات الثأرية التي كانت تدور في بغداد، والتي شرب فيها البرامكة من نفس الكأس التي سقوا بها غيرهم، فإذا بالدائرة تدور عليهم بعد أربع سنوات من شهادة الإمام الكاظم عليه السلام، لينكبوا تلك النكبة سنة 187 هـ التي أتت على

(1) ذكر الشيخ الكليني في الكافي 1/ 366 قصة منازعة العباس بن موسى بن جعفر أخي الإمام الرضا عليه السلام إياه، في زعمه بأن في الوصية الطويلة التي أوصى فيها الإمام إليه بتدبير شؤونه بعد موته، وإدارة أمور أسرته (من نساء وبنات) فزعم العباس هذا بأن هناك كنزا في أسفل الوصية وإن عليّا بن موسى يريد احتجابه لنفسه، ومع تكذيب الحاضرين له، وكشف باقي الوصية رأوا فيها بالصراحة إخراجهم من الوصية وإفراد الإمام بها، وقد وقف الإمام الرضا الموقف النبيل المنتظر منه فقال إنّي أعلم أن ما حملكم على هذا إلا الحاجة والديون! وكلف أحد أعوانه بإحصاء ما عليهم من الديون والمطالبات وأن يقضيها عنهم!

(2) لمراجعة الوصية وما احتوت عليه يراجع كتابنا: كاظم الغيظ؛ الإمام موسى بن جعفر.

صغيرهم وكبيرهم ورجالهم ونسائهم، حتى أصبحوا يحتاجون لمن كان يحتاج لهم ولا يصلون إليه.

وربما يكون لانشغال هارون قبل ذلك بالقضاء على الحركات المعارضة له في أكثر من موضع، وانشغاله بتصفية البرامكة فيما بعد، دور في انشغاله عن إيذاء الإمام علي الرضا عليه السلام، فاستطاع الإمام عليه السلام أن يبث من علوم أهل البيت عليهم السلام الشيء الكثير حتى لقد عد بطل النهضة العلمية في مذهب أهل البيت في مرحلتها الثالثة، وسيتضح لك المعنى تفصيلاً عندما نتحدث عن الدور العلمي الذي قام به حتى لقب بأنه (عالم آل محمد).

إننا نعتقد أن القيام بتبليغ الدين في عقائده وأحكامه ومعارفه، وبيان نظامه الأخلاقي هو أعظم مهمة يقوم بها الأنبياء والمرسلون، كما يقوم بها أوصياؤهم والأئمة. ودونها تكون سائر المهمات مثل: الثورة السياسية، والأعمال العسكرية، بل حتى مثل إقامة الدولة.

نؤكد على هذا لأننا نرى أن الذهنية العامة المسلمة، تنظر إلى الأفعال الخارجية (كفتح البلدان، وعمارة المدن وأمثال ذلك من الحكام والخلفاء) أو الثورات السياسية والحركات العسكرية (وتأسيس الدول) من جهة الثائرين أو المعارضين هي الأعمال

الكبيرة التي تستحق الذكر والتسجيل وهي التي تملأ صفحات التاريخ، ولكن هذا خاطئ تمامًا!

إن أهم الصفات التي يذكرها الله سبحانه عن الأنبياء والمرسلين هي ما يرتبط بتبليغ رسالة الله، فها هو سبحانه وتعالى يصف نبيه الأعظم محمدًا بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا (*) وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا (*) وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴾[1]. وهي كما ترى صفات تدور في حلقة التبليغ والتعليم والإرشاد والتعريف بدين الله وهدف الحياة وكيفية الوصول إلى جنة الله. ومثل ذلك هو الحديث عن سائر الأنبياء والمرسلين.

وسوف يأتي في صفحات قادمة تحديد الإمام الرضا عليه السلام لدور الإمام ومسؤوليته في الحياة، ويتبين أنها نفس المسؤولية التي اضطلع بها الأنبياء.

إن قيام الإمام الرضا عليه السلام، بتعريف الناس بربهم وصفاته يعني سلامة توحيدهم، والقضاء على الاتجاهات المضللة الوافدة من الديانات والفلسفات الأخرى، وتصحيح الاتجاهات الخاطئة الموجودة بين المسلمين، وبمقدار ما يقترب المسلمون من ثقافة

(1) الأحزاب: 45 ـ 47.

المعصومين، وبصائرهم النيرة فإنهم يصححون دينهم إذ إن (أول الدين معرفته) أي معرفة الله سبحانه، فإذا أخطأت هذه المعرفة الطريق وانتهت إلى التجسيم والتشبيه أو نسبة الظلم والعبث إلى الخالق فإنها لا تؤثر في زمانها فقط بل تتحول كما هو الحاصل إلى منهج لا نزال نجد آثاره إلى أيامنا بعد مرور أكثر من ألف ومئتي سنة!

وكذلك الحال في سائر الأمور كطريق التعامل مع القرآن الكريم، ونبذ المناهج الخاطئة في فهمه، وما يرتبط بالأحكام الشرعية، وغيرها.

وبالمختصر، فإنه لما كان هدف حياة الإنسان ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1]، فإن البرنامج الصحيح الذي يحقق هذا الهدف والانشغال به هو أهم الأعمال، ولذلك قال الله لنبيه: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[2] فعمل الأنبياء والمرسلين والأئمة والأوصياء هو ضمن هذا الإطار.

وقضى الإمام الرضا عليه السلام كل عمره في هذا البرنامج، أي من كونه في حوالي العشرين من العمر إلى أن استشهد سنة 203هـ. وعمره 55 سنة، وهي مدة طويلة تصل إلى نحو 35 سنة من التبليغ

(1) الذاريات:56.
(2) الذاريات:55.

والإرشاد، كان قسم منها في أيام أبيه الإمام موسى وقبل إمامة الرضا الفعلية، والباقي (وهو نحو عشرين سنة) أثناء إمامته الفعلية.

تحدي الواقفية وإفساد الداخل الشيعي:

إذا كان الإمام الرضا عليه السلام قد سلم من أذى هارون الرشيد العباسي، لما سبق من الأسباب، فلم يسلم من (تجار الدين) ومرتزقة الداخل الشيعي، فقد تعرض لإنكار بعض وكلاء أبيه الكاظم وحربهم عليه في التشكيك بإمامته والعمل على تهديمها، وقد كانوا يهدمون كيان المذهب الإمامي، والطائفة الاثني عشرية لو كانوا يعلمون. ولم تتوقف هذه الحرب عليه إلا بولادة ابنه الجواد (المولود الذي لم يولد أعظم بركة على شيعتنا منه)[1] في سنة 195هـ. أي أن إنجاب الإمام الرضا لابنه الجواد كان وعمره 47 سنة، وهذا الابتلاء مكّن الواقفية من تأكيد شبهتهم في الناس.

فلننظر لأحوال هذه الفئة المنحرفة؛ ولنبدأ بتعريفها فإن العلماء يعرّفون الواقفية (أو الواقفة) بالفئة التي وقفت على الإمام موسى بن جعفر عليه السلام (بعدما آمنت بالأئمة المتقدمين عليه) وقفت عليه ورفضت قضية موته، واعتبرته لا يزال على قيد الحياة وبالتالي فإن الإمامة لم تنتقل إلى ابنه عليٍّ الرضا ولا إلى غيره.

(1) المسعودي؛ علي بن الحسين: إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب 218.

(واختلفوا في تفسير قضية بقائه وعدم موته بين من قائل إنه هو القائم والذي سيملأ الأرض عدلًا، وزعموا أنه خرج من الحبس ولم يره أحد نهارًا، ولم يعلم به وأن السّلطان وأصحابه ادّعوا موته وموّهوا على الناس وكذبوا وأنه غاب عن النّاس واختفى) وأنت تعلم عزيزي القارئ أن هذه الأفكار كلها غير صحيحة.

دوافع التشكل:

يشير الكثير من الباحثين واعتمادًا على الروايات إلى أن أحد الدوافع المهمة لبروز هذه الفرقة هو الطموح المادي والدنيوي عند بعض وكلاء الإمام موسى الكاظم، فإنه بعدما سجن في السنوات الأخيرة من عمره ثم قضى في السجن تصرف هؤلاء فيما كان لديهم من الزكوات والأخماس العائدة له كما يتصرف الملاك، وحين نهض ابنه الإمام الرضا بمسؤولية الإمامة كانوا مطالبين ـ كما كان غيرهم ـ بتسليم ما لديهم إليه[1]، فرفضوا واحتجوا بأن أباه الإمام الكاظم لم يمت وهذا ما تشير إليه الرواية

(1) كما فعل بعض الوكلاء الصادقين مثل داود بن زربي قال كما في عيون أخبار الرضا 2/ 237: «كان لأبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام عندي مال فبعث فأخذ بعضه وترك عندي بعضه وقال: من جاءك بعدي يطلب ما بقي عندك فإنه صاحبك، فلما مضى عليه السلام أرسل إلي عليّ ابنه عليه السلام ابعث إلى بالذي هو عندك، وهو كذا وكذا، فبعثت إليه ما كان له عندي». ويلاحظ أنه تم ضبط اسم الراوي في الخبر على أنه داود بن رزين، وقد نقله عن الصدوق غيره، وهو تصحيف ولا يمكن أن يكون صحيحًا فلا وجود لأحد من وكلاء الإمام الكاظم بهذا الاسم وإنما هو داود بن زربي وهو جليل من أصحاب الأئمة الصادق والكاظم والرضا عليهم السلام.

التالية: فعن أحمد بن حماد قال كان أحد القُوّام عثمان عيسى الرواسي وكان يكون بمصر، وكان عنده مال كثير وست جوار، قال: فبعث إليه أبو الحسن الرضا عليه السلام فيهنَّ وفي المال، قال: فكتب إليه: أن أباك لم يمت! قال فكتب إليه؛ إن أبي قد مات وقد قسمنا ميراثه، وقد صحت الأخبار بموته، واحتج عليه فيه. قال: فكتب إليه: إن لم يكن أبوك مات فليس لك من ذلك شيء وإن كان قد مات على ما تحكي فلم يأمرني بدفع شيء إليك وقد أُعتقت الجواري وتزوجتهن)[1]!

ومثله ما ينقل عن فعل منصور بن يونس، فمع أن الإمام الكاظم عليه السلام قد أخبره شخصيًا بإمامة الإمام الرضا وأمره بالدخول إليه وتهنئته بذلك، ففعل منصور ذلك، ولكن هذا لم يمنعه أن يجحد الأموال التي كانت في يده وأن يصرفها في أموره الشخصية[2].

وفي الدائرة نفسها كان فعل زياد بن مروان القندي وهو من

(1) الصدوق؛ محمد بن علي بن بابويه: عيون أخبار الرضا 1/ 104 وأنت ترى عزيزي القارئ المغالطات في كلامه، فإن تسليم المال للإمام الرضا هو واجب عليه من دون وصية لأنه إما أن يكون ملكًا شخصيًا للإمام موسى الكاظم فمصيره الميراث وقد طالبه الوارث بذلك فلا حق له في الاحتفاظ به، أو أن يكون عائدًا لمنصب الإمامة فلا أحد يدعي الإمامة غير الرضا، وعلى أي حال فإن تصرف عثمان الوكيل غير شرعي في عتقه الجواري لأنه لا يملكهن فكيف يعتقهن ويتزوجهن!! ثم ماذا عن المال؟ لكنها الدنيا وحبها.

(2) المجلسي: بحار الأنوار49/ 16.

رؤساء الواقفة الذي روى عن الإمام موسى في شأن ابنه الرضا قوله: «هذا كتابه كتابي وكلامه كلامي، ورسوله رسولي وما قال فالقول قوله...»[1] إلا أنه كما قال الشيخ الصدوق: إن زياد بن مروان روى هذا الحديث ثم أنكره بعد مضي موسى عليه السلام وقال بالوقف وحبس ما كان عنده من مال موسى بن جعفر عليهما السلام[2].

وقد جاء في الروايات السابقة أسماء: زياد بن مروان القندي، وعثمان بن عيسى الرواسي، وفي غيرها أنه كان معهم بل من رؤسائهم علي بن أبي حمزة البطائني، وأحمد بن أبي بشر السراج، وابن أبي سعيد المكاري، والحسين بن قيامًا الصيرفيّ وعرضوا على بعض أصحاب الإمام الكاظم فكرتهم لاستقطابهم إليهم فقد ذكر يونس بن عبد الرحمن أنه: «مات أبو إبراهيم عليه السلام وليس من قوامه أحد إلا وعنده المال الكثير، وكان ذلك سبب وقفهم وجحدهم موته، طمعًا في الأموال، كان عند زياد بن مروان القندي سبعون ألف دينار، وعند علي بن أبي حمزة ثلاثون ألف دينار.

فلما رأيت ذلك وتبينت الحق وعرفت من أمر أبي الحسن الرضا عليه السلام ما علمت، تكلمت ودعوت الناس إليه، فبعثا إليَّ وقالا

(1) الكليني؛ ثقة الإسلام: الكافي1/ 360.
(2) الصدوق: عيون أخبار الرضا 1/ 39.

ما يدعوك إلى هذا؟ إن كنت تريد المال فنحن نغنيك وضمنا لي عشرة آلاف دينار، وقالا [لي]: كُفّ!.

فأبيت، وقلت لهما: إنا روينا عن الصادقين عليهم السلام أنهم قالوا: «إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه، فإن لم يفعل سلب نور الإيمان» وما كنت لأدع الجهاد وأمر الله على كل حال، فناصباني وأضمرا «لي العداوة»[1].

ومن هذه الروايات وغيرها يتضح أن الدافع الأساس في تشكيلهم فرقة الواقفية كان المال والجانب المادي.

ولكنهم لا يمكن أن يصارحوا الناس بهذه الحقيقة فلا يعقل أن يقال لعامة الناس: نحن لا نؤمن بإمامة الرضا لأننا نريد السيطرة على الأموال! وإنما لا بدَّ أن يرفعوا راية، وأن يثبتوا شعارًا يكون بظاهره مقبولًا للناس ويمكنهم الدفاع عنه عندما يعلنونه.. وهذا ما حصل؛ فقد ركزوا على أن الإمام عليًا الرضا ليس إمامًا معصومًا ولا منصوبًا، للأمور الآتية:

1 ـ قالوا: بأن عليًّا الرضا لم يولد له ولد (إذ إن ابنه محمدًا الجواد ولد سنة 195، بينما يفترض أن إمامة الرضا قد بدأت بشهادة والده الكاظم سنة 183هـ) ففي هذه المدة ركز أولئك

(1) الطوسي؛ محمد بن الحسن: الغيبة 92.

على أنه لا ولد له وهذا يعني أنه عقيم، وعندنا الإمامية لا يكون الإمام المعصوم ناقصًا، والعقم نقصٌ.. فإذن لا يكون عليٌّ الرضا إمامًا، والمفروض أن هذه الشبهة قد انتهت بولادة الإمام الجواد لكنهم استطاعوا في أثناء نحو 12 سنة أن يشككوا في إمامة الإمام عليه السلام.

وكان بعضهم شرِسًا في تشكيكه ومواجهته لخط الإمامة، كما كان الحسين بن قيامًا، فقد نقل عنه عبد الرحمن بن أبي نجران وصفوان بن يحيى قالا: «حدثنا الحسين بن قيامًا وكان من رؤساء الواقفة فسألنا أن نستأذن له على الرضا عليه السلام ففعلنا فلما صار بين يديه قال له: أنت إمام؟ قال: نعم

قال: إني أشهد الله أنّك لست بإمام!.

قال: فنكت عليه السلام في الأرض طويلًا منكس الرأس ثم رفع رأسه إليه فقال له: ما علمك إني لست بإمام؟

قال له: إنا قد روينا عن أبي عبد الله عليه السلام إن الإمام لا يكون عقيمًا وأنت قد بلغت السن وليس لك ولد!

قال فنكس رأسه أطول من المرة الأولى ثم رفع رأسه فقال: إني أشهد الله أنه لا تمضي الأيام والليالي حتى يرزقني الله ولدًا مني!

قال عبد الرحمن بن أبي نجران: فعددنا الشهور من الوقت الذي قال فوهب الله أبا جعفر عليه السلام في أقل من سنة»[1].

2 ـ كما أنهم توسلوا في التشكيك بإمامة الإمام الرضا عليه السلام بفكرة حاصلها: أن الإمام عند الشيعة لا يغسله إلا إمام[2]. ولأن الإمام الكاظم قد استشهد في بغداد بينما كان ابنه عليٌّ الرضا في المدينة فلم يغسله، فإذن هو ليس بإمام!

ويمكن الإجابة على هذه الشبهة بطرق متعددة:

منها: أن هذه الخصلة ليست شرطًا في إمامة الإمام، وإنما هي إحدى العلامات المشيرة التي يتعرف الناس عبرها عليه، وقد تحصل لواحد ولا تحصل لآخر لكنها لا تعيّن الإمام. وذلك أن العلامات التي يتعرف بها الناس على الإمام كثيرة، فمنها أن يوصي إليه والده الإمام السابق بتنفيذ وصاياه، ومنها أن ينحله كنيته، ومنها أن ينص عليه، ومنها أن يغسله. لكن أيًّا منها ليس شرطًا في الإمامة. وإنما علامة مشيرة وطريق للتعرف عليه.

(1) الصدوق: عيون أخبار الرضا 2/ 226.

(2) الإربلي؛ علي بن أبي الفتح: كشف الغمة في معرفة الأئمة 2/ 351 عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: كَانَ فِيمَا أَوْصَى أَبِي إِلَيَّ إِذَا أَنَا مِتُّ فَلاَ يَلِي غُسْلِي أَحَدٌ غَيْرُكَ فَإِنَّ اَلْإمام لاَ يُغَسِّلُهُ إِلاَّ إمام.
وابن شهر آشوب في المناقب 4/ 224 قال موسى بن جعفر عليه السلام: فيما أوصاني به أبي عليه السلام أن قال لي: يا بنيّ، إذا أنا متّ فلا يغسلني أحد غيرك، فإنّ الإمام لا يغسّله إلاّ إمام.

ولذلك قد يفهمها البعض ولا يفهمها البعض الآخر[1].

والثانية: أنه ما يدريهم أن الإمام الرضا لم يغسل أباه؟ فإن الذي مكّن عليًّا بن الحسين عليه السلام أن يأتي كربلاء بعدما كان محبوسًا ومقيَّدًا في الكوفة فيلي أمر والده في تجهيزه ودفنه قادر على أن يمكّن الإمام عليًّا بن موسى من تغسيل أبيه وتجهيزه. وهذا ما صرح به الإمام الرضا في إجاباته لأسئلتهم المتكررة وتشكيكاتهم.

فقد روي أنه دخل على الإمام الرضا، عليّ بن أبي حمزة البطائني وابن السراج وابن أبي سعيد المكاري (وهم من عمد الواقفة) فقال له عليٌّ بن أبي حمزة: روينا عن آبائك عليهم السلام أن الإمام لا يلي أمره إذا مات إلا إمام مثله!

فقال له الرضا عليه السلام: أخبرني عن الحسين بن عليّ إمامًا كان أو غير إمام؟

قال: كان إمامًا، قال: فمن ولي أمره؟ قال: عليٌّ بن الحسين عليهما السلام!

فقال (الرضا): وأين كان عليٌّ بن الحسين؟

قال: كان في يد عبيد الله بن زياد محبوسًا بالكوفة!

(1) مرَّ في صفحات سابقة كيف أن عليًا بن يقطين لم يفهم من كلام الإمام موسى الكاظم: «هذا سيد ولدي وقد نحلته كنيتي» أن هذا إشارة لإمامته وخلافة أبيه فيها بينما فهم هشام بن الحكم ذلك منه.. فقال له: أخبرك والله أن الأمر فيه من بعده.

فقال: كيف ولي أمر أبيه وهو محبوس؟

فقالوا له: روينا أنه خرج وهم لا يعلمون حتى ولي أمر أبيه ثم انصرف إلى موضعه.

فقال الرضا عليه السلام: إن يكن هذا أمكن عليَّ بن الحسين وهو معتقل فقد يمكّن صاحب هذا الأمر وهو غير معتقل أن يأتي بغداد فيتولى أمر أبيه وينصرف وليس هو محبوس ولا بمأسور[1].

والثالثة: ما علَّمه الإمام الرضا عليه السلام هرثمة بن أعين، وأخبره أن المأمون سيسأله عن أن الإمام لا يغسله إلا إمام؛ فكيف غُسِّل الإمام الرضا والحال أن ابنه الجواد كان في المدينة؟ وهذا مما يشير إلى الدور المزدوج الذي مارسه المأمون (الإكرام الظاهري للأئمة والتخطيط الباطني للإيقاع بهم والتشكيك فيهم)، وحاصل الجواب: أن الوضع الطبيعي يقتضي أن يغسل الإمام إمام مثله، وألّا يتصدى لذلك أحدٌ غير الإمام ولا يتقدم عليه، لكن لو حصلت ظروف استثنائية كمنع السلطان الجائر من القيام بذلك فهل يدخل معه في معركة من أجل ذلك؟ كلا! ولو حارب قومٌ مخالفون الإمام ولم يسمحوا له فهل يؤثر هذا على إمامة الإمام الراحل؟ أو إمامة الإمام الموجود.. كلا.

(1) المسعودي؛ علي بن الحسين: إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب 208 وعنه الشيخ عزيز الله عطاردي: مسند الإمام الرضا 1/ 363.

فقد علَّمه الإمام بأنه بعدما يدفن سيسأله المأمون: «يا هرثمة أليس زعمتم أن الإمام لا يغسله إلا إمام مثله، فمن يغسل أبا الحسن علي بن موسى وابنه محمد بالمدينة من بلاد الحجاز ونحن بطوس؟.

فإذا قال ذلك فأجبه وقل له: إنا نقول: إن الإمام لا يجب أن يغسله إلا إمام مثله، فإن تعدَّ متعدٍ فغسّل الإمامَ لم تبطل إمامة الإمام لتعدي غاسله، ولا بطلت إمامة الإمام الذي بعده بأن غُلب على غسل أبيه، ولو ترك أبو الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام بالمدينة لغسله ابنه محمد ظاهرًا مكشوفًا ولا يغسله الآن أيضًا إلا هو من حيث يخفى»[1].

وكان يمكن أن تكون كل جهة من الجهات المذكورة كافية في الإقناع، إلا أن الذي كان يسوق زعماء الواقفة أولئك لم يكن البحث عن الجواب والاقتناع به، وإنما كان بالدرجة الأولى تشكيل الفرقة والجماعة والاسترزاق عبر ذلك.

النتيجة: أن الواقفية لم يستطيعوا أن يستمروا للأخير؛ فشبهتهم الأولى في عقم الإمام وعدم وجود ولد له، تحطمت على صخرة مواعيد الإمام الواثقة بأن الله سيرزقه ولدًا ذكرًا تكون الإمامة فيه

(1) الصدوق: عيون أخبار الرضا 2/ 276.

من بعده، وهذا ما حصل بالفعل! وكذلك شبهتهم الثانية فإنها لم تستمر بوجود أجوبة متعددة عليها.

وما لبث أن تكشف لشيعة أهل البيت عليهم السلام أن هؤلاء الزعماء والوكلاء إنما ابتدعوا هذه الطريقة وساروا وراء التشكيك طمعًا منهم في الزعامة والتصرف في الأموال. وهذا لم يكن استنتاجًا فقط بل كان تصريحًا من جهة بعضهم، ومساومات واضحة. وقد مرَّ آنفًا الرواية عن يونس بن عبد الرحمن وأنهم ساوموه على موقفه بعشرة آلاف دينار، ولك أن تتصور مقدار الأموال التي كانت لديهم إذا كانت مساومتهم لأحد أصحاب الإمام بهذا المبلغ!!

يضاف إلى ما سبق، فإن التحذير المبكر من فتنة الواقفية، كان له دور في الحفاظ على المتن العام للشيعة، فقد وردت روايات بعضها عن الإمام الصادق وبعضها الآخر عن الإمام موسى الكاظم[1] وابنه الرضا تشير إلى الضلال الذي سيكون عليه أتباع هذه الفرقة.

(1) الكليني: الكافي 1/ 367 عن الإمام موسى بن جعفر: «من ظلم ابني هذا حقه وجحد إمامته من بعدي كان كمن ظلم علي بن أبي طالب عليه السلام إمامته وجحده حقه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: قلت: والله لئن مدّ الله لي في العمر لأسلمن له حقه ولأقرّنّ بإمامته..
والشيخ الطوسي في اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي)2/ 340 عن علي بن عبد الله الزهري قال: كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام أساله عن الواقفة؟ فكتب: الواقف عاند من الحق، ومقيم على سيئة، إن مات بها، كانت جهنم مأواه وبئس المصير.

والأهم من كل ذلك، فإن تصدي الإمام علي بن موسى الرضا للإمامة، وجريان الكرامات على يديه، وانكشاف فضله للخلق وانتشار علومه بين الناس بحيث لم يرَ هؤلاء الناس فرقًا بينه وبين آبائه، بل ربما كان في بعض الجهات متقدمًا، كانتشار العلم على يده، مما سيأتي الإشارة إليه في فصل «عالم آل محمد»، كل هذا جعل شبهات الواقفية في مهب الرياح. وذلك أن من يدّعي الإمامة لا بدَّ أن يلتزم بلوازمها ومن ذلك العلم الإلهي المحيط بالشريعة بل وببعض ما يُضمَر، ويختبر[1] به أمثاله مما سقط ويسقط فيه أدعياء الإمامة يجعل من غير العسير على العارفين بصفات الإمام، تمييز الحقيقي من المزيف.

ويؤكد هذا المعنى ما ذكره الباحث الناصري في (كتابه الواقفية)، في ذكره الذين رجعوا عن الوقف بشهادة الشيخ الطوسي في الغيبة: فقال: «تعرض الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة إذ ذكر بعض الأشخاص خصوصًا الأجلاء منهم ومن أصحاب الإجماع حينما ظهرت المعجزات على يد الإمام الرضا عليه السلام قال:

(1) مثلما روي في عيون أخبار الرضا 2/ 252 عن الحسن بن علي الوشاء قال: كنت قبل ان اقطع على الرضا عليه السلام (بمعنى أتيقن إمامته) جمعت مما روي عن آبائه عليهم السلام وغير ذلك مسائل كثيرة في كتاب، وأحببت أن أثبت في أمره واختبره، وحملت الكتاب في كمي وصرت إلى منزله أريد منه خلوة أناوله الكتاب، فجلست ناحية متفكرًا في الاحتيال للدخول، فإذا بغلام قد خرج من الدار في يده كتاب، فنادى أيكم الحسن بن علي الوشاء؟ فقمت اليه وقلت: أنا، قال: فهاك خذ الكتاب، فأخذته وتنحيت ناحية فقرأته، فإذا والله جواب مسألة مسألة، فعند ذلك قطعت عليه وتركت الوقف.

ويبطل ذلك أيضًا ما ظهر من المعجزات على يد الرضا عليه السلام الدالة على صحة إمامته وهي مذكورة في الكتب؛ ولأجلها رجع جماعة من القول بالوقف مثل عبد الرحمن بن الحجاج ورفاعة بن موسى ويونس بن يعقوب وجميل بن دراج وحماد بن عيسى وغيرهم، وهؤلاء من أصحاب أبيه الذين شكوا فيه ثم رجعوا، وكذلك من كان في عصره مثل أحمد بن محمد بن أبي نصر والحسن بن علي الوشاء وغيرهم، ممن كان قال بالوقف، فالتزموا الحجة وقالوا بإمامته وإمامة من بعده من ولده»[1].

السفر للبصرة والكوفة

وفي سبيل تثبيت موقع الإمامة، وقطعًا للطريق على المشككين في إمامته، من الواقفية وأمثالهم، فقد نقل أن الإمام الرضا عليه السلام سافر في أيام هارون العباسي وبعد شهادة أبيه موسى بن جعفر إلى كلٍّ من البصرة والكوفة، واجتمع مع العلماء فيها، وناظر بعض أرباب الديانات وكان له في كل هذه الاجتماعات اليد العليا، والبرهان الأجلى.

فمن ذلك ما روي عن محمد بن الفضل الهاشمي قال: لما توفي الإمام موسى بن جعفر عليه السلام أتيت المدينة، فدخلت على الرضا عليه السلام

(1) الواقفية، رياض محمد حبيب الناصري، ص 226.

فسلمت عليه بالأمر وأوصلت إليه ما كان معي، وقلت: إني صائر إلى البصرة، وعرفت كثرة خلاف الناس وقد نعي إليهم موسى عليه السلام وما أشك أنه سيسألونني عن براهين الإمام، فلو أريتني شيئًا من ذلك؟

فقال الرضا عليه السلام لم يخْفَ عليَّ هذا، فأبلغ أولياءنا بالبصرة وغيرها أني قادم عليهم، ولا قوة إلا بالله. ثم أخرج إلي جميع ما كان للنبي صلى الله عليه وآله وسلم عند الأئمة: من بردته وقضيبه وسلاحه وغير ذلك.

وفي ذلك الخبر أن الإمام عليه السلام قدم عليهم البصرة في الموعد الذي حدده، ولما أرادوا التفرّق قال لهم: لا تفرّقوا؛ فإني إنما جمعتكم لتسألوني عمّا شئتم من آثار النبوة وعلامات الإمامة التي لا تجدونها إلا عندنا أهل البيت، فهلموا مسائلكم.

فابتدر عمرو بن هذاب فقال: إن محمد بن الفضل الهاشمي ذكر عنك أشياء لا تقبلها القلوب.

فقال الرضا عليه السلام: وما تلك؟ قال: أخبرنا عنك أنك تعرف كل ما أنزله الله، وأنك تعرف كل لسان ولغة!

فقال الرضا عليه السلام: صدق محمد بن الفضل؛ فأنا أخبرته بذلك فهلموا فاسألوا.

قال: فإنّا نختبرك قبل كل شيء بالألسن واللغات، وهذا رومي، وهذا هندي وهذا فارسي، وهذا تركي. فأحضرناهم.

فقال عليه السلام فليتكلموا بما أحبوا، أجب كل واحد منهم بلسانه إن شاء الله.

فسأل كل واحد منهم مسألة بلسانه ولغته، فأجابهم عما سألوا بألسنتهم ولغاتهم فتحير الناس وتعجبوا، وأقروا جميعًا بأنه أفصح منهم بلغاتهم.

ثم جاء الدور على من كان حاضرًا من أرباب الكنيسة المسيحية حيث قرأ عليه الإمام بعض أسفار الإنجيل التي فيها تصريحات حول النبي محمد وآله[1].

كما نقل أيضًا سفره إلى الكوفة ولقاءه بشيعته هناك، فعن محمد ابن الفضل: كان فيما أوصاني به الرضا عليه السلام في وقت منصرفه من البصرة أن قال لي: صِرْ إلى الكوفة فاجمع الشيعة هناك وأعلمهم أني قادم عليهم. وأمرني أن أنزل في دار حفص بن عمير اليشكري، فصرت إلى الكوفة، فأعلمت الشيعة أن الرضا عليه السلام قادم عليهم.

فأنا يومًا عند نصر بن مزاحم إذ مرَّ بي سلام خادم الرضا عليه السلام، فعلمت أن الرضا عليه السلام قد قدم، فبادرت إلى دار حفص بن عمير، فإذا هو في الدار، فسلمت عليه، ثم قال لي: احتشد لي في طعام تصلحه للشيعة.

(1) الراوندي؛ قطب الدين: الخرائج والجرائح1/ 347 وقد ذكرها ضمن معاجز الإمام علي بن موسى الرضا.

فقلت: قد احتشدت وفرغت مما يحتاج إليه. فقال: الحمد لله على توفيقك.

فجمعنا الشيعة، فلما أكلوا قال: يا محمد انظر من بالكوفة من المتكلمين والعلماء فأحضرهم. فأحضرناهم، فقال لهم الرضا عليه السلام: إني أريد أن أجعل لكم حظًّا من نفسي كما جعلت لأهل البصرة، وإن الله قد أعلمني كل كتاب أنزله[1].

ومع أن القطب الراوندي أوردها في باب معاجز الإمام الرضا عليه السلام وأن ذهابه كان بصورة استثنائية، إلا أن ذلك لا يمنع من ملاحظة تصديه للتوجيه والإرشاد فيها في أوائل إمامته، لا سيما مع ملاحظة ما ذكر في صدر الرواية من القول بأنه قد كثر خلاف الناس وقد نعي إليهم الإمام موسى، وقال إنه لا يشك أنه سيُسأل عن براهين الإمام. وكان ذلك في بلدين مهمين (العراقين: الكوفة والبصرة).

المدينة محور النشاط العلمي للإمام

بالنظر إلى طول مدة بقاء الإمام عليه السلام في مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إذ امتدت لتشغل أغلب حياته المباركة باستثناء نحو سنتين ونصف ـ كما سيأتي ـ هي مدة بقائه في خراسان بعد إشخاص

(1) المصدر نفسه 353.

المأمون إياه لها.. وبإمكاننا أن نعنون الأحاديث والمناظرات التي خاضها الإمام عليه السلام في خراسان، وهو أمر يتيسر بمقدار من البحث والاستقصاء وما عدا ذلك يكون نتاج الإمام فترة المدينة النبوية.

وسيأتي إن شاء الله تعالى ذكر شيء من علومه وأحاديثه في فصل لاحق.

لكن الملاحظة المهمة التي نؤكد عليها هنا هي أن التاريخ لا يذكر أن الإمام الرضا عليه السلام قد أخذ العلم عن أحد أو اكتسبه عن معلم سوى ما كان عن أبيه موسى بن جعفر عليهما السلام، وهذا بناء على ما يذهب إليه الإمامية طبيعيٌّ جدًّا؛ فإنهم يعتقدون أن علم الأئمة ـ وهو محيط بكل ما يرتبط بالشريعة، بل غيرها ـ هو من عند الله سبحانه، وأنهم يتوارثونه بطرق استثنائية، ولذلك لم ينقل التاريخ خبرًا ولو بالكذب عن أحدٍ من الأئمة قد سئل في مورد عن مسألة فأجاب بأنه لا يعلمها أو لم يدرسها! وإنما كانوا يجيبون عن أسئلة الناس المختلفة في شتى فنون العلم، وبعضها كان أسئلة تحدٍّ ومحاولات إحراج، لكن لم يظفر أولئك المنافسون فضلًا عن الأعداء بسؤال قد عجز الأئمة عن الإجابة عنه!

نعم هو سؤال محرج وغير مفهوم الجواب على ما يراه غير الإمامية، من فرق المسلمين؛ فإنهم لا يستطيعون تفسير ذلك!

فكيف يستطيعون تفسير حفظ الإمام الرضا للإنجيل بلغته غير العربية؟[1] وكيف يستطيعون تفسير جواب الإمام عن بعض الأسئلة بلغة السائل الأجنبي؟ وكيف لهم أن يبيّنوا الوجه في تعليم الإمام الصادق مثلاً جابر بن حيان الكوفي علم الكيمياء؟ أو يجيب على مسائل هشام بن الحكم في الفلسفة[2]؟

ومتى تيسر للإمام الرضا ذلك وقد جلس يفتي الناس وهو في سن العشرين؟ وأما ابنه الجواد وحفيده الهادي والعسكري فأمرهم أعجب من العجب عندما تصدوا لبيان المعارف الدينية والعلوم الإلهية وأعمارهم قبل البلوغ؟

هذا كله مع دعواهم وبرهانهم على أن العلم الصحيح هو عندهم دون غيرهم!

(1) الصدوق: عيون أخبار الرضا 2/ 251 عن الهروي قال: كان الرضا عليه السلام يكلم الناس بلغاتهم، وكان والله أفصح الناس وأعلمهم بكل لسان ولغة فقلت له يومًا: يا بن رسول الله إني لأعجب من معرفتك بهذه اللغات على اختلافها، فقال: يا أبا الصلت أنا حجة الله على خلقه، وما كان الله ليتخذ حجة على قوم وهو لا يعرف لغاتهم أوَما بلغك قول أمير المؤمنين عليه السلام «أوتينا فصل الخطاب» فهل فصل الخطاب إلا معرفة اللغات؟

(2) الكليني؛ محمد بن يعقوب: الكافي 1/ 310: عن هشام بن الحكم قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام بمنى عن خمس مئة حرف من الكلام فأقبلت **أقول**: يقولون كذا وكذا قال: فيقول: قل كذا وكذا، قلت: جعلت فداك هذا الحلال وهذا الحرام، أعلم أنك صاحبه وأنك أعلم الناس به وهذا هو الكلام؟ فقال لي: ويك يا هشام لا يحتج الله تبارك وتعالى على خلقه بحجة لا يكون عنده كل ما يحتاجون إليه!

استقدامه إلى خراسان وولاية العهد:

مع أن الفترة التي وُلّي الإمام فيها عهد المأمون العباسي كانت قصيرة للغاية، إلا أنه تم الاهتمام بها كثيرًا من قبل المؤرخين حتى ليكاد الناظر في التاريخ أن يتوهم أن الإمام الرضا كان دوره الأساس في حياته أنه ولي عهد المأمون!

ويبدو لي أن هذا الاهتمام من فئات مختلفة كان راجعًا لعدة أسباب:

1 ـ فمن جهة رأى قسم من الشيعة أن هذا علامة عودة الحق إلى نصابه، وأن الانحراف في مسيرة الأمة الذي أدى لإبعاد أهل البيت عن قيادتها كما أمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، يكاد ينتهي بعودة الخلافة والقيادة إلى الإمام علي الرضا عليه السلام، وكأنَّ الخلاف بين الحاكمين وبين الطالبيين قد انتهى بهذا الحل! وقد أبدى بعض شيعة الإمام سروره الغامر بهذه التولية، وهو يتصور النتائج الباهرة التي ستكون على أثر استقامة أمر الأمة ووحدتها، لكن الإمام أيقظه من أحلامه وأخبره بأن الأمر لا يتم وإنما سينتهي باغتيال الإمام نفسه على يد المأمون[1].

2 ـ من جهة أخرى فقد رافق ولاية العهد أحداث تاريخية كبيرة

(1) سيأتي تفصيله عند ذكر اغتيال المأمون للإمام الرضا عليه السلام بالسم.

تفاعلت معها وأثرت فيها وتأثرت بها، وولاية العهد نفسها كانت حدثًا استثنائيًا، فإنه بعد إمرة أمير المؤمنين علي عليه السلام وشهادته سنة 40 هـ لم يُعهد من أحد من أهل البيت أنه تداخل مع الحكام (أمويين أو عباسيين) بهذا المستوى بحيث يصبح في مركز يعتبر في العرف السياسي الموقع الثاني بعد موقع الخليفة، يعني مرَّ على الأمة أكثر من 160 سنة ولم ترَ في هذه الفترة أحدًا من أئمة أهل البيت في موقع الصدارة السياسية. وتولي الإمام الرضا هذا المنصب كان قطعًا لهذا (الصيام)! ولو من حيث الظاهر.

ولأجل أن يكون القارئ العزيز في جو الحدث التاريخي نشير إلى الظروف التي رافقت كون الإمام الرضا حال ولايته لعهد المأمون العباسي.

في سنة 186هـ خرج هارون (الرشيد)[1] للحج واصطحب كما قالوا معه ابنيه محمد (الأمين)، وعبد الله (المأمون)، وقيل إنه كتب عهده لهما وعلقه في الكعبة وأخذ عليهما المواثيق ألّا يبغي أحدهما على أخيه أو يخونه، وعلى أن ولاية العهد تكون للأمين،

(1) أشرنا مرارًا إلى أننا ونحن نذكر هذه الألقاب لا نعتقد بها فهي لا تنطبق على من سمي بها، إن لم تعاكس تمامًا ما كان عليه أولئك، وإلا فما معنى أن يلقب طفل رضيع هو موسى بن محمد (الأمين) بأنه الناطق بالحق!! وهل كان أبوه محمد (أمينا)؟ أو كان كما أخبر عنه المؤرخون عابثا لاعبا، خان عهد أبيه في حق أخيه (المأمون)..

وهو الخليفة بعد أبيه، بينما تكون بلاد المشرق (خراسان وما بعدها) تحت حكم المأمون، والذي ستكون الخلافة له بعد أخيه الأمين. وولى أخاهما الثالث المعتصم الجزيرة وبعض الثغور! (والحكام ينظرون للأمة كعكة يتقسمها أبناؤهم!) وإن كانوا لا ميزة لهم ولا كفاءة!.

في سنة 192هـ مات هارون العباسي، وكان حينها في مرو (خراسان) وكان الوالي عليها حينئذ ابنه عبد الله (المأمون). فأخذ خاتم أبيه ومختصات الخلافة من مرّو إلى بغداد وتسنم محمد الأمين منصب الخليفة، وكان أول عمل قام به أنه نصب ابنه (الرضيع موسى) وليًّا للعهد وسمَّاه الناطق بالحق!! وخلع أخاه المأمون من موقع ولاية العهد، وقيل إنه استجلب كتاب أبيه المعلّق في الكعبة ومزقه!

بطبيعة الحال لم يقبل عبد الله المأمون ذلك، وكان لا بدَّ من أن تنشب الحرب بينهما وأن يعد كل منهما جيشه للمواجهة، والصورة التي تنقلها كتب التاريخ عن شخصية الأمين العباسي هي من السوء بحيث يتوقع كل من يطلع عليها أن ينهزم أمام جيش أخيه المأمون، وهو ما حصل بالفعل في وقائع متعددة، إلى أن وصلت قوات المأمون بغداد وبعد حصارها لفترة طويلة انتهى الأمر إلى مقتل محمد الأمين سنة 198 هـ .

مقتل محمد الأمين وهزيمة جيشه وإن كان نصرًا مهمًّا كسبه أخوه المأمون لكن لم تنته معارك المأمون بعد، ولم تخلص الأمور له، فأمامه عدد من الحركات المعادية له، سياسية وعسكرية، لا يزال بحاجة للكثير من الوقت والجهد لإخمادها.

وسيأتي في موضوع لاحق تفصيل هذه التحديات التي واجهها المأمون، من غضبة الأسرة العباسية بل المجتمع العربي في بغداد والعراق، لقتله أخاه محمدًا الأمين وتمكينه العناصر الفارسية ولا سيما الفضل بن سهل وأسرته من مقاليد القرار الرسمي، وكان لا بدَّ من التفكير في مخرج من هذه التحديات، فوصل - وقيل بمشورة الفضل بن سهل - إلى نتيجة أن يستقدم الإمام عليًّا الرضا عليه السلام ويضمه إلى جهازه الحاكم فيصب أهدافًا متعددة بضربة واحدة.

فهو من جهة سيحرج الحركات العلوية التي ستكون في وجه سيد البيت العلوي، شخصيةً وعلمًا، وبالتالي ستكون في وجه شيعته، ومن الطبيعي أن ينفض هؤلاء عن تأييدها! ومن جهة أخرى سيكون ذلك بمثابة التهديد للأسرة العباسية وأنهم ما لم يمحضوا المأمون ولاءهم فإنه سيتجه بالخلافة والحكومة نحو الأسرة الطالبية العلوية (منافسهم الأصلي). ومن جهة ثالثة فهو سوف يستقطب تأييد (طيبي القلوب وذوي النيات الحسنة) في أنه شخص مختلف عن أسلافهم، وأنه سينظر بعين الإنصاف للأمور.

وسيأتي في صفحات لاحقة، تفصيل سياسة المأمون العباسي وغايته من تولية الإمام العهد، وفي المقابل تدبير الإمام عليه السلام، بعدما رأى أنه لا سبيل له إلا القبول تحت التهديد المبطن بالقتل[1]، فكان أفضل الخيارات بحسب تلك الأوضاع هو القبول الظاهري، مع اشتراط ألّا يتدخل في أمور الحكم من عزل ونصب وإمضاء وتأييد أو إنكار، وفي الأثناء كان يبين الإمام لأصحابه وشيعته بأن (هذا الأمر لا يتم)[2].

وكان الأمر كذلك سواء بحسب الحسابات الغيبية أو حتى الحسابات العادية، فنحن لو نظرنا إلى أن ولادة المأمون كانت في سنة 170هـ. يعني أنه حين تولى الإمام العهد كان عمره 31 سنة بينما كان الإمام عليه السلام الذي ولد سنة 148هـ عمره في ذلك الوقت 53 سنة، أي أكبر منه سنًّا بأكثر من عشرين سنة، وطبق المنطق الطبيعي للأمور فلا تكون ولاية العهد هذه جادة. إذ لم يعهد في

(1) وقد جرى مثل ذلك في قضية الشورى التي شكلت من قبل الخليفة الثاني.

(2) الصدوق: عيون أخبار الرضا 2/ 218؛ في حديث طويل عن اجتماع للإمام مع العلماء والفقهاء بحضور المأمون وإجابات الإمام المدهشة في مختلف المسائل وهو ما أعجب المأمون فقام بمدحه أمامهم، يقول الحسن بن الجهم: «فلما قام الرضا عليه السلام تبعته فانصرف إلى منزله فدخلت عليه وقلت له: يا بن رسول الله الحمد لله الذي وهب لك من جميل رأي أمير المؤمنين ما حمله على ما أرى من إكرامه لك وقبوله لقولك! فقال عليه السلام: يا بن الجهم لا يغرنك ما ألفيته عليه من إكرامي والاستماع مني فإنه سيقتلني بالسم وهو ظالم لي! إني أعرف ذلك بعهد معهود إليَّ من آبائي عن رسول الله صلى الله عليه وآله فاكتم هذا ما دمت حيًّا! قال الحسن بن الجهم: فما حدثت أحدًا بهذا الحديث إلى أن مضى عليه السلام بطوس مقتولًا بالسم!

تاريخ الحكومات أن يكون ولي العهد أكبر من الحاكم الأصلي ولا سيما بهذا المقدار الكبير من السنوات.

هذا بالإضافة إلى أن قيام المأمون بتهديد الإمام في أول عرضه عليه أن يتولى عهده بأنه إذا لم يقبل سينتهي أمره إلى القتل، يجعل من هذا العرض عرضًا إكراهيًّا لغرض محدد فإذا انقضى ذلك الغرض ينتهي العرض نفسه، وهذا ما حصل بالفعل بعد حوالي سنة وستة أشهر وهي المدة التي بقي فيها الإمام في ولاية العهد (من 2/ شهر رمضان / 201هـ إلى 7/ صفر/ 203هـ).

قَبِلَ الإمام ذلك، مُرغَمًا بمعنى أنه أهون الشرور، وفي الوقت نفسه كان يعمل على الاستفادة منه قدر الإمكان. فعقد مجالس العلم في مرو، وبيّن فيها موقع أهل البيت عليهم السلام وإمامتهم، وفتح البلاط العباسي على الشعراء الذين مدحوا آباءه في ظاهرة لم تشهدها أي مرحلة من مراحل الحاكمين ـ الأمويين ولا العباسيين ـ أن يكون ذكر علي أمير المؤمنين وأولاده الطاهرين على ألسنة المدح والثناء من قبل الشعراء والمتحدثين.

كما أظهر للناس عبر مجالس المناظرات والاحتجاجات لماذا اختص الله سبحانه وتعالى أهل بيت النبي بالإمامة من خلال علومهم وتفوقهم فيها على من سواهم؟

وفي الوقت نفسه فإن الإمام عليه السلام لما اشترط على المأمون عدم تدخله في الأمور التنفيذية، فقد منعه من الاستفادة من شخصيته أمام مخالفيه، ولكيلا يضفي على تلك الأعمال الشرعية الدينية التي يملكها الإمام، إلى الحد الذي امتنع الإمام فيه أن يخرج لصلاة العيد مشاركًا الهيئة السياسية، وذلك في أول الأمر ولكن بضغط المأمون خرج ولكنه خرج بكيفية شرعية خاصة ذكّر الناس فيها بسنن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، في حين كان الوضع العام يذكر الناس بالدنيا ومراتبها! ولهذا رأى بعض أعوان المأمون أن وصول الإمام إلى المصلى بهذه الطريقة كفيل بانقلاب الوضع، فأرسل المأمون إليه أن يرجع! فيا عجبًا بينا هو يصرّ عليه في الخروج أيما إصرار، وإذا به يصر عليه على العودة والرجوع!

وصل المأمون إلى نتيجة أن الإمام الرضا عليه السلام، بالشروط التي وضعها، وبالعمل الذي يقوم به من التبليغ ونشر العلم لا ينفع خطة المأمون، بل كان في ذلك أكثر حكمة منه وتدبيرًا في أمره، فقد تحول منزله إلى مدرسة يتعلم فيها الناس منهاج آل محمد؛ الأمر الذي جعل المأمون هذه المرة يواجه الإمام بشكل صريح ويهاجمه في عمل لا سابقة له، إذ كان في السابق يخطط لإسقاط شخصية الإمام من أعين الناس ولكن بصورة غير مباشرة، أما الآن فقد تغيرت الأمور، فقد روي عن عبد السلام بن صالح

الهروي قال: «رفع إلى المأمون أن أبا الحسن علي بن موسى عليه السلام يعقد مجالس الكلام والناس يفتتنون بعلمه فأمر محمد بن عمرو الطوسي حاجب المأمون فطرد الناس عن مجلسه»[1] وتهجم على الإمام عليه السلام.

ومع هذه النتيجة بالإضافة إلى أنه أراد أن يسترضي العائلة العباسية التي نقمت عليه تولية الإمام (وإن كان بصورة ظاهرية) ولاية العهد، فانتهى إلى التخطيط للتخلّص منه، وكان أقرب الطرق في ذلك الاغتيال بالسم وهو الطريق المعتاد في الخلافة العباسية كما سبق وأن ذكرنا.

وبالفعل فقد أقدم على اغتياله بالسم كما سيأتي الكلام بشكل مفصّل في الصفحات القادمة.

(1) الشيخ الصدوق: عيون أخبار الرضا 2/ 184.

عالم آل محمد

ربما يكون الإمام علي بن موسى الرضا هو الوحيد[1] بين المعصومين الذي لقب بهذا اللقب على يد المعصومين أنفسهم بالرغم من أن كلهم علماء وأنهم من آل محمد، فقد نجد لقب العالم، قد لقب به غير واحد منهم، لكن هذا التركيب لا نجده ـ بإطلاق المعصومين ـ في غير الإمام الرضا[2]، وقد لقبه به أبوه الإمام موسى بن جعفر وجده الإمام جعفر بن محمد عليهم السلام.

(1) الطبرسي؛ أبوعلي الفضل بن الحسن: إعلام الورى بأعلام الهدى2/ 65 وعنه الحر العاملي: إثبات الهداة 4/ 301، عن أبي الصلت عن محمّد بن إسحاق بن موسى بن جعفر عن أبيه أن موسى بن جعفر عليه السلام كان يقول لبنيه: هذا أخوكم علي بن موسى عالم آل محمّد، فسلوه عن أديانكم، واحفظوا ما يقول لكم، فإني سمعت أبي جعفر بن محمّد غير مرة يقول لي: إن عالم آل محمّد لفي صلبك وليتني أدركته فإنه سميّ أمير المؤمنين عليه السلام.

(2) نعم ورد في إثبات الهداة للحر العاملي 1/ 162 عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام بما قد يستفاد منهم أن الطاعن على عالم آل محمد هو الأعظم ذنبًا، فقال: أعظمهم ذنبًا وأكثرهم إثمًا على لسان محمد صلى الله عليه وآله: الطاعن على عالم آل محمد، والمكذب ناطقهم، والجاحد معجزاتهم.. بتقريب أن هذا يشمل عموم العترة المعصومة، إلا أن يدعى بأن المقصود هنا هو نفسه الإمام الرضا وأن الإمام الكاظم عليه السلام قد استبق النزاع الذي سيثيره بعض المعاندين للإمام الرضا فحذّر منه واعتبر أن من يشكك فيها أو يسعى لإفساد أمره هو الأكثر إثمًا وذنبًا. لا سيما وأن الذي أطلق على الإمام عليٍّ الرضا بأنه عالم آل محمد هو أبوه موسى ونقل ذلك عن جده جعفر الصادق.
وأيضًا ورد هذا التعبير في حق الإمام موسى بن جعفر على لسان بعض مواليه، كما نقل في رواية شقيق البلخي، وكلامنا هو فيما ورد عن المعصومين عليهم السلام. ومثل ذلك ما ورد في كلام أبي بجير عبد الله النجاشي الذي اتصل بالإمام الصادق ـ وكان قبل ذلك يسلك مسلك الزيدية ـ وسأله عن كثير من المسائل وكان الإمام عليه السلام يجيبه.. فلما خرج من عنده ذات مرة قال لبعض من حضره: أشهد أن هذا عالم آل محمد، وأن الذي كنت عليه باطل وأن هذا صاحب الأمر.

وبالنظر إلى الرواية عن الإمام موسى فإنه كان يقول لأبنائه (وهذا النحو من التعبير يفيد الاستمرار والدوام وأنه لم يكن لمرة واحدة)، وهؤلاء لم يكونوا بأقل من 15 فردًا في أدنى التقديرات،[1] بأن ابنه عليًّا هو عالم آل محمد، ويخبرهم بأن يسألوه عن أديانهم وأن يحفظوا ما يقول لهم، بل وينقل عن أبيه جعفر بن محمد تمنيه إدراك[2] حفيده علي الرضا عليه السلام. كما أننا نحتمل أن يكون التأكيد على أنه سمي أمير المؤمنين عليه السلام، فيه معنى أكثر من معنى المشابهة الاسمية المجردة.

ونشير هنا إلى ما ذكرناه في كتاب آخر من أن الألقاب التي تطلق على المعصومين، ولا سيما تلك التي يكون منشؤها من كلمات آبائهم أو أجدادهم، غالبًا ما تشير إلى الدور البارز الذي قام به ذلك الإمام، فالإمام عليٌّ السجّاد (مثلًا) لأنه اشتهر عنه الجانب العبادي وتعليم الناس طريقة الارتباط بالله تعالى، عبر كثرة عبادته وخشوع سجوده، ودعائه، فقد اشتهر بزين العابدين وسيد الساجدين، ولأن ابنه الإمام محمدًا استخرج العلوم من

(1) ذكرنا في كتاب كاظم الغيظ: الإمام موسى بن جعفر.. عدد أولاده بنين وبنات فليراجع.

(2) من خلال هذه الفقرة يمكن لنا أن نستفيد في الجانب التاريخي، فكرة أن ولادة الإمام الرضا عليه السلام كانت بعد شهادة جده جعفر الصادق، وأن الصادق لم يدرك ولادته، فإنه على المشهور كانت شهادة الإمام جعفر في الخامس عشر من شهر رجب أو الخامس والعشرين من شوال سنة 148هـ . وكانت ولادة الإمام الرضا في شهر ذي القعدة من نفس السنة على احدى الروايتين، أو سنة 153 على الرواية الثانية.

الباطن إلى الظاهر وعرضها على الناس فقد كان الباقر الذي بقر بطن العلوم. ومثله ابنه جعفر الصادق، فإن كان يتردد بعض أتباع مدرسة الخلفاء في قبول حديثه (لكثرته وتشعبه وتفصيله) فقد كان ينبغي أن يعرفوا أنه (الصادق) الذي لا يتخطى علمه وحديثه الواقع ولا يتباعد عما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم...، وهكذا بالنسبة إلى سائر الأئمة عليهم السلام.

بالطبع لا نريد أن نقول إن هذا الأمر شيء نهائي و(جامع مانع) أو على طريقة المعادلات الرياضية وإنما هو كذلك في الغالب.

وعلى أي حال فإن لقب (عالم آل محمد) لا بدَّ أنه يشير إلى قدرة علمية متميزة كانت لدى الإمام الرضا عليه السلام، كما يشير إلى أنه قد انتشر عنه من العلم والمعرفة الدينية ما يناسب ذلك اللقب.

ولهذا فإننا نعتقد صحة ما قاله بعض الباحثين من أن مدرسة الإمامية العقدية والفقهية، مرت بثلاث مراحل مهمة في تاريخ الأئمة:

الأولى: في زمان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: إذ إنه كان «باب مدينة علم النبي» وكان «يحتوي على مكنون علم لو أصاب له حملة»، وأنه «أقضاهم» و«أعلمهم» فهو مستودع علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد أخرج هذا العلم بمقدار ما كان يسمح له الظرف من وجود المتلقي المناسب، والقدرة العامة على

تفهم كلماته ﷺ، وهذا ما يلحظه الناظر في نهج البلاغة من خطبه وكلماته. بل وقد تكلم في مباحث علمية كانت ـ في أكثر أبعادها ـ أرقى من عقول معاصريه[1]، لكنه تركها لمن بعده ممن ينتفع بها. وأنه لو واتته الظروف بنحو أفضل؛ فلأن عنده «علم الأولين والآخرين، لحكم بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الزبور بزبورهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم، حتى ينادي كل كتاب بأن عليًّا حكم بحكم الله فيّ»[2].

والثانية: كانت في زمان الإمامين محمد الباقر وابنه جعفر الصادق ﷺ، فإنه في زمانهما انتشر عنهما علم كثير وأخذ عنهما العلماء، في فنون العلم المختلفة ما لم يكن معهودًا قبلهما، حتى لقد قال الحسن بن علي الوشاء، إنه رأى في مسجد الكوفة تسعمائة شيخ؛ كل منهم يقول حدثني جعفر بن محمد[3]..

والمرحلة الثالثة: كانت على يد الإمام علي بن موسى الرضا ﷺ، عالم آل محمد، إذ أكمل ما نقص من نشر العلوم

(1) العجيب أن بعض المتأخرين من مدرسة الخلفاء ممن شككوا في نسبة نهج البلاغة للإمام عليّ ﷺ، رأوا أن في علو مستواها عن عصر الإمام دليلًا! على أنها ليست له وإنما قد تكون لمثل الشريف الرضي أو غيره، فهم استكثروا على الإمام الخوض في مطالب لم يستكثروها على الشريف الرضي.. فتأمل وتعجب!

(2) ومن أراد التفصيل في سيطرة الإمام على العلوم المختلفة وبثه إياها في الأمة، فليرجع إلى مقدمة ابن أبي الحديد في كتابه شرح النهج.

(3) ستتم الإشارة إلى تفاصيل تلك المدرسة العلمية الكبيرة التي قادها بحكمة وإتقان الإمامان ﷺ عند الحديث عن سيرتهما.

الدينية، وفصّل ما كان مجملاً منها، وشرح ما كان مغلقًا، وكانت أحاديثه عليه السلام ناظرة لأحاديث آبائه بالشرح أو التخصيص والتقييد أو رفع التعارض الظاهري او غيرها.

قرائن على الدور العلمي الاستثنائي لعالم آل محمد:

1/ **طول الفترة الزمنية:**

نستطيع القول إنَّ عمر الإمام الرضا عليه السلام والذي امتد إلى نحو 55 سنة، كان أكثره في نشر العلم والمعرفة، فإنه تصدى للمباحثات العلمية، والإجابة عن الأسئلة المختلفة، ولما يبلغ العشرين من عمره الشريف واستمر هذا إلى زمان شهادته في سنة 203هـ. أي أنه قد تصدى لذلك مدة تزيد على خمس وثلاثين سنة وهي مدة طويلة. بعضها كان قبل زمان إمامته الفعلية، وعشرون سنة منها كانت بعد تصديه للإمامة سنة 183هـ، بعد شهادة أبيه موسى بن جعفر عليهما السلام.

وحتى بعد استقدامه من قبل المأمون إلى خراسان لولاية العهد فإن الإمام عليه السلام لم يشغل نفسه بالأمور التنفيذية التي تتطلبها الدولة، والقضايا الإجرائية من تولية وعزل، واستقبالات وما شاكلها مما كان يريد المأمون إشغال الإمام بها لغايات مختلفة، وقد اشترط الإمام على المأمون ذلك، وإنما جعل الديوان الرسمي للخلافة، وبيته الخاص مدرسة يتوافد عليه فيها طالبو العلم، بل حوّل

المناظرات التي رتب لها المأمون ـ بهدف إحراج الإمام ـ إلى ما يشبه المؤتمر العالمي الذي سيتبين فيه علم أهل البيت على يد عالم آل محمد، الأمر الذي جعل المأمون يندم على ذلك، إذ تعاظمت منزلة الإمام عند العلماء وعامة الناس أكثر فأكثر.

العدد الكبير للرواة والتلامذة:

إن هذا العنوان أيضًا يشير إلى عظمة الدور العلمي الذي كان الإمام الرضا عليه السلام يضطلع به، فإن مما يعرف به سعة الدور العلمي هو الأثر الذي يبرز عن العالم من «كتب ناطقة» وهم التلامذة والرواة، ومن أخرى «صامتة» وهي المكتوبة على الأوراق.

وبالنظر إلى عدد الرواة والذين أخذوا العلم عنه، سواء كان ذلك مع الاستمرار منهم، أو مع الانقطاع وسواء كان أولئك جميعًا موثقين أو لم يكونوا، فإن العدد يعتبر كبيرًا، ففيما ذكر الشيخ القرشي رحمه الله أنهم كانوا نحو ثلاث مئة وسبعة وستين راويًّا[1]، ذهب الشيخ محمد نجف إلى أكثر من ضعف هذا العدد، وقال إن عددهم يبلغ ثماني مئة وأحد وثلاثين راويًّا[2]. وربما يكون الاختلاف في العدد هنا وغيره، بالإضافة إلى زيادة الاستقصاء واستدراك ما لم يصل له المتقدم، راجعًا إلى ورود

(1) القرشي؛ باقر شريف: حياة الإمام الرضا 2/ 180.

(2) نجف؛ محمد مهدي: الجامع لرواة وأصحاب الإمام الرضا ج 2/ 343.

بعض الأسماء تارة بالكنية وأخرى بدونها وثالثة باللقب أو بدونه.. وهكذا[1].

وأيًّا كان العدد الذي يطابق الواقع من الأعداد المذكورة، فإنه يعبّر عن الجهد الكبير الذي بذله الإمام الرضا عليه السلام في نشر العلم، وطول المدة الزمنية، بل وبالتتبع لمواضعهم نجد مساحة جغرافية واسعة، تمتد من المدينة المنورة والبصرة والكوفة ونيسابور وخراسان.

كما أن النظر إلى جامعية بعض تلامذته الكبار ـ وقد نأتي على ذكر بعضهم ـ وكثرة تأليفاتهم وتنوع مواضيعها أيضًا هو مؤشر على اتساع دور الإمام العلمي.

عدد الأحاديث ومواضيعها وخصوصياتها:

كذلك فإن مما يشير إلى عظمة الدور العلمي الذي اضطلع به الإمام عليه السلام، عدد الروايات التي وصلتنا عنه، مع اعتقادنا أنها ليست

(1) وقد أشار لذلك السيد محمد جواد الجلالي في مقدمة كتابه مسند الرضا/ 16، فقال: «ذكر الشيخ الطوسي في رجاله أسماء 320 شخصًا ممن روى عن الإمام الرضا عليه السلام».
وأعد الشيخ رضا الاستادي قائمة فيها 312 اسمًا للطبقة السادسة من الرواة ـ وهم من روى عن الإمام الرضا عليه السلام ـ معتمدًا في ذلك على كتاب مسند الإمام الرضا عليه السلام الذي أعده الشيخ عزيز الله العطاردي، إلا أن الملاحظ في هذه القائمة إيراد اسم الراوي لهذا المسند بثلاثة عناوين، مرة بالكنية (أبو أحمد الغازي) ومرة بالاسم (داود بن سليمان الفراء) وثالثه باسم (داود بن سليمان الغازي)، وأكد بعض الفضلاء أن الرواة عن الرضا عليه السلام أكثر من ذلك وإن في معجم رجال الحديث رواة عن الإمام لم ترد أسماؤهم في هذه القائمة. ونحن بدورنا تتبعنا عبارة (أصحاب الرضا عليه السلام) بالحاسوب الإلكتروني فظهر أنها كررت في 506 موضعًا».

كل ما قال وتحدث به وألقاه إلى الناس، فإننا نعلم أن قسمًا غير قليل من رواياتهم عليهم السلام، لم تنقل من الأساس؛ إذ ليس تلقي كل الناس لها بنحو واحد من الاهتمام، وكم كان يشتكي المعصومون من قلة وجود المستمع (اللقن) والحامل الأمين! وكذلك فإن ما نقل وكتب لم يسلم من ظروف الزمان والظالمين الذين كانوا يطاردون فكر الأئمة ويصادرون كتبهم ويتلفونها لو أمكنهم ذلك، أو أنها تخبأ خوفًا من السلاطين وربما تلف بعضها في هذه الأثناء[1]، وبعضها تم الإخبار عنها كعدد كبير لكننا لا نجد تلك الأخبار في المصنفات الموجودة[2].

وتتبع المرحوم الشيخ القرشي مناظرات الإمام واحتجاجاته الاثنتي عشرة مع أرباب الطوائف الدينية والمذهبية، ومؤلفاته من جوامع الشرائع والرسالة الذهبية، وصحيفة الرضا وما نسب

(1) ذكر المحدث الشيخ عباس القمي في كتابه منتهى الآمال 2/ 465 في ترجمة محمد بن أبي عمير أنه كان في زمن الرشيد والمأمون في محنة عظيمة فقد حبساه عدة سنوات وضرباه بالسياط لكي يتسلّم منصب القضاء ويعرّفهم على الشيعة لأنّه كان يعرف شيعة العراق، ولمّا ضرب مئة سوط لم يتحمّل وأراد أن يسمّي بعض الشيعة، فسمع صوت محمد بن يونس بن عبد الرحمن يناديه: يا محمد بن أبي عمير اذكر موقفك بين يدي الله فأمسك نفسه ولم يتفوّه باسم أحد منهم؛ ولقد تضرّر أكثر من مئة ألف درهم في ماله، وحبس أربع سنين، وجمعت أخته كتبه ووضعتها في بيت لكنّها تلفت بسبب الأمطار.

(2) فقد روى شيخ الطائفة الطوسي في كتابه الغيبة ص 101، عن عبد الله بن جعفر الحميري، عن محمد بن عيسى اليقطيني قال: لما اختلف الناس في أمر أبي الحسن الرضا عليه السلام جمعت من مسائله مما سئل عنه وأجاب عن خمسة عشر ألف مسألة! لكننا حين نفتش عن هذا العدد الكبير لا نجد في الكتب حتى نصفه!

إليه من فقه الرضا، واستعرض ما روي عنه من بحوث عقائدية وما جاء عنه في فضائل سور القرآن وتفسير آيات في نحو ثلاثين سورة منه وما جاء عنه في أحكام الفقه في أبوابه المختلفة نحو مئة وستين حديثًا، وما جاء في علل الأحكام وفلسفة تشريعها فجاءت في أكثر من مئة حديث، شملت علل وحِكَم الواجبات والأجزاء والشروط والموانع في العبادات، وتحريم بعض المحرمات والمنع منها، والإشارة إلى تفسير بعض الحوادث التي وقعت في الأمم السابقة وفي صدر الأمة الإسلامية.. كما أشار إلى بعض أحاديثه عليه السلام في الأخلاقيات وتهذيب النفس فجاء كل ذلك في نحو خمس مئة صفحة، توزعت على الجزئين الأول والثاني[1] من كتابه حول الإمام الرضا عليه السلام.

وأما الشيخ عزيز الله عطاردي فقد تتبع ما روي عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام في كتابه: (مسند الإمام الرضا) فجاء في جزئين كبيرين؛ الجزء الأول في 283 صفحة بعد استثناء المقدمة وما يرتبط بسيرة الإمام عليه السلام التاريخية والتي كانت في نحو مئتي صفحة، بينما جاء الثاني في خمس مئة وعشر صفحات بعد استثناء ما جمعه من أسماء الرواة والأصحاب والذين بلغ عددهم عنده ثلاث مئة واثني عشر.

(1) راجع كتابه بعنوان موسوعة سيرة أهل البيت في الطبعة الجديدة ج 30 و31.

وكنت أتمنى لو أن الشيخ العطاردي قد ضم إلى كتابه القيم، بعض الإحصائيات المرتبطة بالأحاديث، كعددها الإجمالي وتقسيمها بحسب مواضيعها وما شابه ذلك وما يرتبط بهذه الإحصائيات من ملاحظات ودراسة، وهو عمل لا يزال محل الحاجة فلو أن بعض أهل العلم تصدى له لكان شيئًا نافعًا..

إطلالة على بعض أحاديثه عليه السلام

سوف نلحظ أن الإمام عليه السلام جاء في فترة تعاظم فيها الاهتمام بالتراث الحديثي في المدرستين؛ فأما بالنسبة لمدرسة أهل البيت فإنها مع قيام الإمام الرضا بدوره العلمي ذاك، يكون قد مرَّ على اهتمامها بالحديث أكثر من 150 سنة، إذا حسبنا من بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، سنة 11هـ إلى ما نقل عن تصدي الإمام الرضا عليه السلام للإفتاء والإجابة عن الأسئلة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو دون العشرين أي نحو سنة 165هـ فقد تجمّع في هذه المدة مخزون علمي كبير من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأحاديث الأئمة من بعده، لا سيما وأنهم ـ على خلاف ما كان لدى مدرسة الخلفاء ـ كانوا يؤكدون على نشر الأحاديث ويوصون رواتهم بالكتابة لها والاحتفاظ بها مكتوبة حتى لا يضيع العلم الديني ويندثر.

وحتى بالنسبة لمدرسة الخلفاء ، فإنهم بعدما منعت السلطة الرسمية الحديث ونشره وكتابته بدءًا من أوائل أيام الخليفة

عمر بن الخطاب (تولى الحكم سنة 13هـ) إلى أوائل أيام عمر بن عبد العزيز حوالي سنة 99هـ. تم اتخاذ أمر سلطاني يقضي بجمع الأحاديث عن رسول الله[1]، فتحرك الكثيرون في هذا الاتجاه، وفي رد فعل على الاتجاه السابق فقد أعطيت القيمة العليا للأحاديث والروايات، حتى لو كانت مخالفة لما تقتضيه القواعد العقلية، والأصول الثابتة، لا لشيء إلا لأنه روى ذلك الحديثَ ثقةٌ!

ولهذا فقد انتشر من الأحاديث ما لا يصح وأصبح يشكل جزءًا من عقائد الناس فضلًا عن فقههم ومعارفهم العامة. وإننا ننظر إلى بعض أحاديث الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام على أنها تأسيس للمنهج الصحيح في التعامل مع الروايات، وتخطئة للطريقة القائمة والسائدة بين الكثير من المحدثين، فمع الاعتراف بحجية السنة ـ في ذاتها ـ وأنها لا تقل في صلاحيتها التشريعية عن آيات القرآن، لكن لا يعني ذلك أن السنة المنقولة بخبر الثقة هي بالضرورة كذلك، فلا بدَّ أن تجتاز النقد السندي والنقد المتني والمضموني، وألّا تعارض ثوابت العقول، ولا محكم الأصول الدينية!

(1) للتفصيل يراجع سلسلة أحاديثنا حول (سُنَّة النبي).

التعامل الصحيح مع الأحاديث

سوف نعرض لبعض الأحاديث التي قالها الإمام وأكد عليها، وهي بمثابة المقياس لما ينبغي التعامل به مع السنة.

1 ـ من الضروري أن يتم التأكد من أن الحديث منقول في ألفاظه بتمام ما له دخل في معناه، وإلا كان أقرب إلى الخطأ وأبعد عن الصواب، ولنأخذ على ذلك بعض الأمثلة:

فعن إبراهيم بن أبي محمود قال: قلت: للرضا عليه السلام يا بن رسول الله ما تقول في الحديث الذي يرويه الناس[1] عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: إن الله تبارك وتعالى ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا؟ فقال عليه السلام: لعن الله المحرفين الكلم عن مواضعه، والله ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كذلك إنما قال: إن الله تبارك وتعالى يُنزل مَلَكًا

(1) الغالب في هذا التعبير (الناس) في أحاديث المعصومين أن يكون إشارة إلى أتباع مدرسة الخلفاء، وقد ورد هذا الحديث في مصادرها، فمن ذلك حديث أبي هريرة «يَنْزِلُ ربُّنا إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر...» رواه البخاري (7494)، ومسلم (758) والحديث الآخر «إذا مضى ثلث الليل الأول هبط الله تعالى إلى السماء الدنيا فلم يزل هناك حتى يطلع الفجر...» رواه بأسانيد صحيحة وبألفاظ مختلفة أحمد في المسند (6/ 191) ورواهما غيرهم في مصادر كثيرة. وهو المعروف عن الحنابلة والسلفية في هذا الزمان بشكل واسع.
ومع أنه قد ورد في الكافي ما يوهم نسبة نزول الله سبحانه إلا أنه في أصل الحديث محتمل للنزول كما هو محتمل للتنزيل، ففي الكافي «**فإن ربك ينزل في أول ليلة الجمعة**...» والقراءة هنا محتملة للوجهين، والذي يعيِّن ويحدِّد القراءة هو ما جاء عن الإمام الرضا عليه السلام في تكذيب نزول الله سبحانه وأنه من تحريف الكلم عن مواضعه (لفظا أو معنى). وقد يكون تفسيره بما جاء في رواية تفسير القمي 2/ 204 بأنه ينزل أمره كل ليلة جمعة وأمامه ملك ينادي..

إلى السماء الدنيا كل ليلة في الثلث الأخير وليلة الجمعة في أول الليل فيأمره فينادي: هل من سائل فأعطيه، هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ يا طالب الخير أقبل! يا طالب الشر أقصر، فلا يزال ينادي بهذا حتى يطلع الفجر، فإذا طلع الفجر عاد إلى محله من ملكوت السماء. حدثني بذلك أبي عن جدي عن رسول الله عليه السلام.

فأنت ترى عزيزي القارئ أن كلمة (ملَكا) حين اختفت، تغير المعنى كاملًا، وأصبح الحديث أحد الأدلة عند بعض علماء مدرسة الخلفاء على نزول الله!! وهو ينتهي إلى إشكالات عقائدية كثيرة.

ومثل ذلك في الخلل المتني ما ورد في سؤال الحسين بن خالد، قال: قلت للرضا عليه السلام: يا بن رسول الله إن الناس يروون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: إن الله عز وجل خلق آدم على صورته، فقال: قاتلهم الله لقد حذفوا أول الحديث، إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرّ برجلين يتسابان، فسمع أحدهما يقول لصاحبه: قبح الله وجهك ووجه من يشبهك، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: يا عبد الله لا تقل هذا لأخيك، فإن الله عز وجل خلق آدم على صورته[1].

(1) الصدوق؛ محمد بن علي بن بابويه: التوحيد 153.

وهذا المعنى الأخلاقي المستقيم واضح بهذا المتن، لكنه نقل في مصادر مدرسة الخلفاء، بالنحو الآخر الذي ينتهي إلى تشبيه الله بخلقه، وأنّ له ـ تعالى عن ذلك ـ صورة تشبه صورة آدم والآدميين[1]!

2 ـ وقد يكون الحديث منقولًا بواسطة بعض الرواة، ولكنه مخالف للأصول الثابتة كآيات القرآن الكريم، أو الأدلة العقلية فلا يمكن قبوله مهما كان الناقل له ثقة! ولا ينبغي (تأليه) الحديث المنقول إلى درجة أنه حتى لو عارض القرآن أو العقل الصريح يعمل به! وإنما تكون معارضته للقرآن والعقل والأصول الدينية الثابتة دليلًا على عدم صحة ذلك الحديث. وعدم صحته لا يعني بالضرورة كذب الراوي أو كون الحديث موضوعًا، فقد يكون الراوي ـ مع كونه ثقة ـ مشتبِهًا في النقل.

فمن ذلك ما نقل من الحوار الذي دار بين الإمام علي بن موسى عليه السلام وبين أبي قرة المحدث...، إلى أن قال أبو قرة: فإنا

(1) يجمع ذلك ما قاله الشيخ عبد العزيز بن باز ـ المفتي العام ـ كما جاء في موقعه الإلكتروني binbaz.org في تفسير الحديث قال: «المراد خلقه الله على صورته هو سبحانه وتعالى، ولهذا في الحديث الآخر: خلق الله آدم على صورة الرحمن، وهي رواية جيدة أثبتها الإمام أحمد وغير الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه وآخرون، تفسر هذه رواية شبهة الضمير: (على صورته) أي: صورة الرحمن، والمعنى: أنه سبحانه وتعالى خلق آدم سميعًا بصيرًا يتكلم وله وجه وله يد وله قدم، وهكذا ربنا سبحانه: سميع بصير يتكلم وله وجهٌ وله يدان وله قدمٌ سبحانه.

روينا: أن الله قسم الرؤية والكلام بين نبيين، فقسم لموسى عليه السلام الكلام، ولمحمد صلى الله عليه وآله وسلم الرؤية.

فقال أبو الحسن عليه السلام: فمن المبلّغ عن الله إلى الثقلين الجن والإنس: أنه ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾[1]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾[2]، و﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[3]؟ أليس محمدٌ صلى الله عليه وآله وسلم؟

قال: بلى.

قال أبو الحسن: فكيف يجيء رجل إلى الخلق جميعًا فيخبرهم: أنه جاء من عند الله، وأنه يدعوهم إلى الله بأمر الله، ويقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾، و﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، ثم يقول: أنا رأيته بعيني، وأحطت به علمًا، وهو على صورة البشر، أما تستحيون؟! ما قدرت الزنادقة أن ترميه بهذا: أن يكون أتى عن الله بأمر ثم يأتي بخلافه من وجه آخر.

فقال أبو قرة: فتكذب بالرواية[4]؟

فقال أبو الحسن عليه السلام: إذا كانت الرواية مخالفة للقرآن كذبتها،

(1) الأنعام: 103.
(2) طه: 110.
(3) الشورى: 11.
(4) نلاحظ هنا أن الطريقة التي نعايشها في هذا الزمان من الإرهاب الفكري هي نفسها القديمة.. هل تكذب بالأحاديث؟ هل تخطّئ الصحابة؟!

وما أجمع المسلمون عليه أنه لا يحاط به علمًا، ولا تدركه الأبصار، وليس كمثله شيءٌ[1]..

وهكذا في حين كان المحدثون يبالغون في كل ما يشير إلى جسمانية الله ـ تعالى الله عن ذلك ـ وتشبيهه بخلقه، كان الإمام عليه السلام يشير إلى مخالفة تلك الروايات لما جاء في القرآن ولما يقتضيه البرهان العقلي.. ففي تتمة تلك الحوارية بين أبي قرة المحدث وبين الإمام عليه السلام .

قال أبو قرة: أفتكذب بالرواية: إن الله إذا غضب يعرف غضبه الملائكة الذين يحملون العرش، يجدون ثقله في كواهلهم فيخرّون سجدًا، فإذا ذهب الغضب خف فرجعوا إلى مواقفهم؟

فقال أبو الحسن عليه السلام: أخبرني عن الله تبارك وتعالى منذ لعن إبليس إلى يومك هذا وإلى يوم القيامة فهو غضبان على إبليس وأوليائه أو عنهم راض؟

فقال: نعم. هو غضبان عليه.

قال: فمتى رضي فخفّ وهو في صفتك لم يزل غضبانَ عليه وعلى أتباعه؟

ثم قال: ويحك كيف تجترئ أن تصف ربك بالتغير من حال

(1) الكليني؛ ثقة الإسلام: الكافي1/ 144.

إلى حال، وأنه يجري عليه ما يجري على المخلوقين؟! سبحانه لم يزل مع الزائلين ولم يتغير مع المتغيرين[1].

3 ـ وقد يكون الحديث ثابتًا في ألفاظه ولكنه يحتاج إلى توضيح لمعناه وإلّا واجه اشكالات؛ ومن ذلك ما رتب في الأحاديث من دخول الجنة مثلًا على قول بعض الأذكار السهلة! فمع أنها من حيث الرواية صحيحة، إلا أنها من حيث الدراية تحتاج إلى توضيح، مثل الحديث المعروف بحديث سلسلة الذهب،[2] عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: سمعت الله عز وجل يقول: لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي. قال: فلما مرت الراحلة نادانا بشروطها وأنا من شروطها[3]..

(1) المصدر نفسه 180.

(2) الشيخ الصدوق: عيون أخبار الرضا 2/ 144: حدثنا محمد بن موسى بن المتوكل رحمه الله قال: حدثنا أبو الحسين محمد بن جعفر الأسدي قال: حدثنا محمد بن الحسين الصولي قال: حدثنا يوسف بن عقيل عن إسحاق بن راهويه قال: لما وافى أبو الحسن الرضا عليه السلام نيسابور وأراد أن يخرج منها إلى المأمون اجتمع عليه أصحاب الحديث فقالوا له: يا بن رسول الله ترحل عنا ولا تحدثنا بحديث فنستفيده منك؟ وكان قد قعد في العمارية فاطلع رأسه وقال سمعت أبي موسى بن جعفر يقول: سمعت أبي جعفر بن محمد يقول: سمعت أبي محمد بن علي يقول: سمعت أبي علي بن الحسين يقول: سمعت أبي الحسين بن علي يقول سمعت أبي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقول سمعت النبي.. ونقل عن بعض أئمة الحديث قوله إنه لو قرئ هذا الإسناد على مجنون لأفاق! كما أنه بلغ هذا الحديث من الاشتهار والتظافر ما لا يحتاج معه إلى نظر في الأسانيد عند الإمامية بل عند غيرهم، حتى لقد قال المناوي في فيض القدير شرح الجامع الصغير4/ 641، ذاكرًا من دوّن الحديث بقوله «فعُدّ أهل المحابر والدواوين الذين كانوا يكتبون فأنافوا على عشرين ألفًا»! نعم كما هي العادة فإن بعضهم ضعفوا أسانيده تارة، وأسقطوا ما في آخره (من اشتراط الإمامة في دخول الجنة) أخرى لما هو معلوم من إحراج هذه الفكرة والفقرة لهم..

(3) الشيخ الصدوق: عيون أخبار الرضا 2/ 145.

ففرض من خلال ذلك أنه لا ينبغي التمسك بظاهر النص وحروفه لفهم المعنى، بحيث يكون كل من قال: «لا إله إلا الله» فإنه يأمن العذاب ويدخل الجنة، فلو كان كذلك فما فائدة اشتراط الإيمان بباقي العقائد، واشتراط الإتيان بالعبادات الواجبة، والقيام بالأعمال الصالحة؟

كل ذلك أجاب عنه الإمام بكلمة واحدة، وهي (بشروطها) ثم أشار إلى الاعتقاد بالإمامة والالتزام بمنهج الأئمة بقوله: وأنا من شروطها.

4 ـ ومن القواعد السليمة في التحديث أن يكلم الناس على قدر عقولهم[1]، وأن يترك ما لا تبلغه أفهامهم وإلا كان ذلك عليهم فتنة، وهو ما وجه إليه الإمام عليه السلام في مناسبات متعددة ولأشخاص كثيرين، فعن محمد بن عبيد قال: دخلت على الرضا عليه السلام فقال لي: قل للعباسي يكف عن الكلام في التوحيد وغيره ويكلم الناس بما يعرفون ويكف عمّا ينكرون، وإذا سألوك عن التوحيد فقل كما قال الله عز وجل: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ (*) ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ (*) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (*) وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[2] وإذا سألوك عن الكيفية فقل كما

(1) الكليني: الكافي1/ 71 عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما كلم رسول الله صلى الله عليه وآله العباد بكنه عقله قط، وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم.

(2) التوحيد: 1 ـ 4.

قال الله عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[1] وإذا سألوك عن السمع فقل كما قال الله عز وجل: ﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[2] فكلّم الناس بما يعرفون..

ولهذا قد يختلف بيان الإمام عليه السلام في مسألة لشخص عن بيانه لشخص آخر، وهذا ما نلحظه فيما قاله جوابًا للمأمون العباسي، حين سأله عن الحديث المعروف «عليٌّ قسيم الجنة والنار»، فقد أوضحه له بنحوٍ يسهل عليه، في حين بينما أوضحه لأبي الصلت بنحو آخر؛ فعن أبي الصلت الهروي قال: قال المأمون يومًا للرضا عليه السلام يا أبا الحسن أخبرني عن جدك أمير المؤمنين بأي وجه هو قسيم الجنة والنار وبأي معنى فقد كثر فكري في ذلك؟ فقال له الرضا عليه السلام: يا أمير المؤمنين ألم ترو عن أبيك عن آبائه عن عبد الله بن عباس أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: حب علي إيمان وبغضه كفر؟ فقال: بلى! فقال الرضا عليه السلام: فقسمة الجنة والنار إذا كانت على حبه وبغضه فهو قسيم الجنة والنار، فقال المأمون: لا أبقاني بعدك يا أبا الحسن أشهد أنك وارث علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: أبو الصلت الهروي: فلما انصرف الرضا عليه السلام إلى منزله أتيته فقلت له: يا بن رسول الله ما أحسن ما أجبت به أمير المؤمنين؟ فقال الرضا عليه السلام: يا أبا الصلت إنما كلمته حيث هو ولقد سمعت أبي

(1) الشورى: 11.
(2) المائدة: 76.

يحدث عن آبائه عن علي عليه السلام إنه قال: قال رسول الله: يا علي أنت قسيم الجنة يوم القيامة تقول للنار: هذا لي وهذا لك[1].

5 ـ بيان بعض مناشئ الكذب ووضع الأحاديث:

وقد ذكر عليه السلام مقاييس مهمة؛ يتبين بها للناقد والباحث قسمًا مهمًّا مما وضعه الغلاة من جهة والمقصرون المعادون من جهة أخرى، من الأحاديث للصد عن طريق أهل البيت وهو النمرقة الوسطى والسبيل المستقيمة، بحيث أن الإمام عليه السلام عقّب على ذكره تلك القواعد بأنها جمعت خير الدنيا والآخرة لمن يعمل بها بعد فهمها؛ ففي حديث طويل قال إبراهيم بن أبي محمود: فقلت للرضا: يا بن رسول الله إن عندنا أخبارًا في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام وفضلكم أهل البيت وهي من رواية مخالفيكم ولا نعرف مثلها عندكم أفندين بها؟ فقال: يا بن أبي محمود لقد أخبرني أبي عن أبيه عن جده عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: من أصغى إلى ناطق فقد عبده فإن كان الناطق عن الله عز وجل فقد عبد الله وإن كان الناطق عن إبليس فقد عبد إبليس ثم قال الرضا: يا بن أبي محمود إن مخالفينا وضعوا اخبارًا في فضائلنا وجعلوها على ثلاثة أقسام:

(1) الصدوق: عيون أخبار الرضا 2/ 92 حدثنا تميم بن عبد الله بن تميم القرشي قال: حدثني أبي عن أحمد بن علي الأنصاري عن.. ونلحظ أيضًا أن الإمام عليه السلام استشهد بحديث عبد الله بن عباس (الجد الأعلى للمأمون).

أحدها: الغلو،

وثانيها: التقصير في أمرنا،

وثالثها: التصريح بمثالب أعدائنا؛

فإذا سمع الناس الغلو فينا كفّروا شيعتنا ونسبوهم إلى القول بربوبيتنا. وإذا سمعوا التقصير اعتقدوه فينا وإذا سمعوا مثالب أعدائنا بأسمائهم ثلبونا بأسمائنا وقد قال الله عز وجل: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾[1] يا بن أبي محمود إذا أخذ الناس يمينًا وشمالًا فالزم طريقتنا؛ فإنه من لزمنا لزمناه ومن فارقنا فارقناه إنّ أدنى ما يخرج به الرجل من الإيمان أن يقول للحصاة: هذه نواة ثم يدين بذلك ويبرأ ممن خالفه يا بن أبي محمود احفظ ما حدثتك به فقد جمعت لك خير الدنيا والآخرة[2].

بل إننا نجد أن الإمام الرضا عليه السلام قد علم تلامذته بالإضافة إلى طرق نقد الحديث وبيان السقيم منه عبر العلامات العامة التي مرت، فبرع بعضهم في ذلك حتى كانوا يردون قسمًا من الأحاديث

(1) الأنعام: 108.

(2) الصدوق: عيون أخبار الرضا 1/ 272 وقد علق الشيخ التستري في كتابه الأخبار الدخيلة 1/ 220 على هذا الخبر بقوله: قلت: وأظنّ أنّ الأخبار الّتي روت العامّة في تفسير قوله تعالى: «وَالنَّجْمِ إِذا هَوى» أنّ المراد سقوط نجم في دار عليّ بن أبي طالب عليه السلام دليلًا على إمامته، من هذا القبيلَ الّذي قاله الرّضا عليه السلام وإن نقله عنهم بعض الخاصّة غفلة عن حقيقة الحال فإنّ أصغر النجوم أكبر من الأرض إلى التخوم فكيف يعقل سقوط نجم في دار.

المعروفة عند الأصحاب وحتى اشتهر عنه ذلك[1]، ومن أشهر هؤلاء كان يونس بن عبد الرحمن إذ «قيل ليونس: ما أكثر إنكارك لما يرويه أصحابنا؟ فقال: «حدّثني هشام بن الحكم أنّه سمع الصادق عليه السلام يقول: لا تقبلوا علينا حديثاً إلّا ما وافق القرآن والسنّة أو تجدون معه شاهدًا من أحاديثنا المتقدّمة؛ فإنّ المغيرة بن سعيد دسّ في كتب أصحاب أبي ما لم يحدّث أبي بها».

وقال: عرضت كتب كثير من أصحاب الصادق عليه السلام على الرّضا عليه السلام فأنكر منها أحاديث كثيرة أن تكون من الصادق عليه السلام، وقال: «إنّ أصحاب أبي الخطّاب يدسّون إلى يومنا في كتب أصحاب الصادق عليه السلام فلا تقبلوا علينا خلاف القرآن فإنّا إذا تحدّثنا حدّثنا بموافقة القرآن وموافقة السنّة. إنّا عن الله وعن رسوله نحدّث ولا نقول: «قال فلان وقال فلان» فيتناقض كلامنا. إنّ كلام آخرنا مثل كلام أوّلنا وكلام أوّلنا مصدّق لكلام آخرنا، وإذا أتاكم من يحدّثكم بخلاف ذلك فردّوه عليه وقولوا: أنت أعلم وما جئت به، فإنّ مع كلّ قول منّا حقيقة، وعليه نور، فما لا حقيقة له ولا نور عليه فذلك قول الشيطان»[2].

6 ـ الرواية عن آبائه وأجداده عليهم السلام:

(1) ولعل هذا أحد الأسباب التي جعلت يونس بن عبد الرحمن مبغوضًا من قبل بعض أولئك الرواة، حيث أنهم يقولون فيه بحضرة الرضا عليه السلام ما يقولون ويتهجمون عليه!

(2) التستري؛ الشيخ محمد تقي: الأخبار الدخيلة1/ 221.

نلحظ في أحاديث الإمام الرضا عليه السلام تكرر الإسناد إلى أبيه عن أبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد لاحظ بعض الرواة ذلك فقال: «وكان عليه السلام لا ينزل بلدًا إلا قصده الناس يستفتونه في معالم دينهم فيجيبهم ويحدثهم الكثير عن أبيه عن آبائه عن عليٍّ عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»[1]، وبتتبع بسيط في كتاب مسند الإمام الرضا وجدنا أنه يحتوي على نحو مئة مورد[2]، كان طريق الرواية هكذا عن أبيه عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وهذا يستوقف الناظر للبحث عن جهة هذا النحو من التعبير والرواية، ولعلنا نستطيع أن نستكشف الأمور التالية:

(1) عطاردي؛ الشيخ عزيز الله: مسند الإمام الرضا 1/ 44.

(2) لا يختص هذا بالإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام بل قد وجدناه في حديث جده الإمام جعفر الصادق عليه السلام، حيث أورد العطاردي في مسند الإمام الصادق (22 جزءًا) نحو360 موردًا مما جاء التعبير فيه بالنحو المذكور والغالب فيها ما كان الراوي عن الإمام الصادق إسماعيل بن زياد السكوني وهو من أتباع مدرسة الخلفاء كما هو المشهور. وهذا ما أشرنا إليه في المتن. ويشمل بعض الرواة عن الإمام علي الرضا.

ثم إنه قد ورد في موقع الكتروني: http://www.islamquest.net/ar/

إحصاء عن الروايات التي جاءت بالنحو المذكور، وذكر فيه أنه قد ورد في الكتب الحديثية الشيعية ما يقرب من 6671 حديثًا عن الأئمة عليهم السلام استعمل فيها عبارة «عن آبائه عن رسول الله منها: 268 حديثًا في الكتب الأربعة موزعة بالنحو التالي: 60 حديثا في الكافي، 46 حديثًا في من لا يحضره الفقيه، 128 حديثًا في كتاب التهذيب و34 حديثًا في الاستبصار...» ونحن نعتقد أن العدد المذكور مبالغ فيه إذا كان المقصود، أن هذا العدد من الأحاديث (مختلفة المضامين)، وإذا صح فلا بدَّ أن يكون مشتملًا على المكررات، فقد يكون الحديث الواحد متكررًا في الكتب الأربعة وفي غيرها فقد يحسب الحديث الواحد 10 أحاديث لتكرره في هذه الكتب بينما هو في الواقع حديث واحد. ويشهد لذلك أن أكثر من روي عنهم بهذه الطريقة من الإسناد هو الإمام الصادق عليه السلام ولا تتجاوز الأحاديث التي رويت عنه بهذا الإسناد 268، كما ذكرنا آنفًا. وبعض الأئمة لا نجد هذه الطريقة من الإسناد في أحاديثهم.

أولها: أنه قد يكون الراوي أو بعض الحاضرين السامعين للرواية، هم من غير شيعة أهل البيت، وبالتالي فإنهم لا يتعاملون مع الأئمة على أن قولهم ـ بذاته ـ حجة مستقلة، وسنة يجب العمل على طبقها، وقبولها كما هي أحاديث رسول الله ﷺ، وهو ما يعتقده شيعة أهل البيت عليهم السلام.

وإنما يتعامل أولئك (غير شيعتهم) معهم عليهم السلام، باعتبارهم رواة ثقات عن رسول الله ﷺ أو عن جدهم أمير المؤمنين علي وهو إنما ينقل عن رسول الله. وهذا ما نلاحظه في روايات السكوني ـ إسماعيل بن أبي زياد ـ عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام. وأيضًا في روايات الرواة غير الشيعة عن الإمام الرضا عليه السلام لا سيما في فترة وجوده في خراسان، حيث كان الرواة فيها على غير منهج أهل البيت، وأشهر تلك الروايات حديث سلسلة الذهب الذي صرح فيه الإمام الرضا عليه السلام بسماعه من أبيه الإمام موسى، والإمام موسى من أبيه الإمام جعفر وهكذا إلى رسول الله ﷺ.

ثانيها: إنه قد يراد التأكيد على أن علوم المعصومين هي وراثة عن آبائهم عن النبي ﷺ، وبالتالي فهي ليست من الآراء الشخصية والاجتهادية، والتي لا ترقى عن مستوى الظنون البشرية، وإنما هي (أصول علم نتوارثها كابرًا عن كابر). وذلك لأن أتباع مدرسة الخلفاء كانوا يعيبون على شيعة أهل البيت

أن أحاديثهم ليست تامة النسبة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم. وقد أشار المرحوم المرجع الديني السيد محمد سعيد الحكيم لهذا المعنى فقال: عن «أحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يصرح الإمام عليه السلام بسنده فيها. وهي في بدو النظر مرسلة. لكنها في الحقيقة ترجع للمسانيد، لما هو المعلوم من حالهم من أن كل إمام إنما يأخذ عن أبيه، وإنما حذف السند للاختصار. وقد ورد منهم عليهم السلام التصريح بذلك.

ففي حديث جابر: قلت لأبي جعفر عليه السلام: إذا حدثتني بحديث فأسنده لي. فقال: حدثني أبي عن جدي عن رسول الله صلوات الله عليهم عن جبرئيل عليه السلام عن الله عز وجل. وكل ما أحدثك بهذا الإسناد.

وفي حديث هشام بن سالم وحماد بن عثمان وغيره، قالوا: سمعنا أبا عبد الله عليه السلام يقول: حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قول الله عز وجل...»[1].

ومثل ذلك ما عن محمد بن عبد الله بن طاهر قال: كنت واقفًا

(1) الحكيم؛ السيد محمد سعيد: في رحاب العقيدة 3/ 149.

على رأس أبي، وعنده أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وأبو الصلت الهروي، فقال أبي: ليحدث كل رجل منكم بحديث. فقال أبو الصلت: حدثني علي بن موسى الرضا ـ وكان والله رضا كما سمي ـ عن أبيه موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه عليٍّ عليه السلام، قال: قال رسول الله: الإيمان قول وعمل. فقال بعضهم: ما هذا الإسناد؟! فقال له أبي: هذا سعوط المجانين، إذا سعط به المجنون برئ[1].

وثالثها: إن هذه المضامين التي يقولها الإمام الرضا عليه السلام، ويسبقها بالقول بأنها عن آبائه، مع أن الكثير منها يرويه المؤمن بولايتهم وإمامتهم كما هو حال أبي الصلت الهروي وغيره، قد يراد التأكيد على أنها من الأصول المشتركة المهمة التي كان يبلغها كل واحد من الأئمة عليهم السلام لكي تصل إلى كل الأجيال، ولعل الناظر في عناوين هذه الروايات سيجد أنها ضمن تصنيف الأصول من المعارف الدينية كما سنشير إلى بعضها لاحقًا. وكأنّ الإمام عليه السلام يريد أن يقول إن آبائي جميعًا كانوا يؤكدون على هذا المضمون ويشيعونه ويخبرونه عنه أبناءهم الأئمة التالين لهم، ليبلغه هؤلاء أيضًا لمن هم في زمانهم.

(1) المصدر السابق عن حلية الأولياء للأصفهاني.

عرض لبعض أحاديثه عن أبيه عن آبائه:

سيتبين لنا هنا أهمية هذه المضامين من خلال عرض بعض الأحاديث كشواهد من أحاديث كثيرة جدًا؛ فمن ذلك:

1 - ما ورد في معرفة الله وتنزيهه عن الجسمانية:

ففيما سلك علماء المدارس الحشوية والظاهرية القشرية مسلكًا انتهى بهم إلى التصديق بأحاديث آحاد تجعل ربهم شيئًا مرئيًّا، نزهت مدرسة أهل البيت ـ وكما أراد القرآن ـ الباري سبحانه عن أن يُرَى أو يُدرَك، وفي هذا المجال فقد تصدى الإمام الرضا عليه السلام ببيان خطأ وخطل تلك الطريقة، فقد سأله أحد أصحابه قائلًا: يا بن رسول الله ما تقول في الحديث الذي يرويه أهل الحديث: إن المؤمنين يزورون ربهم في منازلهم في الجنة؟

فقال عليه السلام: يا أبا الصلت، إن الله تبارك وتعالى فضل نبيه محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم على جميع خلقه من النبيين والملائكة وجعل طاعته طاعته ومتابعته متابعته وزيارته في الدنيا والآخرة زيارته فقال عزّ وجلّ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾[1] وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾[2] وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: من زارني في حياتي أو بعد موتي فقد زار الله تعالى! ودرجة

(1) النساء: 80.
(2) الفتح: 10.

النبي ﷺ في الجنة أرفع الدرجات فمن زاره في درجته في الجنة من منزله فقد زار الله تبارك وتعالى.

قال: فقلت له: يا بن رسول الله فما معنى الخبر الذي رووه: إن ثواب لا اله إلا الله النظر إلى وجه الله تعالى؟ فقال عليه السلام: يا أبا الصلت من وصف الله تعالى بوجه كالوجوه فقد كفر، ولكن وجه الله تعالى أنبياؤه ورسله وحججه صلوات الله عليهم هم الذين بهم يتوجه إلى الله عز وجل وإلى دينه ومعرفته وقال الله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (*) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[1] وقال عز وجل: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[2]؛ فالنظر إلى أنبياء الله تعالى ورسله وحججه عليهم السلام في درجاتهم ثواب عظيم للمؤمنين يوم القيامة، وقد قال النبي ﷺ: «من أبغض أهل بيتي وعترتي لم يرني ولم أره يوم القيامة»، وقال: إن فيكم من لا يراني بعد أن يفارقني. يا أبا الصلت، إن الله تبارك وتعالى لا يوصف بمكان ولا يدرك بالأبصار والأوهام.

2 - هل الجنة والنار مخلوقتان؟

يجيب الإمام الرضا عليه السلام عن ذلك بنعم، إنهما مخلوقتان، لا أنهما ستخلقان بعد نهاية الدنيا ويوم القيامة. وقد ذهب بعض المعتزلة والذين كان لهم صولة وجولة أيام المأمون إلى أنهما

(1) الرحمن: 26ـ27.
(2) القصص: 88.

غير مخلوقتين وإنما ستخلقان فيما بعد؛ لأنه لا حكمة في خلقهما قبل يوم الجزاء! وهو كما ترى ضعيف للغاية، فقد ذكر الإمام عليه السلام بالإضافة إلى آيات القرآن المشيرة إلى وجود جهنم وإشارة القرآن إليها بعنوان ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ﴾ وأيضًا ما ورد في حديث المعراج الذي اتفق عليه المسلمون مع تصريح القرآن بقضيته، وما جاء فيه من أن النبي عاين الجنة والنار.. وأشار الإمام عليه السلام إلى موضوع خلقة فاطمة وأنها تخلقت من طعام الجنة الذي أكله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن اعتزل خديجة واعتكف صائمًا، فتخلقت فاطمة من ذلك، ولعل الإمام عليه السلام يشير من طرف خفي إلى أن القائلين بعدم مخلوقية الجنة يريدون إنكار هذه المنقبة العظيمة لها. قال عليه السلام لمن سأله عن أن الجنة والنار مخلوقتان أو لا بالإيجاب وأضاف: «إن رسول الله قد دخل الجنة ورأى النار لما عرج به إلى السماء قال: فقلت له: إن قومًا يقولون: إنهما اليوم مقدرتان غير مخلوقتين فقال عليه السلام: لا هم منا ولا نحن منهم من أنكر خلق الجنة والنار كذب النبي وكذبنا وليس من ولايتنا في شيء ويخلد في نار جهنم. قال الله تعالى: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ (*) يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾[1] وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: لما عُرّج بي إلى السماء أخذ بيدي جبرائيل عليه السلام فأدخلني الجنة

(1) الرحمن: 43ـ44.

فناولني من رطبها فأكلته فتحول ذلك نطفة في صلبي، فلما هبطت الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة عليها السلام؛ ففاطمة حوراء إنسية فكلما اشتقت إلى رائحة الجنة شممت رائحة ابنتي فاطمة عليها السلام.

3 - منزلة النبي المصطفى وعصمة الأنبياء:

في بيانه عليه السلام منزلة النبي المصطفى، روى أبو الصلت الهروي عنه عن آبائه عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما خلق الله خلقًا أفضل مني ولا أكرم عليه مني!

قال عليٌّ عليه السلام: فقلت: يا رسول الله فأنت أفضل أم جبرئيل[1]؟

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: يا علي إن الله تبارك وتعالى فضل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقربين وفضلني على جميع النبيين والمرسلين والفضل بعدي لك يا علي وللأئمة من بعدك وإن الملائكة لخدامنا وخدام محبينا!

ومن القضايا المهمة التي أوضحها الإمام الرضا بالتفصيل، هو عصمة الأنبياء والمرسلين، وحلُّ مشكلة ظهور بعض الآيات

(1) لا ريب أن أمير المؤمنين عليًّا يعلم - بل يعلم ذلك كل من له حظ من العلم أن رسول الله خير من جبرئيل وجميع ملائكة الله مجتمعين، ولكن هذا السؤال هو على طريقة ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ﴾[طه: 17] فالمراد هنا أن يتم الجواب التفصيلي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ليكون مستندًا ودليلًا وحجة. فكان أن أجابه النبي مبينًا فضل ذاته المقدسة، بل وفضل وصيه أمير المؤمنين وأبنائه المعصومين. ويكفي ذلك فائدة في مثل هذا السؤال.

البدْوي في ارتكابهم المعصية أو الذنب.. وهي المعضلة التي زلت فيها أقدام كثير من العلماء فنسبوا للأنبياء المعصومين صدور الذنوب منهم، وتسربت بعض الآراء الإسرائيلية المحرفة في هذا الباب للثقافة الإسلامية وتفسير القرآن الكريم.

ففي أحد حواراته مع العلماء قام إليه علي بن محمد بن الجهم فقال له: يا بن رسول الله أتقول بعصمة الأنبياء؟

قال: نعم؛ قال: فما تعمل في قول الله عز وجل: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾[1] وفي قوله عز وجل: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾[2] وفي قوله عز وجل في يوسف عليه السلام: ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا﴾[3] وفي قوله عز وجل في داود: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾[4] وقوله تعالى في نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ﴾[5]؟

فقال الرضا عليه السلام: ويحك يا علي، اتق الله ولا تنسب إلى أنبياء الله الفواحش ولا تتأول كتاب الله برأيك فإن الله عز وجل قد قال: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾[6].

(1) طه: 121.
(2) الأنبياء: 87.
(3) يوسف: 24.
(4) ص: 24.
(5) الأحزاب: 37.
(6) آل عمران: 7.

وأما قوله عز وجل في آدم: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾[1] فإن الله عز وجل خلق آدم حجة في أرضه وخليفة في بلاده لم يخلقه للجنة وكانت المعصية من آدم في الجنة لا في الأرض فلما أُهبط إلى الأرض وجعل حجة وخليفة عصم بقوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2].

وأما قوله عز وجل: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾[3] إنما ظنَّ بمعنى استيقن أن الله لن يضيق عليه رزقه! ألا تسمع قول الله عز وجل: ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ﴾[4] أي ضيَّق عليه رزقه ولو ظن أن الله لا يقدر عليه لكان قد كفر.

وأما قوله عز وجل في يوسف: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا﴾[5] فإنها همَّت بالمعصية وهمَّ يوسف بقتلها أنْ أجبرته لعظم ما تداخله فصرف الله عنه قتلها والفاحشة وهو قوله عز وجل: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ﴾[6] يعني القتل والزنا.

وأما داود عليه السلام فما يقول مَنْ قِبلكم فيه؟

(1) طه: 121.
(2) آل عمران:33.
(3) الأنبياء: 87.
(4) الفجر: 16.
(5) يوسف: 24.
(6) يوسف: 24.

فقال علي بن محمد بن الجهم: يقولون: إن داود عليه السلام كان في محرابه يصلي فتصور له إبليس على صورة طير أحسن ما يكون الطيور، فقطع داود صلاته وقام ليأخذ الطير فخرج الطير إلى الدار فخرج الطير إلى السطح فصعد في طلبه فسقط الطير دار أوريا بن حنان فاطلع داود في أثر الطير بامرأة أوريا تغتسل فلما نظر إليها هواها وقد اخرج أوريا في بعض غزواته فكتب إلى صاحبه أن قدم أوريا أمام التابوت فقدم فظفر أوريا بالمشركين فصعب ذلك على داود فكتب إليه ثانية أن قدمه أمام التابوت فقُدم فقُتل أوريا فتزوج داود بامرأته!

قال: فضرب الرضا عليه السلام بيده على جبهته وقال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون! لقد نسبتم نبيًّا من أنبياء الله إلى التهاون بصلاته حتى خرج في أثر الطير ثم بالفاحشة ثم بالقتل!

فقال: يا بن رسول الله فما كان خطيئته؟

فقال: ويحك! إن داود إنما ظن أن ما خلق الله عز وجل خلقًا هو أعلم منه فبعث الله عز وجل إليه الملكين فتسورا المحراب فقالا: ﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْۖ قَالُواْ لَا تَخَفْۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ (*) إِنَّ هَٰذَآ

أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ﴾[1] فعجل داود عليه السلام على المدعى عليه فقال: ﴿قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ ﴾[2] ولم يسأل المدعي البينة على ذلك ولم يقبل على المدعى عليه فيقول له: ما تقول؟ فكان هذا خطيئة رسم الحكم لا ما ذهبتم إليه ألا تسمع الله عز وجل يقول: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾[3] إلى آخر الآية.

فقال: يا بن رسول الله فما قصته مع أوريا؟

فقال الرضا عليه السلام: إن المرأة في أيام داود عليه السلام كانت إذا مات بعلها أو قُتل لا تتزوج بعده أبدًا وأول من أباح الله له أن يتزوج بامرأة قتل بعلها كان داود عليه السلام فتزوج بامرأة أوريا لما قتل وانقضت عدتها منه فذلك الذي شق على الناس من قبل أوريا.

وأما محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقول الله عز وجل: ﴿وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ ﴾[4] فإنّ الله عزّ وجل عرّف نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أسماء أزواجه في دار الدنيا وأسماء أزواجه في دار الآخرة

(1) ص: 22 ـ 23.
(2) ص: 24.
(3) ص: 26.
(4) الأحزاب: 37.

وأنهن أمهات المؤمنين، وإحدى من سمى له زينب بنت جحش وهي يومئذ تحت زيد بن حارثة فأخفى اسمها في نفسه ولم يبده لكيلا يقول أحد من المنافقين إنه قال في امرأة في بيت رجل انها إحدى أزواجه من أمهات المؤمنين وخشي قول المنافقين، فقال الله عزّ وجل: ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ يعني في نفسك وأن الله عز وجل ما تولّى تزويج أحد من خلقه إلا تزويج حوّا من آدم عليه السلام وزينب من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾[1] وفاطمة من علي عليه السلام. قال: فبكى علي بن محمد بن الجهم وقال: يا بن رسول الله أنا تائب إلى الله عز وجل من أن أنطق في أنبياء الله عليهم السلام بعد يومي إلا بما ذكرته[2].

4 - ما ورد في ولاية أمير المؤمنين:

فإنه في هذه الأحاديث جعل محور الفلاح والنجاة باتباع عليّ عليه السلام والقبول بإمامته والسير على منهاجه بركوب سفينة تعاليمه، ومن فعل ذلك فإنه يكتب من أصحاب الجنة، بخلاف من عاداه وأبغضه فإنّه من أصحاب الويل وحطب النار، فعن إسماعيل بن علي بن رزين أخي دعبل عن أبيه قال: حدثنا الإمام أبو الحسن علي بن موسى الرضا عن أبيه عن آبائه عليهم السلام

(1) الأحزاب: 37.
(2) الصدوق: عيون أخبار الرضا 1/ 173.

قال: «إن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية: ﴿لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾[1] فقال عليه السلام: أصحاب الجنة من أطاعني وسلّم لعلي بن أبي طالب بعدي وأقرّ بولايته، وأصحاب النار من سخط الولاية ونقض العهد وقاتله بعدي»[2].

وعن الحسين بن خالد عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: «قال: رسول الله ﷺ من أحب أن يركب سفينة النجاة ويتمسك بالعروة الوثقى ويعتصم بحبل الله المتين فليوالِ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعدي»[3].

فمن الملاحظ هنا أن إسماعيل بن علي بن رزين، والحسين بن خالد إماميّان، ولا حاجة اعتقادية تدعو إلى أن يسند الإمام الحديث إلى آبائه الكرام إلى رسول الله ﷺ، وإنما قد يكون لتأكيد الوجه الثاني أو الثالث المذكورين.

5 - ومنها ما جاء في تخطئة الإمام الرضا عليه السلام المناهج الباطلة:

في تفسير القرآن واستنباط الأحكام الفقهية، فإن هذا المعنى الهام الذي يعتبر من أصول المعرفة الدينية اللازمة، قد تعرض إليه عليه السلام، وأورده مسندًا عن آبائه الكرام إلى الباري

(1) الحشر: 20.
(2) العاملي؛ محمد بن الحسن الحر: إثبات الهداة 3/ 28.
(3) الديلمي؛ الحسن بن محمد: إرشاد القلوب2/ 218.

سبحانه وتعالى، فـ «عن الريان بن الصلت، عن علي بن موسى الرضا، عن أبيه، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: قال الله عز وجل: ما آمن بي من فسر برأيه كلامي، وما عرفني من شبهني بخلقي، وما على ديني من استعمل القياس في ديني»[1]، فقد نفى في هذا الحديث إيمان من يفسر القرآن برأيه، وهذا أشد تعبير ممكن في نفي صوابية هذا المنهج، ونفى المعرفة عن طريقة المشبهة والمجسمة الذين لا يفهمون إشارات القرآن ولا يهتمون بأحكام العقل ويقدمون على ذلك روايات لم تثبت قطعيًا، وكان الأولى بهم أن يعرضوها على محكمات القرآن، كما صنع الإمام الرضا مع أبي قرة المحدث عندما رد رواياته التجسيمية بمحكمات الآيات القرآنية! وهكذا الحال في نفي طريقة القياس بحيث يتراجع العمل بالعلم النبوي والمعصومي أمام آراء البشر في استنباطاتهم الظنية لما يتصورونه عللًا وأسبابًا للأحكام ويرتبون نفس الحكم فيما يرونه شبيها بها.. إن الإمام عليه السلام هنا ينقل عن آبائه عن النبي عن الله أن من يستعمل القياس في استنباط الأحكام هو على غير دين الله.

والكلام الذي قلنا في السطور السابقة جارٍ هنا؛ فإن الريان بن الصلت الأشعري هو من أصحاب الإمام المعتقدين بإمامته فلا

(1) الصدوق؛ محمد بن علي بن بابويه: الأمالي 55.

يحتاج مع هذا لإسناد الحديث إلى آباء الإمام عليهم السلام، ولكن الأمر كما قلنا من إشعار الراوي ومن يسمع الحديث من بعده بعظمة هذه المضامين.

6 - ومن ذلك ما يرتبط بالإيمان بعدد من القضايا الساخنة:

مثل قضية شفاعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقضية المهدي المنتظر وقيامه آخر الزمان، ولزوم الولاية لآل محمد عليهم السلام..

ففي حين نسب لبعض المسلمين عدم الإيمان بشفاعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم (بمعنى أنها لا تشمل من استحق النار من أهل الكبائر وإنما تقتصر على التائبين من المؤمنين دون الفساق من أمة النبي، وتكون بالنسبة لأولئك التائبين برفع درجاتهم في الجنة؛ لمخالفة ذلك كما زعموا لأصل الوعيد بالعقاب والنار) إلّا أن ذلك مخالف لما ورد في القرآن وفي السنة النبوية وأحاديث المعصومين من أهل البيت عليهم السلام. ففيما روي عن الإمام عن جده النبي في هذا تخطئة هذا القول واعتبار أن من آثاره ألّا ينال المنكر للشفاعة شفاعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم. فقد روى عن آبائه أنه: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من لم يؤمن بحوضي فلا أورده الله حوضي، ومن لم يؤمن بشفاعتي فلا أناله الله شفاعتي، ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم: إنما شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي، فأما المحسنون فما عليهم من سبيل»[1].

(1) الصدوق؛ محمد بن علي بن بابويه: الأمالي 56.

وفي التأكيد على ولاية أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، وأن أولياءه هم أصحاب الجنة؛ ولا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة، قال عليه السلام راويًا: عن آبائه عليهم السلام قال: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تلا هذه الآية: ﴿لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾[1] فقال عليه السلام: أصحاب الجنة من أطاعني وسلّم لعلي بن أبي طالب بعدي وأقرّ بولايته، وأصحاب النار من سخط الولاية ونقض العهد وقاتله بعدي»[2].

وكان التبشير بالمهدي المنتظر عجل الله فرجه الشريف، من الأمور التي اتفق عليها المعصومون عليهم السلام، بدءًا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانتهاء بالإمام العسكري عليه السلام، لما لهذه القضية من أهمية كبرى[3] في عقيدة المسلمين، وهذا ما نقل الإمام الرضا عليه السلام عن آبائه عن عليّ عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «والذي بعثني بالحق بشيرًا ليغيبن القائم من ولدي بعهد معهود إليه مني حتى يقول أكثر الناس: ما لله في آل محمّد حاجة، ويشك آخرون في ولادته فمن أدرك زمانه فليتمسك بدينه»[4]. ولم يكن هذا هو الحديث الوحيد الذي

(1) الحشر: 20.
(2) الحر العاملي: إثبات الهداة 3/ 28.
(3) لتفصيل آثار الاعتقاد بالمهدي عجل الله فرجه يراجع كتابنا: الإمام المهدي: عدالة منتظرة ومسؤولية حاضرة.
(4) الحر العاملي: إثبات الهداة 5/ 75.

ذكّر فيه الإمام بقضية المهدي ﷺ، بل ما من مناسبة تستوجب الحديث فيه إلا وذكره، فها هو يستوقف دعبلًا الخزاعي في قصيدته المشهورة التي ذكر فيه الإمام المهدي ليسأله عن سعة معارفه المهدوية، ولما رآها تحتاج إلى توسعة فعل ذلك؛ فقال له: «يا دعبل، الإمام بعدي محمد ابني وبعد محمد ابنه عليٌّ وبعد عليٍّ ابنه الحسن وبعد الحسن ابنه الحجة القائم المنتظر في غيبته المطاع في ظهوره، لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يخرج فيملأها عدلًا كما ملئت جورًا وظلمًا. وأما متى؟ فإخبارٌ عن الوقت ولقد حدثني أبي عن أبيه عن آبائه عن علي ﷺ أن النبي ﷺ قيل له: يا رسول الله! متى يخرج القائم من ذريتك؟ فقال: مَثَلُه مَثَلُ الساعة ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ﴾[1]»[2].

7 - ومن ذلك أيضًا شرح لبعض المصطلحات الواردة في الأحاديث:

مثل قوله لأبي الصلت عندما سمع الإمام الرضا يقول: «رحم الله عبدًا أحيا أمرنا! فقلت له: وكيف يحيى أمركم؟ قال: يتعلّم علومنا ويعلّمها الناس فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا»!

(1) الأعراف: 187.

(2) الصدوق: عيون أخبار الرضا 2/ 297.

قلت: يا بن رسول الله، فقد روي لنا عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: من تعلم علمًا ليماري به السفهاء أو يباهي العلماء أو ليقبل بوجوه الناس إليه فهو في النار!

فقال عليه السلام: صدق جدي عليه السلام. أفتدري من السفهاء؟ فقلت: لا يا بن رسول الله!

قال عليه السلام: هم قصاص مخالفينا أو تدري من العلماء؟ فقلت: لا يا بن رسول الله!

فقال: هم علماء آل محمد عليهم السلام الذين فرض الله طاعتهم وأوجب مودتهم ثم قال: أو تدري ما معنى قوله: أو ليقبل بوجوه الناس إليه؟ فقلت: لا! فقال عليه السلام يعني بذلك ادعاء الإمامة بغير حقها ومن فعل ذلك فهو النار»[1].

وأيضًا في توضيح ما أغلق فهمه على الناس من أحاديث المعصومين السابقين، فقد تولى توضيح ذلك وإزالة الصعوبة في فهمها، ونأتي بمثالين على ذلك؛ أحدهما: في حل اختلاف الروايات حول شجرة الجنة التي أكل منها نبي الله آدم؛ قال أبو الصلت عبد السلام بن صالح الهروي: قلت للرضا عليه السلام: يا بن رسول الله، أخبرني عن الشجرة التي أكل منها آدم وحواء ما كانت؟ فقد اختلف الناس فيها؛ فمنهم من يروي أنها الحنطة

(1) الصدوق: عيون أخبار الرضا 1/ 275.

ومنهم من يروى أنها العنب ومنهم من يروي أنها شجرة الحسد فقال عليه السلام: «كل ذلك حق قلت: فما معنى هذه الوجوه على اختلافها؟ فقال: يا أبا الصلت، إن شجرة الجنة تحمل أنواعًا فكانت شجرة الحنطة وفيها عنب وليست كشجرة الدنيا»[1].

والثاني في عقوبة ذراري قتلة الحسين، فعن أبي الصلت قال: «قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: يا بن رسول الله ما تقول في حديث[2] روي عن الصادق عليه السلام: أنه قال: إذا خرج القائم عليه السلام قتل ذراري قتلة الحسين عليه السلام بفعال آبائهم؟

فقال عليه السلام: هو كذلك!

فقلت: وقول الله عز وجل: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[3] ما معناه؟ قال: صدق الله في جميع أقواله ولكن ذراري قتلة الحسين عليه السلام يرضون بأفعال آبائهم ويفتخرون بها ومن رضي شيئًا كان كمن أتاه ولو أن رجلًا قتل بالمشرق فرضي بقتله رجل في المغرب لكان الراضي عند الله عز وجل شريك القاتل وإنما يقتلهم القائم عليه السلام إذا خرج لرضاهم بفعل آبائهم»[4].

(1) المصدر نفسه 274.

(2) المجلسي: بحار الأنوار45/ 298، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: «القائم والله يقتل ذراري قتلة الحسين بفعال آبائها».

(3) الأنعام: 164.

(4) الصدوق: عيون أخبار الرضا 1/ 247.

8 - ومنها بعض القواعد التي بها يحل التعارض بين الروايات وهو من أهم أبواب الفقه: والاستنباط فيه:

عن أبي الصلت قلت للرضا عليه السلام: «يابن رسول الله قد روي عن آبائك فيمن جامع في شهر رمضان أو أفطر فيه ثلاث كفارات وروي عنهم أيضًا كفارة واحدة؛ فبأي الخبرين نأخذ؟

فقال عليه السلام: «بهما جميعًا قال: متى جامع الرجل حرامًا أو أفطر على حرام في شهر رمضان فعليه ثلاث كفارات عتق رقبة وصيام شهرين متتابعين وإطعام ستين مسكيناً وقضاء ذلك اليوم وإن كان نكح حلالًا أو أفطر على حلال فعليه كفارةٌ واحدةٌ وقضاء ذلك اليوم وإن كان ناسيًا فلا شيء عليه»[1].

9 - توضيحه تاريخ أمه فاطمة الزهراء عليها السلام وآبائه:

يكتسب تاريخ الزهراء عليها السلام أهمية استثنائية في الكثير من تفاصيله، فإنه حتى الاختلاف في تاريخ الولادة قد يكون بعضه راجعًا إلى حذف مناقبها وفضائلها فإذا أصر بعض المؤرخين على أنه قبل البعثة بسنوات فقد لا يكون بعيدًا عن إنكار أن نطفتها تكونت من طعام الجنة في الحديث المشهور، وهكذا قد يكون لأجل أن تكون يوم توفيت كبيرة في السن وبالتالي فالأمر عادي!

(1) المصدر نفسه ص281.

ومثله الإصرار على أن زواجها كان عاديًّا وليس سماويًّا، وأمثال ذلك؛ من هنا نعتقد أن الإمام الرضا قد وضح هذه المعلومات عن حياتها من أجل حسم الموقف وفصل الخطاب فإن أهل الدار أدرى بما فيها.

ففيما يرتبط بعمرها وولادتها وشهادتها، روي عن نصر بن علي الجهضمي قال سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن عمر فاطمة عليها السلام، قال: ولدت فاطمة بعد ما أظهر الله نبوته بخمس سنين وقريش تبني البيت، وتوفيت ولها ثماني عشرة سنة وخمس وسبعون يومًا وكان عمرها مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمكة ثماني سنين وهاجرت مع النبي إلى المدينة وأقامت بالمدينة عشر سنين، وأقامت مع أمير المؤمنين من بعد وفاة رسول الله عليهما السلام خمسة وسبعين يومًا، وولدت الحسن بن علي عليهما السلام ولها إحدى عشرة سنة بعد الهجرة[1].

وفي تفاصيل زواجها وما يشير إلى عظمتها وعظمة أمير المؤمنين عليهما السلام روى الحسين بن خالد عن الإمام الرضا عن آبائه عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام قال: «قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا علي لقد عاتبتني رجال قريش في أمر فاطمة وقالوا: خطبناها إليك فمنعتنا وزوّجت عليًّا!

(1) عطاردي: مسند الإمام الرضا 1/ 335.

فقلت لهم: والله ما أنا منعتكم وزوّجته بل الله تعالى منعكم وزوّجه!

فهبط عليّ جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمد إنّ الله جل جلاله يقول: لو لم أخلق عليًّا عليه السلام لما كان لفاطمة ابنتك كفو على وجه الأرض آدم فمن دونه»[1].

وفي مظلوميتها في أبنائها وخاصة الإمام الحسين عليه السلام يحدث الإمام الرضا عن آبائه عليهم السلام جميعًا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «تحشر ابنتي فاطمة يوم القيامة ومعها ثياب مصبوغة بالدم فتعلق بقائمة من قوائم العرش فتقول يا عدل احكم بيني وبين قاتل ولدي، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: فيحكم الله تعالى لابنتي ورب الكعبة»[2].

كما نلحظ اهتمامًا منه عليه السلام بتاريخ آبائه وأجداده، وتسجيل ما هو الحق الصحيح فيه، ففي الرواية عن الرضا عليه السلام قال: «ومضى الحسن بن علي عليهما السلام وهو ابن سبع وأربعين سنة، وكان بين أبي محمد الحسن وأبي عبد الله الحسين عليهما السلام طهر وحمل، وكان حمل أبي عبد الله ستة أشهر ولم يولد لستة أشهر غير الحسين وعيسى بن مريم عليهما السلام، وأقام أبو محمد الحسن مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبع سنين، وأقام مع أمير المؤمنين عليه السلام ثلاثين سنة وكان عمره سبعًا وأربعين سنة»[3].

(1) الصدوق: عيون أخبار الرضا 1/ 203.
(2) المصدر نفسه 2/ 12.
(3) عطاردي: مسند الإمام الرضا 1/ 341.

ولم يترك الإمام الرضا بعض مناقب جده الحسين عليه السلام كقضية الملَك فطرس، الذي تمسح بمهد الحسين وهو رضيع فأرجعه الله سبحانه إلى مكانته الأولى التي فقدها.. في قضية مفصلة[1].

وهكذا التوجيه لرزيته الكبرى في يوم عاشوراء والآثار العظيمة المترتبة على زيارته والبكاء على مصيبته، كما عن الريان بن شبيب حيث قال: دخلت على الرضا فقال:...، يا بن شبيب إن المحرم هو الشهر الذي كان أهل الجاهلية يحرمون فيه الظلم والقتال لحرمته فما عرفت هذه الأمة حرمة شهرها ولا حرمة نبيها! لقد قتلوا في هذا الشهر ذريته وسبوا نساءه وانتهبوا ثقله فلا غفر الله لهم ذلك أبدًا!

يا ابن شبيب إن كنت باكيًا لشيء فابك للحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام فإنه ذبح كما يذبح الكبش وقتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلًا ما لهم في الأرض شبيهون ولقد بكت السماوات السبع والأرضون لقتله ولقد نزل إلى الأرض من الملائكة أربعة آلاف لنصره فلم يؤذن لهم فهم عند قبره شُعْث غُبْر إلى أن يقوم القائم عليه السلام فيكونون من أنصاره وشعارهم يا لثارات الحسين عليه السلام!

يا بن شبيب لقد حدثني أبي عن أبيه عن جده عليه السلام أنه لما قتل

(1) الطبري؛ محمد بن أبي القاسم: بشارة المصطفى 338.

جدي الحسين صلوات الله عليه أمطرت السماء دمًا وترابًا أحمرَ يا بن شبيب إن بكيت على الحسين حتى تصير دموعك على خديك غفر الله لك كل ذنب أذنبته صغيرًا كان أو كبيرًا قليلًا كان أو كثيرًا يا بن شبيب إن سَرّك أن تلقى الله عز وجل ولا ذنب عليك فزر الحسين عليه السلام يا بن شبيب إن سرك أن تسكن الغرف المبنية في الجنة مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فالعن قتلة الحسين يا بن شبيب إن سرك أن يكون لك من الثواب مثل ما لمن استشهد مع الحسين بن علي عليه السلام فقل متى ذكرته: ليتني كنت معهم فأفوز فوزًا عظيمًا يا بن شبيب إن سرك أن تكون معنا في الدرجات العلى من الجنان فاحزن لحزننا وأفرح لفرحنا وعليك بولايتنا فلو أن رجلًا أحب حجرًا لحشره الله عز وجل معه يوم القيامة[1].

وتفاصيل ما بعد واقعة كربلاء كانت حاضرة في حديث عالم آل محمد عليهم السلام، فعن الفضل بن شاذان قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: لما حمل رأس الحسين بن علي عليه السلام إلى الشام أمر يزيد لعنه الله فوضع ونصبت عليه مائدة فأقبل هو لعنه الله وأصحابه يأكلون ويشربون الفقاع فلما فرغوا أمر بالرأس فوضع في طست تحت سريره وبسط عليه رقعة الشطرنج وجلس يزيد عليه اللعنة يلعب بالشطرنج ويذكر الحسين وأباه وجده صلوات الله عليهم،

(1) الصدوق: عيون أخبار الرضا1/ 269.

ويستهزئ بذكرهم فمتى قَمَر صاحبه تناول الفقاع فشربه ثلاث مرات ثم صب فضلته ما يلي الطست من الأرض.. ومثل هذا الحديث عن أبي الصلت[1].

كتبٌ ومؤلفاتٌ

ثمة ملاحظة تستوقف الناظر لحياة الإمام علي بن موسى الرضا وهي أنه ألّف (أو أملى) كتابين بقيا إلى الآن بين أيدينا، ولعل الإشارة إليهما، تنفع في الإجابة عن سؤال ربما يذكره بعضهم في حياة الأئمة عليهم السلام وهو أنه لماذا لم يؤلّف الأئمة كتابًا في كل باب من الأبواب، ليكون به فصل الخطاب، ومحور الكلام والاعتقاد والشرح؟ فلو أن كل إمام منهم عليهم السلام ألّف كتابًا في باب من الأبواب؛ كالرسالة العملية في الفقه مثلًا، أو باب العقائد والكلام، أو علوم القرآن وما شابهها أليس كان ذلك يحسم النزاع في كثير من الأمور؟

والجواب عن ذلك: أنه قد حصل في زمان الإمام جعفر الصادق عليه السلام فقد نسب له عدد من الكتب أنهاها بعض العلماء إلى ستة وعشرين كتابًا ورسالة (بغض النظر عن تمامية وصحة النسبة)[2]، ومع هذا لم يتحقق الأثر الذي ذكر من حسم النزاع،

(1) المصدر نفسه 2/ 25.

(2) قيس العطار: مقدمة كتاب الاهليلجة المنسوب للإمام الصادق وقد ذكر فيها الكتب المنسوبة للأئمة عليهم السلام.

وكذلك الحال بالنسبة إلى الإمام علي الرضا عليه السلام، فقد كتب كما عرف عنه في جوامع الشريعة وهي الرسالة التي طلب منه المأمون العباسي أن يكتبها، وهكذا ما عرف بالرسالة الذهبية وهي التي ترتبط بقضايا طب البدن والعلاجات ونحوها.

وفي الجواب عن أصل السؤال نقول إن هذا ـ لوحده ـ لا يحل المشكلة ؛ لأنّ الكتاب المؤلَّف أيضًا لا بدَّ من تناقله بواسطة الرواية عن الأشخاص، بل ربما كان الكتاب أكثر عرضة للزيادة والنقيصة والتحريف والتزييف فيه، وآنئذ لا بدَّ أن نرجع من جديد إلى التأكد من مضمونه عبر قراءة الراوي الثقة متن النسخة الكذائية على الإمام، ثم ينقلها بدوره ويقرؤها عليه راو آخر ثقة، ويجيزه بها، وهكذا، إلى راو ثالث...، فرجعنا من جديد إلى الاعتماد على رواية الأشخاص الثقات، سواء كان لكل رواية أو للكتاب بتمامه، ولم ينه وجود الكتاب بنفسه المشكلة.

وعلى أي حال فقد نقل عن الإمام الرضا عليه السلام الكتابان المذكوران: فبالنسبة للأول وهو جوامع الشريعة، أصله كما عن الفضل بن شاذان أنه[1] «سأل المأمون علي بن موسى الرضا عليهما السلام

(1) الصدوق: عيون أخبار الرضا 2/ 129، يوجد نص الكتاب أيضًا مرويًّا عن ابن شعبة الحراني في كتابه تحف العقول، وتوجد بين النصين بعض الاختلافات وسنعتمد النص الذي نقله صاحب تحف العقول.

أن يكتب له محض الإسلام على سبيل الإيجاز والاختصار فكتب ﷺ له: أن محض الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إلهًا واحدًا أحدًا فردًا صمدًا، قيومًا سميعًا بصيرًا قديرًا قديمًا قائمًا باقيًا، عالمًا لا يجهل، قادرًا لا يعجز، غنيًّا لا يحتاج، عدلًا لا يجور وأنه خالق كل شيء وليس كمثله شيء لا شبه له ولا ضدّ له ولا ندّ ولا كفؤ له وأنه المقصود بالعبادة والدعاء والرغبة والرهبة...».

وبالنظر إلى هذه الرسالة/ الكتاب، سوف نلاحظ أن فيه ما يزيد على 160 فقرة، بين قضايا عقائدية وأحكام فقهية وتوجيهات أخلاقية، ويلاحظ فيها أن الإمام ﷺ قد ركز على بعض مواطن الخلاف والخطأ لدى مدرسة الخلفاء ومع أن طريقة التعبير فيه كانت أشبه بالتلغرافية، من حيث إعطاؤها لُبَّ المسألة، واختصار الكلمات وضغطها بالمقدار الممكن، إلا أنها تعرضت لجملة وافرة من المواضيع، بلغت نحو 45 موضوعًا؛ **فمنها**:

ما بدأ به في العقائد من شهادة ألّا إله إلّا الله وذكر إحدى وعشرين صفة من صفات الله الجمالية والجلالية.

ثم الإشارة إلى نبينا المصطفى محمد ﷺ وبيان كمالاته والاعتقاد برسالته وشريعته، والتنبيه إلى أن القرآن الكريم «حق

من فاتحته إلى خاتمته، نؤمن بمحكمه ومتشابهه، وخاصه وعامه، ووعده ووعيده، وناسخه ومنسوخه وأخباره».

ثم الإشارة إلى ولاية أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام، باعتباره أنه «الدليل بعده والحجة على المؤمنين والقائم بأمر المسلمين والناطق عن القرآن والعالم بأحكامه، أخوه وخليفته ووصيه ووليه».

التصريح بأسماء الأئمة المعصومين عليهم السلام واحدًا بعد واحد، من الحسنين إلى الإمام الحجة المنتظر عجل الله فرجه الشريف، باعتبار «أنهم العروة الوثقى وأئمة الهدى والحجة على أهل الدنيا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وأن كل من خالفهم ضال مضل باطل تارك للحق والهدى وأنهم المعبرون عن القرآن والناطقون عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالبيان ومن مات ولم يعرفهم مات ميتة جاهلية»[1].

الإشارة إلى منهاج الأئمة المعصومين، وطريقتهم وأنها ليست باطنية أو غير مفهومة وإنما هي العمق الحقيقي للدين، فلا يعني تولي شيعتهم إياهم ومحبتهم لهم أنهم يتركون المبادئ الأخلاقية

(1) يلاحظ هنا أن النص المروي بسند معتبر في عيون أخبار الرضا قد ذكر أسماء الأئمة كلهم في حين اقتصر في تحف العقول، ص427 على هذه الجملة «وبعده الحسن والحسين عليهما السلام، واحدًا بعد واحد إلى يومنا هذا عترة الرسول وأعلمهم بالكتاب والسُّنَّة وأعدلهم بالقضية وأولاهم بالإمامة في كل عصر وزمان وأنهم العروة الوثقى وأئمة الهدى والحجة على أهل الدنيا...».

أو التكاليف العملية وإنما «من دينهم الورع والعفة والصدق والصلاح والاجتهاد وأداء الأمانة إلى البر والفاجر وطول السجود والقيام بالليل واجتناب المحارم وانتظار الفرج بالصبر وحسن الصحبة وحسن الجوار وبذل المعروف وكف الأذى وبسط الوجه والنصيحة والرحمة للمؤمنين».

ثم بدأ بذكر المسائل والأحكام الشرعية، فأشار إلى الوضوء وبين كيفيته فذكر مواضع الخلاف مع مدرسة الخلفاء، وأنه بالنسبة للرأس والرجلين (مسحٌ) وليس غسلًا[1]، وأن الفريضة في غسل الوجه واليدين واحدة، والثانية إسباغ وتطوع، والثالثة يأثم فيها، وصرح بأن المسح على الخفين غير جائز كما أورد الدليل على ذلك بأن آية الوضوء في سورة المائدة قد حسمت الأمر بعدم الجواز، حتى وإن نقلوه عن الخليفة عمر بن الخطاب. وذكر كذلك نواقض الوضوء وحصرها في الريح والبول والغائط والنوم والجنابة، وكأنّه يلمح إلى أن ما ذكره بعض فقهاء مدرسة الخلفاء من مبطلية لمس المرأة أو لمس الرجل عضوه التناسلي، أو أكل لحم الإبل، فكل هذه ليست نواقض للوضوء، حيث حصرها الإمام فيما ذكرنا.

وعدَّد في هذه الرسالة بعض الأغسال الواجبة والأخرى المستحبة،

(1) الحراني؛ ابن شعبة: تحف العقول عن آل الرسول 427.

وسيشير فيما بعد إلى أن «أكثر الحيض عشرة أيام وأقله ثلاثة أيام. والمستحاضة تغتسل وتصلي، والحائض تترك الصلاة ولا تقضي، وتترك الصيام وتقضيه».

وعطف على أعداد ركعات الصلاة الواجبة والأخرى النافلة من الرواتب اليومية، وبيّن أن فضل الجماعة على الفرد كل ركعة بألفي ركعة، لكن هذا لا يعني أن الجماعة سائغة في كل الصلوات فإنه «لا يجوز التراويح في جماعة» وهي الصلاة التي أصبحت شعار مدرسة الخلفاء إلى يومنا هذا.

ونهى عن الصلاة خلف فاجر وألَّا يقتدى إلا بأهل الولاية. كما أشار إلى عدم جواز الصلاة في جلود الميتة وهي ما لم يذبح بطريق شرعي حتى وإن كان قد دبغ، وكذلك في جلود السباع وإن ذكيت.

وأما مسائل القصر والتمام فمع اختلافهم في مقدار المسافة التي تقصر فيها الصلاة واعتماد مشهورهم على أنه ثمانية فراسخ أي أربعة بُرُد، فإن الإمام عليه السلام يقرر أنها نصف تلك المسافة وهي أربعة فراسخ وتساوي بريدين (حوالي 44 كيلومترًا). وربط بين التقصير والإفطار بشكل حتمي وعلى نحو العزيمة لا الرخصة. فقال: «والتقصير في أربعة فراسخ، بريد ذاهبًا وبريد جائيًا؛ اثنا عشر ميلًا. وإذا قصرت أفطرت».

وعندما يتعرض للصلاة على الميت يقرر أنها خمس تكبيرات لا

أربع؛ خلافًا لما ذهب إليه فقهاء مدرسة الخلفاء؛ ليس فيها ركوع ولا سجود وبالتالي لا تسليم فيها أيضًا؛ قال ﷺ: «والصلاة على الميت خمس تكبيرات وليس في صلاة الجنائز تسليم؛ لأن التسليم في الركوع والسجود وليس لصلاة الجنازة ركوع ولا سجود»[1]

ويؤكد ﷺ على موضوع الجهر بالبسملة في فاتحة الكتاب (سواء كانت الصلاة إخفاتية أو جهرية) والجهر بها بعدما كانت جزءًا من السورة، هو من علائم المؤمنين بمنهج أهل البيت ﷺ كما ورد في الحديث المشهور عن الإمام الحسن العسكري «علامات المؤمن خمس...، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم»[2].

وبيَّن الأحكام اللازمة في الزكاة العامة ومقدار الزكاة في الغلات الأربع والنقدين، وأحكام زكاة الفطرة، مؤكِّدًا على أن الخمس من جميع المال مرة واحدة.

وأشار إلى بعض أحكام الصوم الواجب في شهر رمضان، والمستحب لا سيما في شهر شعبان، والحج مؤكِّدًا على أن الفرض اللازم هو حج التمتع، وهو أفضل أنواع الحج وأسماها منزلة. وأنه لا يصح الإحرام فيه إلّا من الميقات.

(1) الحراني؛ ابن شعبة: تحف العقول عن آل الرسول 429
(2) المشهدي، محمد بن جعفر: المزار 353

ولا يسمح الإمام بتعدي أهل الإيمان على مخالفيهم، أو مصادرة أموالهم بحسب اختلافهم مع المؤمنين في الاعتقاد والأحكام، بل في دار التقية (وغالبًا هي في المجتمعات المختلطة مذهبيًّا ودينيًّا ولأجل حماية السلم الاجتماعي واستمرار المؤمنين في شعائر دينهم وبقاء حياتهم ومصالحهم) تكون التقية واستعمال الحكمة في التعامل مع الآخرين لازمة وواجبة وليست رغبة وعدم رغبة، بل إن الأحكام الأولية تتراجع ليحل محلها مقتضيات التقية، فالحنث في الحلف يمينًا على شيء في حكمه الأولي غير جائز، ولكنه في مثل هذه الظروف ولأجل دفع الظلم عن نفسه أو أبناء مذهبه ودينه لا يعد حنثًا ولا تجاوزًا على الشرع؛ ولذا قال عليه السلام «والتقية في دار التقية واجبة. ولا حنث على من حلف تقية يدفع بها ظلمًا عن نفسه»[1].

والطلاق إنما يكون نافذًا إذا كان على طبق ما ذكر الله في كتابه وسنة نبيه، فلا معنى للقول عند بعض فقهاء مدرسة الخلفاء إنه طلاق بِدْعي ولكنه نافذٌ وواقعٌ! الطلاق الذي لا يكون بشهودٍ منهيٌّ عنه، ومعنى ذلك أنه لا يقع! وكذلك الطلاق في وقت الحيض أو في طُهر المواقعة والجماع بين الزوجين منهيٌّ عنه؛ ولذلك فإنه لا يترتب عليه أي أثر! وكذلك فقد عيّن القرآن

(1) الحراني؛ ابن شعبة: تحف العقول عن آل الرسول 431.

الكريم طريقة الطلاق بالثلاث فقال: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾[1] ثم قال: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ﴾[2] فهذه هي طريقة الطلاق بالثلاث، وأما رمي كلمة الطلاق في مجلس واحد كما يفعله بعضهم فليس طلاقًا مشروعًا! وتبقى المرأة ذات زوج! وربما تزوجت غيره وهي لا تزال زوجته مع فرض أن الطلاق ذاك غير مشروع ولا نافذ. قال عليه السلام: «والطلاق بالسنة على ما ذكر الله جل وعز وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ولا يكون طلاق بغير سنة وكل طلاق يخالف الكتاب فليس بطلاق وكل نكاح يخالف السنة فليس بنكاح. ولا تجمع بين أكثر من أربع حرائر. وإذا طلقت المرأة ثلاث مرات للسنة لم تحل له حتى تنكح زوجًا غيره». وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «اتقوا المطلقات ثلاثًا فإنهن ذوات أزواج». يعني بذلك إذا طلقن ثلاث طلقات من غير رجوع بعد كل طلقة؛ فإنها إذا لم يرجع إليها بعد الطلقة الأولى لا تكون زوجته، وإذا لم تكن زوجته فلا معنى لأن يطلقها الطلقة الثانية.

وإذا كانت أحكام الميراث فيها الكثير من التفاصيل، وقد لا يتسع لها طبيعة تلك الرسالة الرضوية المختصرة إلا أن هناك

(1) البقرة: 229.
(2) البقرة: 230.

عثرات مهمة وأخطاء أساسية، أشار إليها الإمام عليه السلام بسبب أن أتباع المدرسة الأخرى يعتبرونها أساسيات وهي عثرات، لذلك قال الإمام عليه السلام في نفي العول في السهام[1]، ونفي التعصيب في الإرث[2]: «والفرائض على ما أمر الله لا عول فيها ولا يرث مع الوالدين والولد أحد إلا الزوج والمرأة. وذو السهم أحق ممن لا سهم له وليست العَصَبة من دين الله»[3].

وفي تفاصيل العدل الإلهي والأحكام المرتبطة به؛ فإنه لا يمكن أن يخلق الله أفعال العباد الخاطئة ومعاصيهم الفاسدة ثم

(1) العول كما جاء في تعريفه عن محمود عبد الرحمن عبد المنعم في معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية2/ 557: قال الشريف الجرجاني: زيادة السهام على الفريضة فتعول المسألة إلى سهام الفريضة فيدخل النقصان عليهم بقدر حصصهم..
ويعني بذلك الزيادة في السهام التي حددها القرآن الكريم في الإرث، فيحصل بسبب هذه الزيادة نقص لجميع الورثة، فيوزع هذا النقص على كل الورثة بإنقاص حصصهم بحسب نِسب تلك الحصص من التركة. مثلما لو ماتت امرأة وتركت زوجًا وأُمّا وأُختًا، فسهم الزوج النصف كما ورد في القرآن الكريم وللأُمِّ الثلث كذلك وللأخت النصف فتكون السهام أكثر من الفريضة (نصف + ثلث + نصف) وقد أورد النقص على الجميع بالنسبة، وهو العول.. في حين رفض أهل البيت عليهم السلام وقالوا إنه لا يمكن أن يكون هناك عول فإن الذي أحصى رمل عالج (الصحراء) لا يمكن أن يضيع عليه حساب هذه الحصص ووضع نظام صحيح لها في الميراث.. وتمام التفصيل في الفقه.

(2) فتح الله؛ د. أحمد: معجم ألفاظ الفقه الجعفري117: التعصيب: رد ما فضل من سهام الإرث المفروضة على من كان من عصبة الميت، وهو من يمت إلى الميت نسبًا، الأقرب فالأقرب من غير رد على ذوي السهام. وهو منحصر في صورة وجود البنت المنفردة أو البنتين المنفردتين.. وحينها ترد باقي التركة على عصبة المورث كأخيه أو عمه لأبيه أو لأبويه..
وهو مرفوض عند أهل البيت عليهم السلام فلا يرث أصحاب الطبقة المتأخرة مع من هم أصحاب الطبقة المتقدمة.

(3) الحراني؛ ابن شعبة: تحف العقول عن آل الرسول 432.

يعاقبهم عليها لأن هذا ظلم، لكن هل هي بالرغم منه وخارج سلطانه؟ كلا لأن ذلك يعني نسبة العجز لله وإنما كما قال الإمام عليه السلام: «أن أفعال العباد مخلوقة خلق تقدير، لا خلق تكوين. ولا تقل بالجبر ولا بالتفويض».

ومع قوة الله وقدرته على كل شيء لكنه أجرى عدله في خلقه، فـ«لا يأخذ الله عز وجل البريء بجرم السقيم، ولا يعذب الله الأبناء والأطفال بذنوب الآباء وإنه قال: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[1]، ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾[2]».

ومن عدالته أنه لا يقبل بولاية الظالم على عباده ولا الجاهل بأحكامه، فهذان وإن تسلطا إلا أنهما ليسا مفروضي الطاعة من قبل الله تعالى بخلاف المعصوم من الجهل والظلم، فإنه يصطفى لرسالة الله تارة ولإمامة الخلق أخرى كما هو حال المعصومين؛ قال عليه السلام: «ولا يفرض الله على العباد طاعة من يعلم أنه يظلمهم ويغويهم. ولا يختار لرسالته ويصطفي من عباده من يعلم أنه يكفر ويعبد الشيطان من دونه».

وبالتمييز بين المسلم والمؤمن يعيِّنُ الإمام الصراط الوسط الصحيح في «أن الإسلام غير الإيمان. وكل مؤمن مسلم وليس

(1) الأنعام: 164
(2) النجم: 39.

كل مسلم مؤمنًا. لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن. ولا يشرب الشارب حين يشرب الخمر وهو مؤمن ولا يقتل النفس التي حرم الله بغير الحق وهو مؤمن»[1].

وذلك أن الإيمان ليس كلامًا فقط وإقرارًا لسانيًّا وإنما «الإيمان أداء الفرائض واجتناب المحارم. والإيمان هو معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان».

وجعل الإمام عليه السلام من صفات المؤمن أنه «يؤمن بعذاب القبر ومنكر ونكير. والبعث بعد الموت. والحساب. والميزان والصراط. والبراءة من أئمة الضلال وأتباعهم. والموالاة لأولياء الله»[2].

(1) الحراني؛ ابن شعبة: تحف العقول عن آل الرسول 433.

(2) نلاحظ هنا بين النسختين المرويتين اختلافًا واضحا؛ فبينما تجمل نسخة (تحف العقول) الأمر بالنحو الذي ذكرناه «والبراءة من أئمة الضلال وأتباعهم. والموالاة لأولياء الله» وتقتصر على هذا، فإن نسخة عيون أخبار الرضا 2/ 134 تفصل في هؤلاء وأولئك وتبين مواقفهم بشكل صريح فهي تذكر «الولاية لأمير المؤمنين عليه السلام والذين مضوا على منهاج نبيهم صلى الله عليه وآله ولم يغيروا ولم يبدلوا مثل سلمان الفارسي وأبي ذر الغفاري والمقداد بن الأسود وعمار بن ياسر وحذيفة اليماني وأبي الهيثم بن التيهان وسهل بن حنيف وعبادة بن الصامت وأبي أيوب الأنصاري وخزيمة بن ثابت ذي الشهادتين وأبي سعيد الخدري وأمثالهم رضي الله عنهم ورحمة الله عليهم والولاية لأتباعهم وأشياعهم والمهتدين بهداهم والسالكين منهاجهم رضوان الله عليهم..» وفي موضوع البراءة تذكر الذين حاربوا أمير المؤمنين وخرجوا عليه في ولايته، من القاسطين والناكثين والمارقين، ومن آوى الطرداء واستعمل لعناء رسول الله صلى الله عليه وآله.. ولا نعلم هل أن النسخ الأصلية أو القديمة لتحف العقول كانت تحتوي هذه الجمل الموجودة في (عيون أخبار الرضا) أو لا تحتويها، مع ملاحظة أن كتاب العيون أسبق من تحف العقول، ونفترض أن صاحب التحف إنما ينقل عنه (أو عن غيره ممن سبقه) وبحسب البحث البسيط الذي لاحظناه فإن المصدر الأقدم لهذه الرسالة الرضوية هو كتاب الصدوق عيون أخبار الرضا.. وقد شكك بعض المحققين المعاصرين وفي طليعتهم آية الله المددي في صحة انتساب الرسالة المذكورة والتي تعرف أحيانًا بطب الرضا أو الرسالة الذهبية، إلى الإمام الرضا عليه السلام، بل نفى كونها كذلك كما ذكر في درسه الفقهي.. والقضية تحتاج إلى بحث أكثر.

ثم يأتي الإمام ﷺ على ما يسمى في الفقه اليوم كتاب الأطعمة والأشربة، فيقول بحزم: إن من الإيمان «تحريم الخمر قليلها وكثيرها. وكل مسكر خمر. وكل ما أسكر كثيره فقليله حرام. والمضطر لا يشرب الخمر فإنها تقتله. وتحريم كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير. وتحريم الطحال فإنه دم. والجري والطافي والمارماهي والزمير وكل شيءٍ لا يكون له قشور. ومن الطير ما لا تكون له قانصة، ومن البيض كلُّ ما اختلف طرفاه فحلالٌ أكله وما استوى طرفاه فحرام أكله».

ويشير إلى أن من الإيمان «اجتناب الكبائر، وهي قتل النفس التي حرم الله، وشرب الخمر. وعقوق الوالدين. والفرار من الزحف. وأكل مال اليتامى ظلمًا. وأكل الميتة، والدم، ولحم الخنزير، وما أهل به لغير الله من غير ضرورة به. وأكل الربا والسحت بعد البينة. والميسر. والبخس في الميزان والمكيال. وقذف المحصنات والزنا. واللواط. والشهادات الزور. واليأس من روح الله. والأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله. ومعاونة الظالمين والركون إليهم. واليمين الغموس. وحبس الحقوق من غير عسر. والكبر. والكفر. والإسراف. والتبذير. والخيانة وكتمان الشهادة والملاهي التي تصد عن ذكر الله مثل الغناء وضرب

الأوتار. والإصرار على الصغاير من الذنوب...»[1]. ويختم كلامه عليه السلام هذه هي أصول الدين.

الرسالة الذهبية:

يذكر المؤلفون في حياة الإمام الرضا عليه السلام أنه أملى على من يكتب هذه الرسالة المختصة في شؤون البدن، وصحته وما ينفعه وما يضره، وعلاقته بالغذاء، وأمور التداوي وما تمس الحاجة إليه في المحافظة على سلامة الجسم.

وذلك مما نقله غير واحد؛ منهم الحسن بن محمد بن جمهور، قال: حدثني أبي وكان عالمًا بأبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام خاصة به، ملازمًا لخدمته، وكان معه حين حمل من المدينة إلى أن سار إلى خراسان واستشهد عليه الصلاة والسلام بطوس، وهو ابن تسع وأربعين سنة.

قال: وكان المأمون بنيسابور، وفي مجلسه سيدي أبو الحسن الرضا عليه السلام وجماعة من المتطببين والفلاسفة، مثل يوحنا بن ماسويه، وجبرئيل بن بختيشوع، وصالح بن بهلة الهندي، وغيرهم من منتحلي العلوم وذوي البحث والنظر، فجرى ذكر الطب وما فيه صلاح الأجسام وقوامها، فأغرق المأمون ومن بحضرته في

(1) المصدر نفسه 434.

الكلام وتغلغلوا في علم ذلك، وكيف ركب الله تعالى هذا الجسد وجميع ما فيه من هذه الأشياء المتضادة من الطبائع الأربع، ومضار الأغذية ومنافعها، وما يلحق الأجسام من مضارها من العلل.

قال: وأبو الحسن عليه السلام ساكت لا يتكلم في شيء من ذلك. فقال له المأمون: ما تقول يا أبا الحسن في هذا الأمر الذي نحن فيه هذا اليوم، والذي لا بدَّ منه من معرفة هذه الأشياء والأغذية، النافع منها والضار. وتدبير الجسد؟

فقال أبو الحسن عليه السلام: عندي من ذلك ما جربته وعرفت صحته بالاختبار ومرور الأيام، مع ما وقفني عليه من مضى من السلف، مما لا يسع الإنسان جهله، ولا يعذر في تركه، فأنا أجمع ذلك مع ما يقاربه مما يحتاج إلى معرفته.

قال: وعاجل المأمون الخروج إلى بلخ، وتخلف عنه أبو الحسن عليه السلام، وكتب المأمون إليه كتابًا يتنجزه ما كان ذكره مما يحتاج إلى معرفته من جهته على ما سمعه منه وجربه من الأطعمة والأشربة وأخذ الأدوية والفصد والحجامة والسواك والحمام والنورة والتدبير في ذلك.

فكتب الرضا عليه السلام إليه كتابًا نسخته: «بسم الله الرحمن الرحيم.

اعتصمت بالله. أما بعد، فإنه وصل إلي كتاب أمير المؤمنين[1] فيما أمرني من توقيفه على ما يحتاج إليه مما جربته وما سمعته في الأطعمة والأشربة وأخذ الأدوية والفصد والحجامة والحمام والنورة والباه وغير ذلك مما يدبر استقامة أمر الجسد، وقد فسَّرت له ما يحتاج إليه، وشرحت له ما يعمل عليه، من تدبير مطعمه ومشربه وأخذه الدواء وفصده وحجامته وباهه وغير ذلك مما يحتاج إليه من سياسة جسمه، وبالله التوفيق. اعلم أن الله عز وجل لم يبتل الجسد بداء حتى جعل له دواء..»[2].

ثم استمر الإمام عليه السلام في توجيهه ذاك مشبِّهًا البدن بالملك ومشبِّهًا العروق والأعضاء والقلب بما يناسبها في المملكة، وفي

(1) مخاطبة الإمام إياه بأمير المؤمنين، بل مخاطبة من سبقه من الأئمة لحكام زمانهم بذلك، لا يدل بالضرورة على إيمانهم بهذا وتسليمهم بانطباق هذا اللقب عليه، تمامًا ما نتعامل مع ألقاب أولئك الحاكمين مع عدم اعترافنا بها، فقولنا عن هارون إنه «الرشيد» وعن عبد الله ابنه أنه «المأمون» وهكذا إنما هو للتعريف مع أننا لا نعتقد برشد ذاك ولا أمانة هذا. وفي ذلك الوقت فإن «أمير المؤمنين» بوصفه لقبًا رسميًّا كان يجب على الجميع أن يتعامل به وإلا عد من لا يسميه بهذا معارضًا ومحاربًا وصاحب موقف علني مضاد، ولا ريب أن الحكمة لا تقتضي مثل هذا، وإلا فمن المعلوم أن لقب أمير المؤمنين بحسب ما ورد عن المعصومين لا ينطبق حقيقة إلا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، حتى لقد نهوا عن تلقيب سائر الأئمة بذلك مع أنهم في الحقيقة أمراء المؤمنين وسادتهم. ويشير لذلك ما عن أبي حمزة ثابت بن دينار الثمالي، قال: «سألت أبا جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام، يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله لم سُمِّي علي عليه السلام أمير المؤمنين، وهو اسم ما سُمي به أحد قبله، ولا يحل لأحد بعده؟ قال: لأنه ميرة العلم، يُمتار منه، ولا يَمتار من أحد غيره».

(2) المجلسي: بحار الأنوار 5/ 310.

فقرة تالية يجعل البدن كالأرض الطيبة متى تعوهدت بالعمارة والسقي نمت لكن بحيث لا يزاد في الماء فتغرق ولا ينقص منه فتعطش.

وحيث يكون الطعام هو أول ما ينبغي الاعتناء به لسلامة البدن، يوصي بأكل البارد في الصيف والحار في الشتاء والمعتدل في الفصلين (والبارد هنا والحار بمعنى ما كانت طبيعته كذلك لا بمعنى المسخن بالنار أو المبرد بالمبردات). وينبغي أن يبدأ الطعام بأخف الأغذية التي يغتذي بها بدنه بقدر عادته.

ويشير إلى أن فصول السنة الأربعة، تختلف في قابلية البدن للأطعمة فيها فليس كل الأطعمة صالحة لكل الفصول! كما أن حاجته إلى النوم والاستراحة تختلف بحسب هذه الفصول وبحسب عمره وطبيعة عمله، فليلاحظ ذلك.

ويشير إلى أن من الوقاية ألّا يخلط الإنسان الأطعمة غير المتجانسة فإنها تعقب آثارًا سيئة على صحته، ويورد على ذلك أمثلة.

ويشير إلى أن من الخطورة أن يعتاد المرء حبس البول فـ «من أراد ألّا يشتكي من مثانته فلا يحبس البول ولو على ظهر دابة»[1].

(1) البار؛ د. محمد علي: الإمام علي الرضا ورسالته في الطب النبوي 165.

ولسلامة الجهاز البولي والتناسلي يشير عليه السلام إلى عدم حبس المني وعدم المبالغة في وقت أو كيفية الممارسة الجنسية، فيقول «ومن أراد أن لا يجد الحصاة وعسر البول فلا يحبس المني عند نزول الشهوة ولا يطيل المكث على النساء» ولكي تكون حياة الإنسان الزوجية قائمة على أساس أخلاقي وصحي فينبغي أن يلتزم بما يناسب ذلك من التوجيهات مثلما قاله عليه السلام: «ولا تجامع امرأة حتى تداعبها وتكثر ملاعبتها وتغمز ثدييها، والشهوة تظهر من وجهها وعينها واشتهت منك مثل ذلك الذي تشتهي منها. ولا تجامع النساء إلا طاهرة فإذا فعلت ذلك فلا تقم قائمًا ولا تجلس جالسًا ولكن تميل على يمينك، ثم انهض للبول من ساعتك فإنك تأمن الحصاة بإذن الله تعالى»[1].

ولمن أراد الاطلاع المباشر عليها فليرجع إلى أصلها وهو مطبوعٌ في عدد من الطبعات المستقلة، كما أن العلامة المجلسي نقله في البحار ج 59.

«ولما وصلت إلى المأمون قرأها وسرّ بها كثيرًا وأمر بكتابتها بالذهب وأن تحفظ في خزانة الحكمة وسمّاها الرسالة الذهبية أو الرسالة المذهبة. وكتب بخط يده جوابًا للإمام عليٍّ الرضا يقرِّض

(1) المصدر نفسه 180

فيه تلك الرسالة ويشكره[1].

= (1) ما هي حقيقة موقف المأمون من الإمام الرضا ﷺ؟ هل هي من البداية كانت التآمر والسعي لاغتياله واعتباره عدوًّا ومنافسًا خطيرًا لا بدَّ من إنهاء وجوده؟ أو أن المأمون كان رأيه جيدًا في الإمام الرضا وكان معجبًا بعلمه ومحترمًا لشخصيته وعلى هذا الأساس تعامل معه فكان يستعين به ويثني عليه وكان جادًّا في توليته العهد لأنه رآه الأصلح؟ ثم إما أنه رأى أن سلطته لا تستقيم كما يريد إلا بالتخلص منه ففعل ذلك؟ أو حتى يمكن لأصحاب هذه النظرية القول بأن المأمون لم يقم باغتيال الإمام وقتله؟ فكرتان ورأيان؛ يشير إلى الأول ما روي عن المعصومين ﷺ وعن الإمام الرضا من أن قتله سيكون بواسطة المأمون وكان الأمر معلوما لهم وله، كما سنشير إليه في فصل لاحق. ويؤكده أن الإمام ﷺ أخبر المأمون أنه ليس جادًّا في توليته العهد وإنما لكي يقول للناس إن أهل البيت ليسوا زاهدين حقيقة في الدنيا وإنما فعلوا ذلك لأنهم لم ينالوها فلما نالوها لم يزهدوا فيها. وأيضًا ما أشار إليه ﷺ أكثر من مرة لأصحابه بأن لا يُخدَعوا ويُسروا بمظاهر الإكرام التي يبديها المأمون للإمام فإنه غير صادق في وعوده. ومن ذلك ما أشار إليه أبو الصلت الهروي في شرحه للأسباب التي دعت المأمون لقتل الرضا ﷺ، ومنها يتبيّن أن المأمون كان من أول الأمر ليس صادقًا في مواقفه مع الرضا، فإنما جمع إليه أرباب الملل والمذاهب لكي يحرجه في سؤال أو إشكال لا لكي يظهر فضله عليهم، ومما يصدق ذلك قول الإمام للنوفلي: أتدري متى يندم المأمون؟ حين يراني أكلم أهل التوراة بتوراتهم وأهل الإنجيل بإنجيلهم.

وقد يشير إلى الثاني أن المأمون قد عُرف بحبه للمسائل العلمية وكونه من الحكّام (المثقفين) بالقياس إلى سائر الخلفاء الذين لم يكن لديهم شغف بالموضوع العلمي، ومن الطبيعي بالنسبة لهذا النوع من الناس أن يوقروا العالم ويحترموه خصوصًا إذا كان من مستوى الإمام الرضا الذي كان (عالم آل محمد) الذي أعجز علماء زمانه. كما أنه ينقل عن المأمون في دفاعه عن توليته الإمام الرضا رسالة ساخنة للعباسيين الذين رفضوا توليته إياه ناسبًا إيّاهم إلى خبث أصولهم، وفساد تربيتهم، وقلة تدينهم فضلًا عن جهلهم بأبسط الأمور في مقابل الإمام الرضا الذي كان في القمة في كل تلك الأمور. ولأجل هذا فإن تكرر إعجاب المأمون وإظهاره ذلك للملأ هو الحالة الطبيعة والحقيقية للمأمون.. ويظهر أن الدكتور البار يرى هذا الثاني كما يلاحظ من ثنايا كتابه المسمى: بالإمام علي الرضا ورسالته في الطب النبوي.

ونحن نرى كلا الفكرتين كانتا موجودتين منذ القديم، فإنهم ينقلون أنه لما ناظر الإمام الرضا ﷺ عمران الصابي، وأجابه عن كل أسئلته وحل كل اشكالاته فآمن عمران وتيقن الإسلام وتشهد الشهادتين، وتحدث الناس بفضل الإمام الرضا ﷺ، خاف عم الإمام علي الرضا، محمد بن الإمام جعفر عليه من المأمون كما ذكر ذلك القرشي في كتابه حياة الإمام الرضا 1/ 115، وحذر =

عليها»[1].

أهمية الرسالة الذهبية:

وقد أشار الدكتور البار في كتابه الآنف الذكر إلى أهمية هذه الرسالة، فذكر ما خلاصته:

1 ـ أنها ظهرت في عصر المأمون الذي يعتبر العصر الذهبي لما يسمى بعلوم الحكمة والفلسفة وحيث بلغت حركة الترجمة أوج نشاطها، وبالنسبة للطب فقد اشتهرت بعض الأسر المسيحية مثل آل بختيشوع الذين كان أولهم مع المنصور العباسي كطبيب خاص ثم خلفه ابنه في نفس الدور مع هارون الرشيد، وخلفهما حفيده مع المأمون، واشتهر صالح بن بهلة الطبيب الهندي، واعتراف المأمون بمستوى هذه الرسالة وتقريظه إياها يدل على مكانتها العالية مع حضور هذه الكفاءات الطبية المتقدمة.

= الحسن النوفلي صاحب الإمام الرضا من حسد المأمون إيّاه وإقدامه على إيقاع الشر به قائلًا: «اني أخاف عليه أن يحسده هذا الرجل فيسمه أو يفعل به بلية، فأشر عليه بالإمساك عن هذه الأشياء..» غير أن النوفلي كان يظن خيرًا بالمأمون، ولا يخاف منه على الإمام، فقال لمحمد عم الإمام: «ما أراد الرجل ـ يعني المأمون ـ إلا امتحانه ليعلم هل عنده شيء من علوم آبائه؟» وهذا يشير إلى ما قلناه من أن تشخيص حقيقة موقف المأمون وعلاقته بالإمام كان حتى عند الموالين ملتبسًا بين رأيين وفكرتين.

(1) المصدر نفسه 121.

2 ـ إن هذه الرسالة تتميز بأنها أول رسالة في الطب يكتبها عربي مسلم، ولم تكتب قبلها سوى رسائل مترجمة من اليونانية والسريانية، بل هي أول رسالة طبية في التاريخ الإسلامي.

3 ـ تتميز بأنها تحتوي على ما وصل إليه علم الطب في ذلك الزمان مضافًا إليه ما علمه من آبائه وأجداده إلى رسول الله ﷺ، «بالإضافة إلى تجاربه الشخصية» كما قال د. البار.

وقد وقعت هذه الرسالة في محل الاهتمام حتى أنها طبعت بطبعات مختلفة بلغت ست طبعات، وأما شروحها والتعليق عليها بين إيجاز وتفصيل فقد ذكر الدكتور البار لها نحو 17 شرحًا وتعليقًا، جاء بعضها في نحو 500 صفحة مع أن أصل الرسالة هو في 14 صفحة!

هل نتعامل معها كما نتعامل مع أحاديث المعصومين؟

يختلف التعامل مع الروايات الواردة في الطب سواء كانت عن النبي المصطفى ﷺ أو سائر المعصومين عن التعامل مع الأحاديث والروايات الواردة في أبواب العقائد والأحكام؛ وذلك أن هذه الأخيرة إذا تمت أسانيدها واتضحت دلالتها فإن مقتضى ما دلَّ على أنه ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾[1]

(1) الحشر: 7.

وما دل على أن التمسك بالعترة والكتاب هو طريق النجاة، يلزم الجميع بالأخذ بها إن كانت آمرة واجتناب نواهيها إن كانت ناهية، إلا أن هذه المعادلة لا تكون بالضرورة فيما يرتبط بالأمور الطبية والصحية.

بالإضافة إلى أن القدر المتيقن من تلك الأدلة هو ما يرتبط بأمور التكليف الديني في العبادات أو الصحة والفساد في أمور المعاملات، دون ما يرتبط بالأمور الطبية، فلو خالف امرؤ حكمًا شرعيًّا هو مفاد رواية صحيحة أو خالف عقيدة من العقائد كذلك، فإنه يكون من مصاديق ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1]، بينما قد لا يكون كذلك ما يرتبط بالأمور الصحية أو الغذائية.

هذا من جهة؛ ومن جهة أخرى فإن أكثر ما جاء في الأمور الصحية والغذائية هو من باب الارشاد إلى المنافع أو المضار الموجودة في متعلقاتها، وحتى لو كانت بصيغة الأمر والنهي، فهي كذلك وفي أقصى الأمور ستكون مستحبة أو مكروهة وليس في مخالفتهما عقوبة كما هو واضح.

ومن جهة ثالثة؛ فإن كثيرًا من هذه التوجيهات قد لا يكون لها

(1) النور: 63.

إطلاق أو عموم بحيث يشمل كل الأفراد في كل الأزمنة وفي كل المناطق! بل ربما كان الشيء صالحًا لشخص ضارًّا لآخر، أو كان صالحًا لنفس الشخص في زمانٍ وهو ضارٌ له في زمانٍ آخر، وقد ورد في الرسالة الذهبية إشاراتٌ إلى أن بعض الفصول لا يصلح فيها طعامٌ كان يصلح في فصل سابق عليها! بل قد يصلح في منطقة دون أخرى، فطبيعة الجغرافيا والهواء وأمثال ذلك قد تؤثر في صلاحية بعض التوجيهات لمنطقة دون أخرى؛ ولذلك فقد أشار بعض العلماء إلى أن تلك الأخبار الواردة في الطب لا يؤخذ بها على إطلاقها ولا تلزم كل من اطلع عليها، فقد قال الشيخ الصدوق أبو جعفر ﵀: «اعتقادنا في الأخبار الواردة في الطب أنها على وجوه:

منها: ما قيل على هواء مكة والمدينة، فلا يجوز استعماله في سائر الأهوية.

ومنها: ما أخبر به العالم ﵇ على ما عرف من طبع السائل ولم يتعد موضعه، إذ كان أعرف بطبعه منه.

ومنها: ما دلسه المخالفون في الكتب لتقبيح صورة المذهب عند الناس.

ومنها: ما وقع فيه سهو من ناقله.

ومنها: ما حفظ بعضه ونسي بعضه.

وما روي في العسل أنه شفاء من كل داء فهو صحيح، ومعناه أنه شفاء من كل داء بارد.

وما روي في الاستنجاء بالماء البارد لصاحب البواسير فإن ذلك إذا كان بواسيره من حرارة.

وما روي في الباذنجان من الشفاء فإنه في وقت إدراك الرطب لمن يأكل الرطب، دون غيره من سائر الأوقات»[1].

أقول: هناك كلام للمرجع الديني المرحوم الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء قريب مِمَّا سبق.

المؤتمرات العلمية والاحتجاجات:

في الوقت الذي ذكر المرحوم الشيخ باقر شريف القرشي تسعة عناوين فرعية تحت عنوان احتجاجات الإمام عليه السلام وأورد نصوص تلك الاحتجاجات وكلمات الإمام في أجوبة الأسئلة التي يوجهها مناظروه له فحفظ بذلك رضوان الله عليه هذه الثروة العلمية بشكل مرتب ومناسب، ذكر مؤلفو كتاب أعلام الهداية عشرة عناوين، وبينها وبين ما ذكره القرشي نحو من التداخل واقتصروا في الغالب على إيراد خلاصات وأهم إجابات الإمام عليه السلام، ولعل ذلك راجع إلى رعاية وضع حجم الكتاب.

(1) الصدوق: الاعتقادات في دين الإمامية 116.

وعلى كل حال فمن أراد الرجوع إلى تفاصيل تلك المناظرات والمؤتمرات العلمية فبإمكانه الرجوع إلى كتاب عيون أخبار الرضا للشيخ الصدوق كمصدر أو إلى كتاب القرشي باعتبار ترتيبه الحديث وسهولة مأخذه.

إننا هنا نسجل بعض الملاحظات المشيرة إلى تلك الاحتجاجات العلمية والمناظرات في الآتي:

1 ـ إن قسمًا مهمًّا منها كان بترتيب الدولة والخلافة العباسية وهو بهذا أشبه بالمؤتمرات الدولية التي تعقدها الحكومات مع شيء غير قليل من التجهيز والاستعداد، فإن جمع تلك العناوين المهمة مثل (الجاثليق ورأس الجالوت والهربذ الأكبر وأصحاب زرادشت ونسطاس الرومي) يوازي اليوم ما يسمى حوار الأديان في مستوى القمة، كبابًا الفاتيكان ورئيس اليهود وهكذا المجوس بالإضافة إلى أهم فلاسفة العالم، وبالطبع فإن هذا يحتاج إلى تمهيدات واتصالات وقضايا لوجستية حتى يصل هؤلاء من أماكنهم ويستضافوا من جهة الدولة، وهذا الذي تشير إليه بعض الروايات التاريخية من أن المأمون أمر ذا الرياستين أن يتولى أمر دعوتهم. يعني أن رئيس الوزراء بمنطق اليوم هو المسؤول عن ترتيب هذه المؤتمرات. وقد يكون لهذه المؤتمرات أهداف متعددة؛ منها

ما يكون نوع اعتراف من أرباب الديانات بخلافة الخليفة المأمون الذي هو بحاجة إلى هذا الاعتراف لا سيما وأن قضية أخيه الأمين لم يمرّ عليها مدة طويلة ولا يزال الخط المعارض العباسي قائمًا، فيحصل بمثل هذه المؤتمرات على «إجماع دولي وديني». ومنها ما يرتبط بخطته الخاصة في إحراج الإمام الرضا كما يتصور عندما لا يستطيع التغلب عليهم، فيحجّمه ويحرجه.

2 ـ مما يلحظ أن بعضها كان يستمر مدة طويلة مثل المؤتمر المذكور الذي يظهر منه أنه استمر من الصباح إلى المساء وانقطع وقت الظهر، إذ أصرّ الإمام عليه السلام على قطع المناظرة لكي يقوم للصلاة وأن يفهمهم بذلك، والأجيال من بعده، أن الحفاظ على الصلاة في أول وقتها هو أهم من كل مهم.

3 ـ إن تلك المؤتمرات والمناظرات والاحتجاجات قد حقق منها الإمام الرضا فوائد متعددة وفي اتجاهات مختلفة؛ فمن جهة ولعلها الأهم ترك تراثًا علميًّا يضاف إلى ما جاء به آباؤه الكرام في حل المعضلات الفكرية التي لولاه ولولاهم لكان الناس يتوهمون أن الإسلام عاجز عن مواجهة مخالفيه والإجابة عن إشكالاتهم. لكن قيامه صلوات الله عليه وعلى آبائه بالإجابة عن حل المشكل في ذلك الزمان وأمات

السؤال والإشكال إلى الأخير، فكل من يطرح هذا الاشكال يجد جوابه جاهزًا. وفي ذلك حماية لشريعة الإسلام ما بعدها حماية.

ومن جهة أخرى كانت إجاباته عليه السلام تدعيمًا لفكرة الإمامة وأن الإمام المعصوم لا يصل إليه أحد ولا يجاريه غيره، سواء كان النقاش في العلم بالكتب السماوية الأخرى أو في الفلسفة والعلوم العقلية أو في العقائد والكلام في التوحيد والنبوة والإمامة، أو في تفسير القرآن أو في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وبنظرة خاطفة إلى أسئلة تلك المناظرات تجد سعة الدائرة التي تم النقاش والاحتجاج فيها.

وثبّت بذلك أيضًا إمامته في مقابل من أنكرها.

وضرب الإمام عليه السلام المأمون والخط العباسي المعادي ضربة معلم؛ حين أثبت عبر تفوقه على جميع العلماء ورؤساء الملل والديانات والمذاهب أنه الممثل الحقيقي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأنه لو كانت الخلافة والقيادة بحسب الكفاءة لما تعدت عنه.

هل اغتال المأمون العباسي الإمام الرضا عليه السلام بالسُّم؟

يستبطن هذا العنوان قضيتين؛ كلتاهما محل نقاش وجدل: أن المأمون اغتال الإمام الرضا، وأن ذلك تم بواسطة السم!

وقبل أن نأتي على ذكر البحث التاريخي وإيراد القرائن الدالة على اغتياله إياه بالسم، نقدم بمقدمات:

الأولى: أن الكثير من الحكام يصلون إلى مرحلة يتصورون فيها أن أمن البلاد والحفاظ على الرعية، بل حماية الإسلام وإبقاء شعائره يرتبط بوجودهم، بمعنى أن وجودهم يعني بقاء البلاد وأمان العباد واستمرار الدين.. وأنه لو حصل أن انزاحوا بأي نحو من الأنحاء فإن الكوارث سوف تقع، ولذلك لا مانع لديهم لأجل تلك الأمور أن يجيّشوا الجيوش ويخوضوا المعارك حتى لا يزاحوا عن الملك والسلطان ويحدث ما ذكرنا من الأخطار! وكأنّ الله اختارهم من عالم الغيب ليحفظ بهم كل هذه الأمور وألبسهم هذا القميص الرئاسي فلا مجال لأن يخلعوه ولا يسمحوا لغيرهم أن ينزعه منهم!

نعم ربما صدق بعضهم ـ وهذا نادر وفي أوقات قليلة ـ مع نفسه، فرأى أن الملك عقيم ولا يعرف أرحامًا ولا أنسابًا بل ولا دينًا وإنما هي الرئاسة وإصدار الأوامر والتلذذ بما تتيحه الرئاسة والخلافة من المشتهيات[1].. وسواء كان الأول أو الثاني فإن الحاكم هنا لا يجد داعيًا للتوقف عن إزالة أي شخص ـ مؤيدًا أو معارضًا وفاضلًا أو غير ذلك ـ من طريقه بالسجن أو التغريب أو القتل بأي طريقة تيسرت له.

إن احتمال تهديد الشخص للحاكم بأي نسبة كان! يجعل للحاكم الحق في رأيه بأن ينهي وجوده الاجتماعي بل حتى الجسدي ويعطيه صلاحية قتله!

الثانية: بناء على ما تقدم فقد وجدنا أمر الاغتيال من قبل الحاكمين لمنافسيهم، بل أحيانًا لمؤيديهم ولأقاربهم، وأرحامهم، عاديًا وكثيرًا في تاريخ الأمة المسلمة أيام الأمويين والعباسيين، وكان أسهل الطرق في ذلك هو استعمال السم. فقد ذكرنا في كتابنا سيد الجنة، عن الإمام الحسن بن علي عليه السلام، كيف أن معاوية بن أبي سفيان، اغتال بواسطة السم مالكًا الأشتر النخعي،

(1) يشهد لذلك قول هارون الرشيد لابنه المأمون: إن الملك عقيم ولو نازعتني لأخذت الذي فيه عيناك! ويشهد للفكرة الأخرى قول المنصور وقد أكل عجة السكر فاستلذها واستطابها وقال: أراد محمد وإبراهيم (ابنا عبد الله بن الحسن) أن يحرماني منها!

ثم الحسن بن علي بن أبي طالب، وسعدًا بن أبي وقاص الزهري، وعبد الرحمن بن أبي بكر، بل أقرب مناصريه وأشد مؤيديه عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وكل ذلك على طريقة: إن لله جنودًا من عسل.

واغتيل معاوية الثاني بن يزيد، بواسطة السم الذي يحتمل باحثون أن مروان بن الحكم وأنصاره قد سمموه به، لكي يصفو لهم الأمر بعد أن رأوا أنه قد يسلك طريقًا لا ينتهي إلى تحقيق سلطتهم! ولأن مروان بن الحكم كان قد احتاط لنفسه من جهة السم، فنجى منه إلا أنه لم ينج من الاغتيال حيث قتلته زوجة يزيد بن معاوية (التي أصبحت زوجته) بكتم أنفاسه وهو نائم بمخدة أنهت بها حياته.

واغتال سليمان بن عبد الملك الأموي أبا هاشم بن محمد بن الحنفية بعدما استضافه في الشام، عندما أمر بعض عماله بدس السم إليه في الحميمة في طريق عودته إلى المدينة. كما اغتيل عمر بن عبد العزيز الأموي من جهة منافسيه بعد فترة قصيرة من خلافته وولايته.

واعتمد العباسيون الاغتيال بالسم لأنها طريقة سهلة التكاليف وخفية الأثر، في قتل خصومهم بل أرحامهم، فقد: «بعث موسى

(الهادي) إلى أمه الخيزران بأرزّة، وقال: استطبتها فأكلت منها، فكلي منها قالت خالصة: فقلت لها: أمسكي حتى تنظري، فإني أخاف أن يكون فيها شيء تكرهينه، فجاؤوا بكلب فأكل منها، فتساقط لحمه، فأرسل إليها بعد ذلك: كيف رأيت الأرزّة؟ فقالت: وجدتها طيبة، فقال: لم تأكلي، ولو أكلت لكنت قد استرحت منك! متى أفلح خليفة له أمٌّ! قالَ: وحدثني بعض الهاشميين، أن سبب موت الهادي كان أنه لما جد في خلع هارون والبيعة لابنه جعفر، وخافت الخيزران على هارون منه، دست إليه من جواريها لما مرض من قتله بالغم والجلوس على وجهه، ووجهت إلى يحيى بْن خالد: أن الرجل قد توفي، فاجدد في أمرك ولا تقصر»[1]. فهو يتآمر عليها ليقتلها بالسم وهي تتآمر عليه لتقتله بالجلوس على وجهه تمامًا مثلما فعلت زوجة يزيد بن معاوية بزوجها التالي مروان بن الحكم!

وإذا كان قد فشل الهادي العباسي في اغتيال أمه فقد نجح في اغتيال وزيره الربيع وهو خادمهم في كأس مسمومة جعله يشربها ومات من ليلته!

وأخو هارون العباسي دسّ لإدريس بن عبد الله بن الحسن من يسمه وهو في أفريقيا!

(1) الطبري: في تاريخه 8/ 206.

و«لم يكن أمر اغتيال الخصوم بكل وسيلة ممكنة شيئًا طارئًا، فالذي ينظر مليًّا في موسوعة العذاب لعبود الشالجي، وهي قطرة من محيط القسوة والحيوانية التي كانت تسيطر على أولئك الحاكمين، أو يرجع إلى كتاب أسماء المغتالين من الأشراف لابن المحبر البغدادي، يرى أن قتله لو لم يكن بتلك الصورة من السم بعد العذاب والتنكيل، كان مستنكرًا ومستغربًا!

بل كانت تصفياتهم لبعضهم بعضًا وتخلّص بعضهم من بعض ما استطاعوا لذلك سبيلًا هو الطريق المفضل لهم كيف لا وهم لا يرجون لله وقارًا، ولا يعتقدون حقيقةً جنة أو نارًا! وإنما هي هذه الحياة الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر»![1] ولقد تتبع مؤلفون موضوع الاغتيالات السياسية في تاريخ المسلمين، فجاؤوا بمؤلفات متعددة[2] انتهى بعضهم فيها إلى: «أنَّ جُلّ، إن لم يكن كل العمليات، قد وقعت في سبيل التنافس والتحاسد على السلطة. وسوف تتفاجأ عند قراءتك لعمليات الاغتيال أن أواصر القرابة والمودة قد تم التفريط بها والتخلي عنها من أجل صعود القمة وتسنم العرش. سوف تصعق عندما تجد الأب يقتل ابنه، والابن يغدر بأخيه، والأم تسمِّم ولدها، وهكذا..»[3].

(1) آل سيف؛ فوزي: كاظم الغيظ الإمام موسى بن جعفر

(2) منها كتاب الاغتيال السياسي في الإسلام لهادي العلوي، والاغتيالات في الإسلام لحسن عبد الله، ومعجم السياسيين المغتالين في التاريخ العربي والإسلامي لفؤاد صالح السيد، وأشهر الاغتيالات في الإسلام لخالد السعيد.

(3) السعيد؛ خالد: أشهر الاغتيالات في الإسلام؛ المقدمة.

الثالثة: إنه سيتبيّن أن اغتيال المأمون للإمام الرضا بالسم، كان محل شياع واسع في المجتمع في وقت شهادة الإمام عليه السلام، فقد كان (الناس) يتهمون المأمون بذلك، ولم تكن هذه التهمة وهذا الشياع ناشئًا من فراغ بل كان لديهم من القرائن ما يجعلهم يعتقدون بذلك، بل إن المأمون نفسه رأى هذه المسألة وزعم أنه يحزن لأن الناس (يتهمونه) بذلك! وهي على طريقة: يكاد المريب أن يقول خذوني!

وأكثر من ذلك فإن قسمًا تساءلوا عن أسباب قيامه بذلك ما يعني أنهم اعتبروا القضية مسلمة وتامة، وإنما السؤال هو عن الأسباب. كما سيأتي عند الحديث عن جواب أبي الصلت الهروي.

هذا بالإضافة إلى تصريحات المعصومين عليهم السلام قبل شهادة الإمام الرضا عليه السلام بأنه سيحدث هذا، وتصريحات الإمام نفسه بأن مصيره سيكون هكذا.. وسيأتي تفصيله.

وفي المقابل فإن من أنكر ذلك من أتباع مدرسة الخلفاء في عصور متأخرة لم يقدم جوابًا واضحًا![1] فتارة يقول بعضهم: أكثر من أكل العنب فمات! وأخرى يقول بأنه أكل عنبًا فمات!

(1) كابن الأثير وابن خلكان وابن الطقطقي.

وأما تفصيل المطلب فهو في الآتي:

1 ـ فيما يعتقده الإمامية أن أئمتهم يعلمون ـ بعهد من رسول الله بعد إخبار الله له ـ بأن تصديهم لحماية دين الله وتبليغ شريعته سيكون له ثمن؛ وهو أن يؤذوا في أيام حياتهم، من قبل أعداء الرسالة، وأن يفقدوا حياتهم في آخر الأمر اغتيالًا وقتلًا.

وشُرط عليهم الوفاء بذلك، فقبلوا به راضين مطمئنين، وأقدموا على تحمل ذلك بما فيه الموت في سبيله ولسان حالهم: إن كان هذا يرضيك فخذ حتى ترضى!

ولأنهم كذلك فقد أُخبروا وأَخبروا ـ من يتحمل هذه المعرفة ـ[1] بنهاياتهم، فعن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أنه قال: «سيقتل رجل من ولدي بأرض خراسان، بالسم ظلمًا، اسمه اسمي واسم أبيه اسم ابن عمران موسى عليه السلام، ألا فمن زاره في غربته غفر الله عز وجل ذنوبه ما تقدم»[2].

(1) في بعض أخبار الإمامية أن بعض أصحابهم كان لديهم علم بطريقة موتهم أو زمانه بواسطة إخبار المعصومين إياهم مثل عمار بن ياسر وميثم التمار وحبيب بن مظاهر.. فقد روى الشيخ الطوسي في كتاب اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) 1/ 336 عن أبي الحسن الرضا عليه السلام عن أبيه، عن آبائه (صلوات الله عليهم) قال أتى ميثم التمار دار أمير المؤمنين عليه السلام فقيل له إنه نائم فنادى بأعلى صوته: انتبه أيها النائم فوالله لتخضبن لحيتك من رأسك! فانتبه أمير المؤمنين عليه السلام فقال: ادخلوا ميثمًا، فقال له: أيها النائم والله لتخضبن لحيتك من رأسك! فقال: صدقت وأنت والله لتقطعن يداك ورجلاك ولسانك!

(2) عطاردي: مسند الإمام الرضا 1/ 148.

وعن الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام في حديث أنه قال لرجل طوسي: «سيخرج من صلبه يعني موسى بن جعفر عليه السلام رجل يكون رضًا لله عز وجل في سمائه ولعباده في أرضه يقتل في أرضكم بالسم ظلمًا»[1].

وعن سليمان بن حفص المروزي قال: «سمعت أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام يقول: إنّ ابني عليًّا مقتول بالسمّ ظلمًا»[2].

وعن علي بن الحسن بن علي بن فضال عن أبيه قال: سمعت أبا الحسن عليَّ بن موسى الرضا عليه السلام يقول: «إني مقتول ومسموم ومدفون بأرض غربة، أعلم ذلك بعهد عهده إليّ أبي عن أبيه عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»[3].

وعن الحسن بن الجهم قال: «حضرت مجلس المأمون يومًا وعنده علي بن موسى الرضا عليه السلام وقد اجتمع الفقهاء وأهل الكلام من الفرق المختلفة فسأله بعضهم... وذكر أسئلة القوم وأجوبة الإمام عليه السلام وساق الحديث إلى أن قال:.. فقال المأمون: لا أبقاني الله بعدك يا أبا الحسن فوالله ما يوجد العلم الصحيح إلا عند أهل البيت وإليك انتهت علوم آبائك فجزاك الله عن الاسلام وأهله خيرًا»!

(1) الحر العاملي: إثبات الهداة 4/ 148.
(2) البحراني؛ الشيخ عبد الله: العوالم، الإمام الرضا 1/ 470.
(3) العاملي؛ الحر: إثبات الهداة 1/ 307.

قال الحسن بن جهم: فلما قام الرضا عليه السلام تبعته فانصرف إلى منزله فدخلت عليه وقلت له: يا بن رسول الله الحمد لله الذي وهب من جميل رأي أمير المؤمنين ما حمله على ما أرى من إكرامه لك وقبوله لقولك!

فقال عليه السلام: يا بن الجهم لا يغرنك ما ألفيته عليه من إكرامي والاستماع مني فإنه سيقتلني بالسم وهو ظالم لي! إني أعرف ذلك بعهد معهود إلي من آبائي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاكتم هذا ما دمتُ حيًّا، قال الحسن بن الجهم: فما حدثت أحدًا بهذا الحديث إلى أن مضى عليه السلام بطوس مقتولًا بالسم»[1].

ويظهر من خلال تعدد الرواة عن الإمام الرضا في قضية قتله بالسم، وتعدد النصوص أن الإمام عليه السلام كان حريصًا على تأكيد هذا المعنى بأنحاء مختلفة ومتعددة؛ فها هو يقول لأبي الصلت عبد السلام بن صالح الهروي: «والله ما منا إلا مقتول شهيد، فقيل له: فمن يقتلك يا بن رسول الله؟ قال: شر خلق الله في زماني، يقتلني بالسم، ثم يدفنني في دار مضيعة وبلاد غربة»[2].

وقد قال لهرثمة بن أعين حين اقترب موعد رحيله عن الدنيا: «يا هرثمة! هذا أوان رحيلي إلى الله ولحوقي بجدي وآبائي عليهم السلام،

(1) الصدوق؛ عيون أخبار الرضا 2/ 218

(2) عطاردي؛ مسند الإمام الرضا 1/ 149

وقد بلغ الكتاب أجله، وقد عزم هذا الطاغي على سمّي[1] في عنب ورمّان مفروك»[2].

فهذه الروايات ـ وغيرها كثير ـ والصادرة عن المعصومين ومنها ما كان قبل حدوث الحادثة كما عن أمير المؤمنين والإمامين الصادق والكاظم عليهما السلام، ومنها ما كان عن الإمام الرضا تُنبئ بصدق وصراحة عن الاغتيال والقائم به والوسيلة المستخدمة في ذلك.

2 ـ كذلك شهادات من عاصر الإمام عليه السلام، سواء من أصحابه أو من غيرهم، فإنهم كانوا يتعاملون مع القضية على أنها قضية متسالم عليها ولا تحتاج إلى استدلال وبرهان.

فمن أولئك إبراهيم بن العباس بن محمد الصولي الشاعر إذ روي عنه: «كانت البيعة للرضا عليه السلام لخمس خلون من شهر رمضان سنة إحدى ومائتين وزوجه ابنته أم حبيب في أول سنة اثنتين ومائتين، وتوفي سنة ثلاث ومائتين، والمأمون متوجه إلى العراق، وكان الرضا عليه السلام يعجبه العنب، فأخذ له شيء منه، وجعل في موضع أقماعه الإبر أيامًا، ثم نزعت منه وجيء به إليه، فأكل منه فقتله، وذكر أن ذلك من لطيف السموم»[3].

(1) في موضوع علم الإمام بموته وإقدامه على ذلك وأنه هل يعد ذلك تهلكة أو لا، يمكن لمن أراد الجواب مراجعة كتابنا (من قضايا النهضة الحسينية) ففيه جواب مفصل.

(2) العاملي؛ إثبات الهداة 4/ 340.

(3) عطاردي؛ مسند الإمام الرضا 1/ 132.

ومن أولئك أحمد بن علي الأنصاري الذي سأل أبا الصلت محمد بن عبد السلام الهروي عن أسباب ذلك، وهو يسأل عن أسباب الاغتيال بعد التسليم عنده وعند الهروي بأن الحادثة تامة وأن القتل ثابت، سأله: كيف طابت نفس المأمون بقتل الرضا عليه السلام مع إكرامه ومحبته له وما جعل له من ولاية العهد بعده؟! والإجابة عن هذا السؤال ـ والتي سنتعرض لها فيما بعد ـ تفتح الباب واسعًا أمام فهم الحدث الذي جعل قسمًا من المؤرخين اللاحقين مع أنهم «يروون» رواية سمه إياه لاشتهارها إلا أنهم «يرون» خلافها لعدم قدرتهم على حل السؤال الذي بيّن الهروي جوابه ببيان ممتاز.

3 ـ ومن تلك القرائن إحساس المأمون العباسي بأن الناس عامة يرون أنه هو الذي قتل الإمام الرضا عليه السلام لاطلاع كثير منهم على الحيثيات والأسباب التي تدعو المأمون لقتل الإمام والتي أشار إليها أبو الصلت الهروي، فإن هؤلاء الناس بحسب معايشتهم لتلك الظروف والأوضاع قد يتعرفون على كل الأسباب أو بعضها، من حيث طبيعة العلاقة وزمان الاغتيال إذ جاء في وقتٍ أصبح وجود الإمام الرضا في ولاية العهد عبئًا عليه لرفض الأسرة العباسية لذلك القرار، وقد استشعر المأمون وجود اتهام عام من قبل الناس له، وصرح

بذلك متنصلًا من جريمة القتل، فقد نقل أنه ذهب لعيادة الإمام الرضا عليه السلام بعدما سقي السم، «فوقف على الرضا عليه السلام وقد أفاق، فقال: يا سيدي والله ما أدري أي المصيبتين أعظم عليّ؟ فقدي لك وفواتي إياك؟ أو تهمة الناس لي إني اغتلتك وقتلتك؟! قال: فرفع طرفه إليه، ثم قال: أحسن يا أمير المؤمنين معاشرة أبي جعفر عليه السلام، فإن عمرك وعمره هكذا وجمع بين سبابتيه.

فلما كان من تلك الليلة قُضي عليه بعد ما ذهب من الليل بعضه، فلما أصبح اجتمع الخلق، وقالوا: إن هذا قتله واغتاله يعنون المأمون وقالوا: قتل ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأكثروا القول والجلبة»[1].

ونحن نلاحظ في هذا الخبر أن المأمون أقرَّ بوجود اتهام من الناس له، وعلى طريقة «يكاد المريب أن يقول خذوني» حاول أن ينفي هذا الأمر، وأن هناك مصيبتين عظيمتين عليه كما قال؛ فقد الإمام وتهمة الناس إياه! غير أن هذا النفي لم يكن كافيًا فبمجرد أن قضى الإمام نحبه اجتمع الخلق، وقالوا: إن هذا قتله واغتاله!

كما نلاحظ أن الإمام عليه السلام لم يبرئه من التهمة حين ذكرها

(1) الصدوق: عيون أخبار الرضا 2/ 270.

المأمون أمامه، وربما كان المأمون يتوقع أن يقول الإمام كلامًا ينفي عنه ما ذكره لكن الإمام عليه السلام ما زاد على أن يوصيه بابنه الإمام محمد الجواد عليه السلام، بل ربما نستفيد من طريقة كلام الإمام اتهامًا مبطنًا له، وتحذيرًا من أن عمْر المأمون مرتبط بعمر ابنه الجواد وأنه سينتهي عندما ينتهي عمر الجواد، فعليه ألّا يقدم على خطيئة اغتياله كما اغتال أبوه، فإذا كان يحب البقاء والاستمرار فلا يقدم على ذلك العمل!

4 ـ إننا نلاحظ أن المؤرخين الذين ذكروا وفاة الإمام علي الرضا عليه السلام، كانوا على أقسام: فهناك من أشار بنحو جازم إلى أنها كانت بواسطة السم، وبفعل المأمون، وهناك من جعلها أحد القولين، فقال: وقيل إنه بالسم، والقسم الثالث كان مضحكًا في توجيه وفاته، فتارة يقول أكل عنبًا فأكثر منه فمات! وأخرى يقول أكل عنبًا فمات (من دون الإكثار)! ونحن نحتمل أن هذا القسم هو من أولئك الذين يهمهم تزيين صورة الحاكمين والخلفاء، ونسبة القتل للخليفة هي من أشنع الذنوب وأعظم الكبائر، فيرى أن المناسب أن يحيل الأمر على العنب (لعنة الله عليه!!) لا على الخليفة (أو وهذا أسوأ) يحيل الأمر على الإمام نفسه، فهو الذي قتل نفسه لأنه أكثر من الأكل!! وقد نسوا أو تناسوا أنه أول من وضع رسالة طبية وصحية في

صيانة البدن من الأمراض وركز فيها على الاعتدال في الطعام والشراب، كما مر في الحديث عن الرسالة الذهبية!

وأما القسم الثاني فمنهم من لم يستطع أن يحل السؤال الذي ذكرنا أن أبا الصلت قد أجاب عنه؛ وهو أنه كيف يمكن أن يسمه مع أنه أكرم الإمام وجعله على ولاية العهد وزوجه ابنته؟ فكيف تنسجم هذه الأمور مع كونه يسمه؟ بل كيف كان يظهر فضل الإمام وعلمه أمام الآخرين من بني العباس وغيرهم ثم يقوم باغتياله؟ ولكن مع التأمل في جواب أبي الصلت يتضح الأمر وتنحل المشكلة.

بل ربما نسب إلى بعض علماء الإمامية الكبار أنهم ترددوا في نسبة الاغتيال للمأمون للسبب نفسه، وسيأتي الإشارة إليه إن شاء الله.

وسنعرض لذكر بعض ما جاء في كتب التاريخ من النماذج المختلفة:

فمن الذين جزموا بالقتل: ظهير الدين البيهقي (ت 565 هـ) في كتابيه تاريخ بيهق، ولباب الأنساب، إذ قال في الأول عن المأمون أنه «قتل وزيره ذا الرئاستين، الفضل بن سهل في الحمام بمدينة سرخس، وسقى علي بن موسى الرضا السم بسناباد طوس»[1].

(1) البيهقي؛ ظهير الدين علي بن زيد: تاريخ بيهق 1/ 150.

ومن أولئك ابن حبان (ت 354هـ) فمع أنه أساء في تعريف الإمام عليه السلام وأبدى جهلًا بموضعه وعلمه، فضلًا عن إمامته كما قال ذلك في كتابه المجروحين، إلا أنه في ذكره لوفاته صرح بأنه مات مسمومًا في ماء الرمان على يد المأمون؛ قال: «ومات علي بن موسى الرضا بطوس يوم السبت آخر يوم من سنة ثلاث ومئتين، وقد سم من ماء الرمان وأسقى قلبه المأمون»[1].

ومنهم ابن الجوزي صاحب المنتظم حيث قال فيه كما نقل عنه سبطه: «وقال جدِّي في (المنتظَم): لمّا رأوا أن الخلافةَ قد خرجت إلى أولاد عليٍّ بن أبي طالب، سقَوا عليَّ بن موسى الرِّضا السمّ، فتوفِّي بقريةٍ من قرى طوسَ»[2].

وأما الذين ترددوا في الأمر؛ لما ذكرنا في السطور الماضية، فتارة ذكروا قضية السم بعنوان قيل؛ وأخرى مع إضافة سبب من الأسباب التي تتناسب مع توجهاتهم في تنزيه الخليفة، وهكذا، فمنهم المقدسي (ت نحو 355 هـ) في كتابه: (البدء والتاريخ) إذ قال مؤرخًا رحلة المأمون باتجاه بغداد: «فلما بلغ بلدة سرخس قتل الفضل بن سهل في الحمام غيلة، ومات علي بن موسى

(1) ابن حبان: المجروحين من المحدثين 2/ 107.
(2) سبط بن الجوزي: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان 13/ 388.

الرضا بطوس ودفن عند قبر هارون؛ واختلفوا في سبب موته فمن قائل إنه سم وآخر أنه أكل عنبًا فمات»[1].

ومثله ابن حزم الأندلسي (ت 456هـ) فمع أنه أخطأ في اسم الإمام ﷺ ونسبه إلى جده جعفر بن محمد، إلا أنه ذكره فيمن صارت له ولاية العهد وقال: «علي بن جعفر بن محمد بن علي بن أبي طالب: ولاه المأمون عهده، ومات إلى مديدة في حياة المأمون، وقيل إنه سمه، وكان سماه الرضا»[2].

وأما سبط ابن الجوزي فقد روى أنه قُدِّمَ إليه السم، لكنه رأى خلاف ذلك، ومن المعلوم أننا في الموضوع التاريخي ينبغي أن نقدم الرواية على الرأي الخاص الذي لا يستند إلى النقل الصحيح، فقال في كتابه مرآة الزمان: «وقد ذكرنا إشخاصَ المأمونِ له، وأنه سار معه من مروَ يريد العراق، فلمّا وصل إلى طُوسَ مرض أيامًا، فتأخَر رحيلُ المأمون بسببه.

وقيل: لم يمرض، وإنّما دخل الحمّام وخرج، فقُدِّم إليه طَبَقٌ فيه عِنَب مسمومٌ سمًّا لم يظهر فيه، فيقال: إنّهم أدخلوا فيه الإبرَ المسمومة، فأكله فمات»[3].

(1) المقدسي، المطهر بن طاهر: البدء والتاريخ 6/ 111..
(2) الاندلسي؛ ابن حزم: رسائل ابن حزم 2/ 52..
(3) الجوزي؛ سبط بن الجوزي: تذكرة الخواص 318.

وبعد أن أورد هذه التفاصيل التي تتفق مع غيرها في مسمومية العنب، وكيفية سمه، بل والدافع إلى ذلك من قول جده في المنتظم، وقد نقلناه آنفًا.. انقلب على عقبه فقال: «وقد زعم قوم أن المأمونَ سمَّه، وليس كما ذكروا؛ فإنّ المأمون حزن عليه لمّا مات حُزْنًا لم يحزنْه على أحد، وكتب إلى الآفاق يعزُّونه فيه ولو أنه سُمَّ مَن يوثق به؟ فإن الطبريَّ قال: مات فجأةً، أكل عِنبًا فأكثر منه».

وجرى على هذا المنوال ابن خلكان وابن الأثير فقال كل منهما بأنه أكثر من أكل العنب ويُقال إنه سُمّ في العنب.

وقد ذكرنا في الصفحات السابقة أن الحزن لم يكن أكثر من تمثيلية لم تنطل على أهل ذلك الزمان بل قالوا إنّ المأمون هو الذي قتله! نعم بقيت لتخدع السذج فيما بعد! وهذا يشبه أن نقول لمن تم اغتيالهم بالسم على يد معاوية؛ إنهم أكثروا من أكل العسل! أو اللبن! فماتوا.

ونقل المقريزي[1] أن المأمون قد اتهم بسمه في عنب، وجمع بينهما الطيب بامخرمة[2] في كتابه قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، فقال: قيل إنه أكل عنبًا فأكثر منه فمات وقيل مات مسمومًا.

(1) المقريزي: المقفى الكبير 4/ 164.
(2) الطيب بامخرمة: قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر 2/ 372.

هل في الشيعة من يرى موت الإمام بشكل طبيعي؟

قد ذكر العلامة المجلسي في البحار أن السيد رضي الدين بن طاووس (ت 664هـ) وتلميذه علي بن عيسى الإربلي (ت 692هـ) قد ذهبا إلى أن الإمام لم يمت بسم المأمون فقال: «اعلم أن أصحابنا والمخالفين اختلفوا أن الرضا ﷺ هل مات حتف أنفه أو مضى شهيدًا بالسم، وعلى الأخير هل سمه المأمون لعنه الله أو غيره؟ والأشهر بيننا أنه ﷺ مضى شهيدًا بسم المأمون، وينسب إلى السيد علي بن طاووس أنه أنكر ذلك، وكذا أنكره الإربلي في كشف الغمة، ورد ما ذكره المفيد بوجوه سخيفة..»[1].

أقول: لم أعثر على قول السيد ابن طاووس؛ ولكن الإربلي في كشف الغمة بعد أن ساق عددًا من الأخبار تحتوي على التصريح بتخطيط المأمون لتسميم الإمام الرضا وأمره بعض عماله لفت الرمان وعجنه بالسم ونزع أقماع العنب وجعل الإبر المسمومة فيه، قال: «بلغني ممن أثق به أن السيد رضي الدين علي بن الطاووس ﷺ كان لا يوافق على أن المأمون سقى عليًّا ﷺ ولا يعتقده وكان ﷺ كثير المطالعة والتنقيب والتفتيش على مثل ذلك والذي كان يظهر من المأمون من حنوه عليه وميله إليه واختياره

(1) المجلسي: بحار الأنوار 49/ 313.

له دون أهله وأولاده مما يؤيد ذلك ويقرره وقد ذكر المفيد رحمه الله شيئًا ما يقبله نقدي ولعلّي واهمٌ...»[1] وهذا هو الذي أشار إليه المجلسي في البحار. وأنه رد على المفيد بوجوه ضعيفة.

والواقع أن كلا الأمرين ينتهيان إلى نتيجة واحدة وهي أن التلميذ نصًّا والأستاذ نقلًا عنه، استبعدا ـ (اجتهادًا) ـ أن يكون المأمون سمَّ الإمام «لحنوه عليه وميله إليه واختياره له دون أهله وأولاده» وهذا سيجيب عنه النص الذي سننقله عن أبي الصلت الهروي وذكرنا أنه سيحل المشكلة عند الكثيرين ممن يستبعدون بحسب التحليل والرأي حصول هذا الأمر!

وهذه هي المشكلة الأساس التي تعثر فيها كثير ممن نفى تسميم الإمام أو تردد في ذلك سواء من السُّنَّة أو الشيعة. فلنعطف الكلام إليها بعدما ذكرنا من النصوص ما فيه كفاية في إثبات هذا الأمر، سواء من المعصومين قبل حصول الحادثة بأكثر من قرن ونصف كما عن الإمام أمير المؤمنين، أو بنحو نصف قرن كما عن الإمام جعفر الصادق وابنه الكاظم عليهما السلام، وهكذا النصوص التي ساقها الإمام الرضا عليه السلام نفسه وأخبر عن أنه يمضي مسمومًا بواسطة المأمون في مواضع متعددة وإمام رواة كثيرين.

(1) الإربلي؛ علي بن أبي الفتح: كشف الغمة في معرفة الأئمة3/ 76.

والنصوص التي ذكرها المعاصرون للإمام نفسه من أصحابه ورواة حديثه، وأخيرًا اعترافات وإشارات المأمون نفسه بالأمر، واشتهار كونه القائم بهذا العمل بين عامة الناس. ثم بيان بعض المؤرخين الذين ذكروا هذه القضية جازمين بها أو ذاكرين لها على أنها أحد الاحتمالات.

لماذا فعل المأمون ذلك؟

أشرنا مرارًا في الصفحات الماضية إلى أن جواب أبي الصلت الهروي عن سؤال كيف يمكن أن يكون المأمون على ذلك المقدار من العلاقة مع الإمام الرضا ومع ذلك يقدم على قتله؟ هذا لا يكون في رأي بعضهم، فلننظر إلى جواب أبي الصلت مع ملاحظة شأنه ومنزلته:

عن أحمد بن علي الأنصاري قال: سألت أبا الصلت الهروي فقلت له كيف طابت نفس المأمون بقتل الرضا عليه السلام مع لإكرامه ومحبته له وما جعل له من ولاية العهد بعده؟!

فقال: إن المأمون إنما كان يكرمه ويحبه لمعرفته بفضله وجعل له ولاية العهد من بعده ليرى الناس أنه راغبٌ في الدنيا فيسقط محله من نفوسهم، فلما لم يظهر منه في ذلك للناس إلا ما ازداد به فضلًا عندهم ومحلًا في نفوسهم جلب عليه المتكلمين من البلدان طمعًا في أن يقطعه واحدٌ منهم فيسقط محله عند العلماء (وبسببهم) يشتهر نقصه عند العامة، فكان لا يكلمه خصمٌ من

اليهود والنصارى والمجوس والصابئين والبراهمة والملحدين والدهرية ولا خصمٌ من فرق المسلمين المخالفين إلا قطعه وألزمه الحجة، وكان الناس يقولون: والله إنه أولى بالخلافة من المأمون وكان أصحاب الأخبار يرفعون ذلك إليه فيغتاظ من ذلك ويشتد حسده له، وكان الرضا عليه السلام لا يحابي المأمون من حق وكان يجيبه بما يكره في أكثر أحواله فيغيظه ذلك ويحقده عليه ولا يظهره له فلما أعيته الحيلة في أمره اغتاله فقتله بالسم[1].

1 ـ يلاحظ في الحديث أنه قد فرض السائل نفس ما هو في أذهان المترددين أو المنكرين لقتل المأمون الإمام الرضا عليه السلام وهو: إكرامه ومحبته له وما جعل له من ولاية العهد.

2 ـ في الجواب: أشار أبو الصلت (وهو الرجل العارف بالإمام الراوي عنه والواعي لخطط المأمون بملاحظته تارة وإخبار الإمام أخرى) إلى أن أحد أغراض المأمون من الضغط على الإمام بل وإكراهه على ولاية العهد، أن يُسقط جانب القدوة في سيرته وسيرة باقي المعصومين، فإن وجوده في ولاية العهد يعيش في القصور ويتقلب في الأطعمة اللذيذة والجواري الجميلة كما هي طريقة المترفين وأصحاب

(1) الصدوق: عيون أخبار الرضا 2/ 265.

السلاطين لا ريب ستبعد صاحبها عن التعلق بالآخرة، وعندئذ يسقط عن موقعه بوصفه داعيًا إلى الله وإمام على الخلق ودليل إلى الجنة!

لقد أراد المأمون بهذا أن يقول للناس: إن هؤلاء إنما زهدوا في الدنيا حين زهدت فيهم، وتركوها عندما لم يحصلوا عليها، أما وقد حصلوا عليها فسينكبّون عليها ويتمتعون فيها، وحينئذ يكون حالهم كحال باقي السلاطين والأمراء ممن أغرتهم الدنيا!

لكن هذه الخطة من المأمون لم تنجح إذ لم تغير ولاية العهد طريقة معيشة الإمام عليه السلام ولا بدلت في برنامجه، فقد كان يأكل الجشب من الطعام ويلبس الغليظ من الثياب حتى لقد عاب عليه بعض الصوفية ما يلبس ظاهرًا فأبان لهم أنه إنما يلبس هذا في الظاهر للبعد عن التظاهر بالتقشف ويلبس الخشن في الباطن تواضعًا لله. وقد ذكروا في أحواله صورًا عجيبة من الزهد منها أنه اشتهى ذات يوم كبدًا مشوية ـ وهي مما يستطيعه أغلب الناس ـ فجاؤوا بها إليه فلما شم رائحتها قال: إني والله أحبها ولكن الله قد قال: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ ﴾[1] ارفعوها إلى بيت فلان الفقير ولم يتناول منها شيئًا.

(1) آل عمران: 92.

وكان يصر على أن يأكل معه الخدم والعبيد والموالي فلا يتميز عليهم في مطعمه أو مشربه، بل ربما كان يقوم على رؤوسهم ليخدمهم! الأمر الذي جر بعض الموظفين في قصر الخلافة أن يلفت نظره إلى أن هذا مخالف للبروتوكول الرسمي في القصر فقال: إن الرب واحد والأب واحد.

لقد فشلت هذه الخطة التي رام منها المأمون إسقاط المثال المعصومي من أذهان الناس، وتحطيم جانب القدوة في حياة الأئمة! فلم يزدد فيها الإمام إلا فضلاً عندهم ومحلاً في نفوسهم، وظهر لهم ما كان خافيًا من أخلاقه وفضائله.

فها هو رجاء بن أبي الضحاك الذي بعثه المأمون لإشخاص الإمام علي الرضا عليه السلام من المدينة إلى مرو خراسان ينقل إليه بإعجاب وإكبار عظيمين ما شاهده من أخلاق الإمام وعبادته وخضوعه لله حتى قال له المأمون: «يا بن أبي الضحاك هذا خير أهل الأرض وأعلمهم وأعبدهم فلا تخبر أحدًا بما شاهدته منه لئلا يظهر فضله إلا على لساني»[1].

ومثل ذلك ما قاله إبراهيم بن العباس: «ما رأيت أبا الحسن الرضا عليه السلام جفا أحدًا بكلمة قط، ولا رأيته قطع على أحد كلامه

(1) الصدوق: عيون أخبار الرضا 2/ 197.

حتى يفرغ منه، وما رد أحدًا عن حاجة يقدر عليها، ولا مدّ رجله بين يدي جليس له قط ولا اتّكأ بين يدي جليس قط، ولا رأيته شتم أحدًا من مواليه ومماليكه قط، ولا رأيته تفل ولا رأيته يقهقه في ضحكة قط بل كان ضحكه التبسم، وإذا خلا ونصب مائدته أجلس معه على مائدته مماليكه ومواليه حتى البواب السائس، وكان عليه السلام قليل النوم بالليل كثير السهر يحيي أكثر لياليه من أولها إلى الصبح، وكان كثير الصيام فلا يفوته صيام ثلاثة أيام في الشهر، ويقول ذلك صوم الدهر، وكان عليه السلام كثير المعروف والصدقة في السر وأكثر ذلك يكون منه في الليالي المظلمة؛ فمن زعم أنه رأى مثله في فضله فلا تصدق»[1].

3 ـ مع فشل الخطة الأولى، انتقل المأمون إلى الثانية؛ وهي التي قال عنها أبو الصلت: جلب عليه المتكلمين من البلدان طمعًا في أن يقطعه واحدٌ منهم فيسقط محله عند العلماء وبسببهم يشتهر نقصه عند العامة.

في هذه الخطة أراد أن يظهر ـ عجز الإمام العلمي ـ بزعمه ـ وذلك بتشكيل مجالس مناظرة واحتجاج متنوعة، كان أشهرها ما يسمى اليوم بمؤتمر عالمي للديانات والعقيدة، إذ دعا أرباب الديانات ورؤساءها، ومتكلمي الفرق والفلاسفة، وقد تولى

(1) الصدوق: عيون أخبار الرضا 2/ 198.

الدعوة إلى ذلك الفضل بن سهل وكان سيئ الموقف من الإمام الرضا عليه السلام، فدعا رأس الجاثليق (الكاثوليك) ورأس الجالوت (زعيم اليهود) وعمران الصابئي رأس الصابئة، وأصحاب زرداشت وقسطاس الرّومي وغيرهم، فلما اجتمعوا عنده، قال لهم: إني إنّما جمعتكم لخير، وأحببت أن تناظروا ابن عمّي هذا المدنيّ القادم عليّ، فإذا كان بكرة فاغدوا عليّ ولا يتخلّف منكم أحد، وأرسل ياسرًا الخادم إلى الإمام أن يأتي.

«قال الحسن بن محمّد النوفلي: فلمّا مضى ياسر التفت الإمام إلينا، ثم قال لي: يا نوفليّ أنت عراقي ورقّة العراقي غير غليظ فما عندك في جمع ابن عمّك علينا أهل الشرك وأصحاب المقالات؟ فقلت: جعلت فداك يريد الامتحان ويحبّ أن يعرف ما عندك، ولقد بنى على أساس غير وثيق البنيان وبئس ـ والله ـ ما بنى.

فقال لي: وما بناؤه في هذا الباب؟ قلت: إن أصحاب البدع والكلام خلاف العلماء وذلك أنّ العالم لا ينكر غير المنكر وأصحاب المقالات والمتكلّمون وأهل الشرك أصحاب إنكار ومباهتة، وإن احتججت عليهم بأن الله واحد قالوا: صحّح وحدانيّته وإن قلت: إن محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم رسول الله قالوا: أثبت رسالته، ثم يباهتون الرجل وهو يبطل عليهم بحجّته، ويغالطونه حتى يترك قوله فاحذرهم جعلت فداك.

قال: فتبسّم عليه السلام ثم قال: يا نوفلي أتخاف أن يقطعوا عليّ حجّتي ؟

قلت: لا، والله ما خفت عليك قطّ، وإنّي لأرجو أن يظفرك الله لهم إن شاء الله.

فقال لي: يا نوفلي تحبّ أن تعلم متى يندم المأمون؟ قلت: نعم.

قال: إذا سمع احتجاجي على أهل التوراة بتوراتهم، وعلى أهل الإنجيل بإنجيلهم، وعلى أهل الزّبور بزبورهم وعلى الصابئين بعبرانيتهم وعلى الهرابذة بفارسيتهم وعلى أهل الرّوم برروميتهم وعلى أصحاب المقالات، بلغاتهم فإذا قطعت كلّ صنف ودحضت حجّته وترك مقالته ورجع إليّ قولي علم المأمون أنّ الموضع الذي هو بسبيله ليس هو بمستحق له فعند ذلك تكون الندامة منه».

وبالفعل فإنه بعدما بدأ النقاش وسيطر الإمام على الجميع وأبان لهم حفظه للتوراة والإنجيل، وقدرته في المسائل العقلية والفلسفية، وقطع كلّ صنف ودحض حجّته وترك مقالته فاقتنع الجميع أن الإمام الرضا هو الأولى بالقيادة والإمامة والخلافة.. وما كان المأمون بصدده من توقف الإمام في المسائل وعجزه عن جوابها، رجع عليه بالعكس تمامًا.. وهنا كان محل ندم المأمون. كما توقع الإمام عليه السلام.

فإنه عليه السلام ليس فقط أصبح في الجانب العملي والأخلاقي قدوة عالية وظهر من فضله ما كان خافيًا، وإنما بالإضافة لذلك برز من علمه ما ذكرهم برسول الله في علمه، وأمير المؤمنين عليهما السلام.

فبطلت خطته الثانية. وقد أصبح هذا الملف مزعجًا له للغاية، ففي الوقت الذي كان يريد أن يستنصر به وأن «يركب ظهره» فإذا بالناس يتحدثون في فضل الإمام وأنه أولى بالخلافة منه! فكان هذا وسابقه يدعم فكرة التخلص من الإمام عليه السلام في نفس المأمون.

4 ـ وكانت قاصمة الظهر التي لا تتحمل عند المأمون أن الإمام عليه السلام، كان «لا يحابي المأمون من حق وكان يجيبه بما يكره في أكثر أحواله؛ فيغيظه ذلك ويحقده عليه ولا يظهره له، فلما أعيته الحيلة في أمره اغتاله فقتله بالسم».

فهذه إحدى الحوادث التي كانت فيها أجوبة الإمام عليه السلام في صميم الهدف، مع أنه لم يهاجم المأمون في الظاهر، فانظر ما يقوله أحد الرواة: «كنت عند مولاي الرضا عليه السلام بخراسان وكان المأمون يقعده يمينه إذا قعد للناس يوم الاثنين ويوم الخميس فرفع إلى المأمون أن رجلًا من الصوفية سرق فأمر بإحضاره فلما نظر إليه وجده متقشفًا بين عينيه أثر السجود فقال له: سوأة لهذه الآثار الجميلة ولهذا الفعل القبيح! أتنسب إلى السرقة مع ما أرى من جميل آثارك وظاهرك؟

قال: فعلت ذلك اضطرارًا لا اختيارًا حين منعتني حقي من الخمس والفيء!

فقال المأمون: أي حق لك في الخمس والفيء؟

قال: إن الله تعالى قسم الخمس ستة أقسام وقال الله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾[1] وقسم الفيء على ستة أقسام فقال الله تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾[2].

قال الصوفي: فمنعتني حقي وأنا ابن السبيل منقطع بي ومسكين لا أرجع على شيء ومن حملة القرآن!

فقال له المأمون: أعطل حدًا من حدود الله وحكمًا من أحكامه في السارق من أجل أساطيرك هذه؟

فقال الصوفي: ابدأ بنفسك تطهرها ثم طهر غيرك وأقم حد الله عليها ثم على غيرك!

(1) الأنفال: 41.
(2) الحشر: 7.

فالتفت المأمون إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام فقال: ما يقول؟

فقال: إنه يقول سُرِق فسرق! فغضب المأمون غضبًا شديدًا ثم قال للصوفي: والله لأقْطعنك (يعني في حد السرقة).

فقال الصوفي: أتقطعني وأنت عبدٌ لي؟

فقال المأمون: ويلك ومن أين صرتُ عبدًا لك؟

قال: لأن أمك اشتريت من مال المسلمين فأنت عبدٌ لمن في المشرق والمغرب حتى يعتقوك وأنا لم أعتقك، ثم بلعت الخمس بعد ذلك فلا أعطيت آل الرسول حقًّا ولا أعطيتني ونظرائي حقَّنا، والأخرى أنّ الخبيث لا يطهر خبيثًا مثله إنما يطهره طاهر، ومن في جنبه الحد لا يقيم الحدود على غيره حتى يبدأ بنفسه. أما سمعت الله تعالى يقول: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ نَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾؟[1]

فالتفت المأمون إلى الرضا عليه السلام فقال: ما ترى في أمره؟

فقال عليه السلام: إن الله تعالى قال لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾[2] وهي التي لم تبلغ الجاهل فيعلمها على جهله يعلمها العالم بعلمه والدنيا والآخرة قائمتان بالحجة وقد احتج الرجل!

(1) البقرة: 44.
(2) الأنعام: 149.

فأمر المأمون عند ذلك بإطلاق الصوفي واحتجب عن الناس واشتغل بالرضا عليه السلام حتى سمه فقتله»[1].

ومثل ذلك ما نقل من توجيهه إلى الصواب في قضية الوضوء، فإن المأمون كان يتوضأ والغلام يصب على يده، فقال عليه السلام: لا تشرك يا أمير المؤمنين بعبادة ربك أحدًا، فصرف المأمون الغلام وتولى تمام وضوئه بنفسه، وزاد ذلك في غيظه ووجده[2].

وعندما يكون النقاش في استحقاق الخلافة بالقرب من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فإن الإمام يكون صريحًا أمام المأمون ولا يوري أو يحابي، فقد نقل أن المأمون قال للإمام عليه السلام: «يا أبا الحسن إني فكرت في شيء فسنح لي الفكر الصواب فيه، فكرت في أمرنا وأمركم ونسبنا ونسبكم فوجدت الفضيلة فيه واحدة، ورأيت اختلاف شيعتنا في ذلك محمولًا على الهوى والعصبية.

فقال له أبو الحسن الرضا عليه السلام إن لهذا الكلام جوابًا إن شئت ذكرته لك وإن شئت أمسكت، فقال المأمون: لم أقله إلا لأعلم ما عندك فيه، قال الرضا عليه السلام: أنشدك الله يا أمير المؤمنين لو أن الله بعث نبيه محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم فخرج علينا من وراء أكمة من هذا الآكام فخطب إليك بنتك لكنت مزوجه إيّاها.

(1) الصدوق: عيون أخبار الرضا 2/ 264.
(2) عطاردي: مسند الإمام الرضا 1/ 131.

فقال: يا سبحان الله! وهل أحد يرغب عن رسول الله ﷺ فقال له الرضا عليه السلام: أفتراه كان يحل له أن يخطب ابني قال فسكت المأمون هنيئة ثم قال: أنتم والله أمس برسول الله رحمًا»[1].

5 ـ ومما يؤكد ما ذهب إليه أبو الصلت الهروي من الأسباب الداعية إلى قتل الإمام من قبل المأمون، هو ما نقل على لسان المأمون في احتجاجه على معارضيه العباسيين الذين نقموا عليه تولية الإمام لعهده، وخوفه من زوال الخلافة من بني العباس لبني علي بن أبي طالب، فقد كشف جانبًا من خططه وتدبيره في تولية الإمام لعهده وأنه عندما ينتهي ما دبره من إسقاطه ـ بزعمه ـ عن أعين الناس سوف ينهي أمره في إشارة إلى قتله واغتياله.. فانظر وتأمل فيما قال للعباسيين: «قد كان هذا الرجل مستترًا عنا يدعو إلى نفسه فأردنا أن نجعله ولي عهدنا ليكون دعاؤه لنا، وليعترف بالملك والخلافة لنا، وليعتقد فيه المفتونون به إنه ليس مما ادعى في قليل ولا كثير، وإن هذا الأمر لنا من دونه وقد خشينا إن تركناه على تلك الحالة أن ينفتق علينا منه ما لا نسده ويأتي علينا منه ما لا نطيقه.

(1) عطاردي؛ مسند الإمام الرضا 1/ 100.

والآن فإذ قد فعلنا به ما فعلناه وأخطأنا في أمره بما أخطأنا وأشرفنا من الهلاك بالتنويه به على ما أشرفنا، فليس يجوز التهاون في أمره، ولكنا نحتاج أن نضع منه قليلًا قليلًا حتى نصوره عند الرعايا بصورة من لا يستحق لهذا الأمر، ثم ندبر فيه بما يحسم عنا مواد بلائه»[1].

(1) الصدوق: عيون أخبار الرضا 2/ 182.

الإمام الرضا والمأمون العباسي
صراع السياستين

روي عن سيدنا ومولانا أبي عبد الله جعفر بن محمد صادق أهل البيت صلوات الله وسلامه عليه أنه قال مخاطبًا ولده موسى ومعرفًا به قال: «يخرج الله منه غوث هذه الأمة وغياثها وعلمها ونورها وفهمها وحكمها (بضم الحاء أو بفتحها) وخير مولود وخير ناشئ يحقن الله به الدماء ويصلح به ذات البين ويلم به الشعث، قوله حكم وصمته علم يبين للناس ما يختلفون فيه»[1].

المحور الرئيس للحديث سيكون عن سياسة الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام مع خلفاء بني العباس وإدارته للعلاقة مع الدولة العباسية متمثلة في عهد المأمون العباسي 198 هـ ـ 218 هـ .

ولم تكن الأحداث التي شهدها الإمام عليه السلام إبّان ولاية المأمون ذات مدة طويلة، فقد كان الإمام في المدينة المنورة حتى سنة 196هـ وكانت الأوضاع في الولايات والأقاليم مضطربة على

(1) الكافي، 1/ 362.

المأمون، إذ لم يستقدم المأمون الإمام من المدينة إلى خراسان إلا في سنة 201 هـ فبقي هناك حتى شهادته سنة 203 هـ .

لا يمكن فصل ما جرى للإمام الرضا عليه السلام في عهد المأمون من عرضه عليه ولاية العهد عن الصراع الدائر في الدولة العباسية أبان عهده؛ لذا توجب علينا دراسة:

ما قبل ولاية العهد، وهي مدة تصل إلى ثماني سنين، وهي مرحلة الصراع بين الأمين والمأمون وما بعدها.

دراسة الظروف السياسية التي ألجأت المأمون في إصراره على الإمام عليه السلام بقبول ولاية العهد.

كيف تخلص الإمام عليه السلام بحكمته ودرايته من تبعات ولاية العهد؟

جاء المأمون العباسي إلى الحكم على أثر معركة طاحنة بينه وبين أخيه الأمين، وقد قسم أبوهما هارون الدولة الإسلامية بينهما[1]، وعلى طريقة التنافس الموجود بين السلاطين والملوك، كان كل منهما يريد الحصة الأكبر.

انتهى الأمر إلى معركة بين الطرفين، وتغلب المأمون على أخيه الأمين ودخلت جيوشه إلى بغداد وسقط الأمين وقتل وقطع رأسه وعلق في عام 198هـ.

(1) كان الأمين في بغداد، وكان المأمون في مرو.

ولاية المأمون... والأزمات السياسية

استلم المأمون الحكم واصطدم بعدة مشاكل أبرزها:

1 ـ شرعية حكمه.. من أين استمدها؟ خصوصًا إذا ما علمنا بأن بني العباس كانوا يرغبون في خلافة محمد الأمين[1].

2 ـ دونية النسب، فأمّ عبد الله المأمون جارية فارسية اسمها (مراجل)، وهي أقل رتبة من أمّ محمد الأمين (زبيدة بنت جعفر المنصور) فهو من بني العباس من جهة أمه وأبيه؛ لذا شكلت قضية النسب للمأمون موضع قدح وذم، فقد هجا الأمينُ المأمونَ بأمه فقال:

وإذا تطاولت الرجال بفضلها فأربع فإنك لست بالمتطاول
أعطاك ربك ما هويت وإنما تلقى خلاف هواك عند مراجل
تعلو المنابر كل يوم آملا ما لست من بعدي إليه بواصل
فتعيب من يعلو عليك بفضله وتعيد في حقي مقال الباطل[2]

3 ـ مشكلة قتل أخيه، وفي ثقافة العرب أن الذي يقتل أخاه مثلًا أو أباه قد لا يعمر وقد لا يستقيم له الأمر، ولا يستقر ملكه.

(1) وهذا ما أشار إليه المأمون في حديثه لبني العباس: «.. وأما ما ذكرتم، مما مسكم من الجفاء في ولايتي، فلعمري ما كان ذلك إلا منكم: بمظافرتكم عليه، ومماليتكم إياه [أي الأمين]، فلما قتلته، تفرقتم عباديد، فطورًا أتباعًا لابن أبي خالد، وطورًا أتباعًا لأعرابي».

(2) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص329.

4 ـ حاشيته غير العربية مثل الفضل بن سهل[1]، وهذا يعني تمكين العناصر الأجنبية في إدارة الدولة، ما أغضب الجانب العربي، فأوجد لديهم حالة من الانزعاج.

5 ـ الثورات المناهضة والمناوئة لحكمه، وفقدانه لمعظم الولايات والأقاليم، كثورة (محمد بن إبراهيم) ابن طباطبا [173 هـ ـ 199 هـ] [2]، وسيطرته على الكوفة، ومؤازرة السري بن منصور الشيباني المعروف بـ (أبي السرايا) له.

كما أرسل أبو السرايا زيد بن موسى بن جعفر أخا الإمام الرضا عليه السلام إلى البصرة، فلما دخل البصرة وتمكن منها أحرق دور بني العباس وأضرم النار في نخيلهم فقيل له (زيد النار).

وفي اليمن ـ الذي يعرف بالخزان السكاني للعرب ـ سيطر إبراهيم بن موسى بن جعفر أخو الإمام عليها، وكان يدعو إلى الرضا من آل محمد، فانكب الناس على مبايعته، فأصبح واليًا عليهم.

وبُعِث إلى مكة، ونواحي الحجاز محمد بن جعفر أخو الإمام

(1) من أصول فارسية، وكان من المقربين للمأمون حتى زوجه ابنته بوران.. كما أن المأمون فوض للفضل أمور القصر وأطلق عليه (ذا الرياستين) أي رياسة السيف والقلم.

(2) هو محمد بن إبراهيم (طباطبا) بن إسماعيل بن علي الغمر بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

موسى بن جعفر الكاظم وعمّ الإمام الرضا ﷺ، الذي كان يلقب بـ (الديباج)[1]، حيث بقي فيها حوالي السنة، فكان تبديل كسوة الكعبة بواسطته باعتباره حاكما لها.

وفي المدينة خرج محمد بن سليمان بن داوود بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وفي واسط خرج جعفر بن محمد بن زيد بن علي، والحسين بن إبراهيم بن الحسن بن علي[2].

فكان الأمر يضيق بالمأمون الذي فقد معظم ولايات حكمه بما في ذلك بغداد التي كانت آنذاك في حكم الأمين.

ولاية العهد ومكائد المأمون

ارتأى المأمون وبمشاورة الوزير الفضل بن سهل التخلص من بعض هذه المشاكل وهذه التبعات بأن يستجلبوا الإمام الرضا ﷺ إلى خراسان.

أرسل المأمون رجاء بن أبي الضحاك لإشخاص الإمام الرضا ﷺ من المدينة، وأمر بحمله وحمل قسم من آل أبي طالب، ولتلافي لقاء الإمام بالناس أخذه على غير الجادة المعهودة، والطريق المتبع، فكانت القوافل المتجهة من المدينة نحو العراق

(1) سمي بالديباج لحسنه وجماله.

(2) العاملي؛ السيد جعفر مرتضى: الحياة السياسية للإمام الرضا ﷺ 184.

تسلك الطريق باتجاه البصرة فالكوفة فبغداد ثم إلى بلاد فارس، أو من البصرة إلى الأهواز إلى أن يصلوا إلى خراسان في الشمال الغربي[1].

وسُلك بالإمام عليه السلام عن طريق الأهواز مرورًا بـ (مرو) ثم (سَرَخس) وهذه المناطق غير مأهولة، وإذا كانت مأهولة فهي بعيدة عن الحالة السياسية، وعن التأثر عمّا يحدث من اضطرابات، وكذلك لم تكن معروفة بالولاء لأهل البيت عليهم السلام.

والغرض من هذا إبعاد الإمام الرضا عليه السلام عن مواليه وشيعته لئلا يؤازروه، ولا تتحرك مشاعرهم نحوه.

ولكن الإمام عليه السلام أبطل هذا التدبير، فكان يحدث الناس متى ما سنحت له الفرصة كما حدث في نيسابور التي لم يكن أهلها من الموالين لأهل البيت عليهم السلام، مع ذلك الإمام الرضا عليه السلام تحدث معهم، وروى لهم الحديث المعروف بحديث سلسلة الذهب.

إن اختيار الإمام عليه السلام لحديث سلسلة الذهب وهو الحديث الذي أملاه على أصحاب الحديث ومنهم: أبو زرعة، ومحمد بن أسلم الطوسي وقد سمع الحديث ألوف الناس ونصه: سمعت

(1) قال الحاكم في تاريخ نيسابور: أشخصه المأمون من المدينة إلى البصرة، ثم إلى أهواز، ثم إلى فارس ثم إلى نيسابور.

أبي موسى بن جعفر عليه السلام يقول: سمعت أبي جعفر بن محمد عليه السلام يقول: سمعت أبي محمد بن علي عليه السلام يقول: سمعت أبي علي بن الحسين عليه السلام يقول: سمعت أبي الحسين بن علي عليه السلام يقول: سمعت أبي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: سمعت جبرائيل عليه السلام يقول: سمعت الله عز وجل يقول: «لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي، فلما مرت الراحلة نادى أما بشروطها وأنا من شروطها»[1].

إن إسناد الإمام للحديث بهذه الكيفية له معنى كبير، وفوائد كثيرة أبرزها:

1 ـ تعريف الناس بأئمة أهل البيت عليهم السلام من خلال السند المروي.

2 ـ ربط التوحيد بإمامة أهل البيت عليهم السلام وذلك بقوله: «بشروطها وأنا من شروطها»، أي إمامتي والانتماء لي من شروطها.

كان المأمون يهدف بإخراج الإمام من المدينة إلى خراسان، وعرضه عليه الخلافة، وإن لم يقبل فولاية العهد مجموعة من الأهداف:

الهدف الأول: إخضاع الإمام عليه السلام تحت المراقبة، بدلًا من أن يكون بعيدًا عن أنظارهم، بحيث لا يستطيع أحد التواصل معه إلا عبر قصر الخلافة.

(1) الصدوق: عيون أخبار الرضا 2/ 144.

وهذا الهدف وغيره قد صرح به المأمون أمام حميد بن مهران، وجمع من بني العباس، حين عاتبوه على البيعة للرضا عليه السلام. يقول المأمون: «قد كان هذا الرجل مستترًا عنا، يدعو إلى نفسه، فأردنا أن نجعله ولي عهدنا، ليكون دعاؤه لنا، وليعترف بالملك والخلافة لنا، وليعتقد فيه المفتونون به بأنه ليس مما ادعى في قليل ولا كثير، وأن هذا الأمر لنا دونه.

وقد خشينا إن تركناه على تلك الحال: أن ينفتق علينا منه ما لا نسده، ويأتي علينا ما لا نطيقه، والآن.. فإذ قد فعلنا به ما فعلنا، وأخطأنا في أمره بما أخطأنا. وأشرفنا من الهلاك بالتنويه باسمه على ما أشرفنا، فليس يجوز التهاون في أمره. ولكننا نحتاج إلى أن نضع منه قليلًا قليلًا، حتى نصوره عند الرعية بصورة من لا يستحق هذا الأمر، ثم ندبر فيه بما يحسم عنا مواد بلائه»[1].

الهدف الثاني: محاولة إيهام الناس وخداعهم بأن أهل البيت عليهم السلام يتظاهرون بالزهد في الدنيا إذا أدبرت عنهم، أما إذا أقبلت عليهم فإنهم يطمعون فيها، وهذا ما قاله الإمام عليه السلام للمأمون، قال: تريد بذلك أن يقول الناس: إنّ عليّ بن موسى عليهما السلام لم يزهد في الدنيا بل زهدت الدنيا فيه، ألا ترون كيف قبل ولاية العهد طمعًا في الخلافة[2]؟

(1) الصدوق: عيون أخبار الرضا 2/ 144.

(2) الطبري (الشيعي)؛ لمحمد بن جرير: دلائل الإمامة 380.

فكان الهدف هو إسقاط رمزية الإمام من أعين الناس، عبر ما سوف يحصل عليه من أموال وخدم وقصور ورفاهية، فيصبح حاله حال الخلفاء والأمراء، فتنزع منه الخلافة الدينية، وتسقط عنه الشخصية المثالية التي سكنت نفوس وقلوب الناس.

الهدف الثالث: إحراج الثائرين باصطدامهم بالإمام عليه السلام باعتباره وليًا للعهد فهو جزء من السلطة.

فإن قبل هؤلاء إمامة الإمام عليه السلام فلا بدَّ من قبول الوضع السياسي وعدم التمرد عليه، وأن الأمور تنحل بواسطة الإمام.

وإن لم يقبل هؤلاء بإمامة الإمام سوف يصطدمون معه فينشأ نزاع وصراع بين بني هاشم، أي بين الثوار من جهة وبين الإمام الرضا عليه السلام من جهة أخرى.

التدبير السياسي للإمام

كانت خطة الإمام عليه السلام أكثر إحكامًا من رأي من المأمون، وكان عليه السلام شديد النباهة لخطط المأمون ومكائده، فحين عرض المأمون الخلافة عليه، وقال المأمون: يا بن رسول الله قد عرفت علمك وفضلك وزهدك وورعك وعبادتك وأراك أحق بالخلافة مني، فإني قد رأيت أن أعزل نفسي عن الخلافة وأجعلها وأبايعك.

قال له الإمام: إن كانت هذه الخلافة لك والله جعلها لك فلا يجوز لك أن تخلع لباسًا ألبسك الله وتجعله لغيرك وإن كانت الخلافة ليست لك فلا يجوز لك أن تجعل لي ما ليس لك.

فقال له المأمون: يا بن رسول الله فلا بدَّ لك من قبول هذا الأمر، فقال: لست أفعل ذلك طائعًا أبدًا.

فقال له: فإن لم تقبل الخلافة ولم تجب مبايعتي لك فكن ولي عهدي له تكون الخلافة بعدي.

فقال له: أعفني من ذلك يا أمير المؤمنين.

فقال له المأمون ـ كلاما فيه التهديد له على الامتناع عليه وقال في كلامه ـ: إن عمر بن الخطاب جعل الشورى في ستة أحدهم جدك أمير المؤمنين عليه السلام وشرط فيمن خالف منهم أن يضرب عنقه، ولا بدَّ من قبولك ما أريد منك فإني لا أجد محيصًا عنه.

فقال له الرضا عليه السلام: فإني أجيبك إلى ما تريد من ولاية العهد على أنني لا آمر، ولا أنهى، ولا أفتي، ولا أقضي، ولا أولي، ولا أعزل، ولا أغير شيئًا مما هو قائم، فأجابه المأمون إلى ذلك كله[1].

(1) الإرشاد للشيخ المفيد: ج2، ص259 وقد نقله الشيخ الصدوق مفصلًا في عيون الأخبار ج 2/ 151عن أبي الصلت الهروي:
قال: إن المأمون قال للرضا عليه السلام يا بن رسول الله قد عرفت علمك وفضلك وزهدك وورعك وعبادتك وأراك أحق بالخلافة مني فقال الرضا عليه السلام بالعبودية لله عز وجل أفتخر وبالزهد في الدنيا أرجو النجاة من شر الدنيا وبالورع عن المحارم أرجو الفوز بالمغانم، وبالتواضع في =

ويلاحظ في ذلك:

1 ـ أن هناك سُنة خاطئة اعتمدت منشأ للحكم وهو ما أشير إليه في قضية الشورى، وكلام المأمون للإمام عليه السلام يشي بتكرار ما جرى على أمير المؤمنين عليه السلام، إن لم يقبل فليقتل. فبأي حق يصدر الخليفة حينها على من يخالف حكمًا بالقتل؟ إننا لا

= الدنيا أرجو الرفعة عند الله عز وجل، فقال له المأمون: فإني قد رأيت أن أعزل نفسي عن الخلافة وأجعلها وأبايعك فقال له الرضا عليه السلام: إن كانت هذه الخلافة لك والله جعلها لك فلا يجوز لك أن تخلع لباسًا ألبسك الله وتجعله لغيرك، وإن كانت الخلافة ليست لك فلا يجوز لك أن تجعل لي ما ليس لك، فقال له المأمون: يا بن رسول الله فلا بدَّ لك من قبول هذا الأمر، فقال: لست أفعل ذلك طائعًا أبدًا فما زال يجهد به أيامًا حتى يئس من قبوله فقال له: فإن لم تقبل الخلافة ولم تجب مبايعتي لك فكن ولي عهدي له تكون الخلافة بعدي.

فقال الرضا عليه السلام: والله لقد حدثني أبي، عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله إني أخرج من الدنيا قبلك مسمومًا مقتولًا بالسم مظلومًا تبكي علي ملائكة السماء وملائكة الأرض وأدفن في أرض غربة إلى جنب هارون الرشيد فبكى المأمون، ثم قال له: يا بن رسول الله ومن الذي يقتلك أو يقدر على الإساءة إليك وأنا حيٌّ؟ فقال الرضا عليه السلام: أما إني لو أشاء أن أقول لقلت من يقتلني؟ فقال المأمون: يا بن رسول الله إنما تريد بقولك هذا التخفيف عن نفسك ودفع هذا الأمر عنك، ليقول الناس إنك زاهد في الدنيا!

فقال الرضا عليه السلام: والله ما كذبت منذ خلقني ربي عز وجل وما زهدت في الدنيا للدنيا وأني لأعلم ما تريد!

فقال المأمون وما أريد؟ قال الأمان على الصدق قال: لك الأمان، تريد بذلك أن يقول الناس إن علي بن موسى الرضا عليه السلام لم يزهد في الدنيا، بل زهدت الدنيا فيه ألا ترون كيف قبل ولاية العهد طمعًا في الخلافة؟ فغضب المأمون: ثم قال إنك تتلقاني أبدًا بما أكرهه وأمنت سطوتي فبالله أقسم لئن قبلت ولاية العهد وإلا أجبرتك على ذلك فإن فعلت وإلا ضربت عنقك، فقال الرضا عليه السلام: قد نهاني الله تعالى أن ألقي بيدي إلى التهلكة فإن كان الأمر على هذا فافعل ما بدا لك وأنا أقبل على أني لا أولي أحدًا ولا أعزل أحدًا ولا أنقض رسمًا ولا سنة وأكون في الأمر من بعيد مشيرًا فرضي منه بذلك وجعله ولي عهده على كراهة منه عليه السلام بذلك.

نجد في تشريعات الإسلام نظير هذا الحكم، إذ للقتل مبرراته الواضحة، وفي غير تلك المبررات والموجبات يكون كما قال القرآن: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾[1].

2 ـ بناء على ما جرى بينهما قبل الإمام بشرط «أنني لا آمر، ولا أنهى، ولا أفتي، ولا أقضي، ولا أولي، ولا أعزل، ولا أغير شيئًا مما هو قائم»، بهذا قطع الطريق على المأمون لئلا يقحمه في الشأن الداخلي للدولة. ومعنى ذلك أن الإمام منع المأمون من الانتفاع بشرعيته في إضفاء الشرعية على أعماله مع أن بعضها قد لا يكون مشروعًا من الناحية الدينية.

3 ـ صحيح أن الإمام بات تحت مراقبة المأمون، ولكن الإمام قلب المراقبة إلى حالة من التوعية والتبليغ، فأصبح القصر منبرًا للحديث عن فضائل أمير المؤمنين عليه السلام ونشر معارف وعلوم أهل البيت عليهم السلام، بل إن الإمام أخذ يستنشد الشعراء في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام إمام الناس، فانتشر آنذاك الشعر

(1) المائدة: 32.

الولائي[1] والديني، ومنها قصيدة (مدارس آيات)[2] التي تشير إلى عمق مظلومية أهل البيت عليهم السلام، واستثارة العواطف نحوهم.

ويُقال إنّ دعبلًا الخزاعي[3] حين أنشد هذه القصيدة أهداه الإمام ثوبًا صلّى فيه كذا من الركعات ومبلغًا من المال كان مسكوكًا عليه اسم الإمام الرضا.

ثم إن كل ما يلقى في أروقة القصر ينتشر بسرعة، حتى إن قصيدة دعبل الخزاعي (مدارس آيات) قد حفظها القاصي والداني، ففي ذات يوم أراد دعبل أن يخرج من خراسان إلى العراق مع إحدى القوافل وفي أثناء الطريق اعترضهم قطاع طرق ونهبوا القافلة عن آخرها ولزموا جماعة من أهلها فكتّفوهم وأخذوا ما معهم، ومن جملتهم دعبل، فساروا بهم غير بعيد، ثمّ جلسوا يقتسمون أموالهم فتمثّل مقدم اللصوص وكبيرهم يقول:

(1) أنشد أبو نواس الإمامَ عليه السلام قائلًا:

مطهّرون نقيّات ثيابهم تجري الصلاة عليهم أينما ذكروا
من لم يكن علويًا حين تنسبه فما له من قديم الدهر مفتخر
وأنتم الملأ الأعلى وعندكم علم الكتاب وما جاءت به السوَر

(2) لما بايع المأمون لعلي بن موسى الرضا عليه السلام بالعهد وأمر الناس بلبس الخضرة صار إليه دعبل بن علي الخزاعي وإبراهيم بن العباس الصولي وكانا صديقين لا يفترقان فأنشده دعبل:

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصات

(3) سيأتي في آخر الكتاب ملحق عن دعبل الخزاعي والقصيدة.

أرى فيئهم في غيرهم متقسّمًا وأيديهم من فيئهم صفِرات

ودعبل يسمعه فقال: أتعرف هذا البيت لمن؟ قال: وكيف لا أعرفه وهو لرجل من خزاعة يقال له دعبل شاعر أهل البيت عليهم السلام قاله في قصيدة مدحهم بها، فقال دعبل: فأنا والله صاحب القصيدة وقائلها فيهم، فقال: ويلك انظر ماذا تقول؟ قال: والله الأمر أشهر من ذلك واسأل أهل القافلة وهؤلاء الممسوكين معكم يخبروكم بذلك، فسألهم فقالوا بأسرهم: هذا دعبل الخزاعي شاعر أهل البيت المعروف الموصوف، ثمّ إنّ دعبلًا أنشدهم القصيدة من أوّلها إلى آخرها عن ظهر قلب، فقالوا: قد وجب حقّك علينا وقد أطلقنا القافلة ورددنا جميع ما أخذنا منها إكرامًا لك يا شاعر أهل البيت.

واستضاف الإمام الشاعر إبراهيم الصولي الذي أنشده قصيدة كذلك في شؤون أهل البيت ومصائبهم، وهذا لم يكن ليحدث في بلاط أحد من الخلفاء والحكام العباسيين الذين كانوا على خط المضادة مع أهل البيت، بل كان بعضهم سببًا في المصائب التي جرت على آل محمد.

لقد استثمر الإمام عليه السلام تردده على قصر الخليفة في إحياء معارف وعلوم أهل البيت عليهم السلام بواسطة تلك الجلسات والمناظرات

والأحاديث ومعاني الأخبار، وذكرنا في فصل الجانب العلمي في حياة الإمام الرضا بعض الإشارات إلى استفادته الكاملة من ذلك الموقع في بيان الشريعة والعقيدة ومعارف أهل البيت وتبين للناس تفوق آل محمد على جميع العلماء والفقهاء وثبت لهم أهليتهم التامة لإمامة المسلمين بل الخلق..

4 ـ إن الإمام عليه السلام كان يقظا من فتنة المأمون سواء في إيقاع الفتنة بين بني هاشم وشق صفهم، فيشعل الفتنة بين الحسنيين والحسينيين، ولذلك فإننا لم نلحظ موقفًا عنيفًا من الإمام عليه السلام تجاه الثورات التي قادها أحفاد الإمام الحسن المجتبى ضد المأمون، مع أن المأمون كان يرغب أن يدخل الإمام على خط المواجهة معهم.. بل إنه عندما وبخ أخاه زيد بن موسى بن جعفر المعروف بزيد النار، كان التوبيخ في اتجاه آخر، فقد بعث به المأمون إلى الإمام الرضا عليه السلام فلما دخل زيد عليه، قال أبو الحسن: يا زيد أغرك قول سفلة أهل الكوفة إن فاطمة أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار؟! ذاك للحسن والحسين خاصة. إن كنت ترى أنك تعصي الله وتدخل الجنة وموسى بن جعفر أطاع الله ودخل الجنة فإذًا أنت أكرم على الله عز وجل من موسى بن جعفر؟! والله ما ينال أحد ما عند الله إلا بطاعته وزعمت أنك تناله بمعصيته فبئس ما زعمت.

فاستنكار الإمام على زيد ليس في أصل الخروج، وإنما على المخالفات الشرعية بحرق الدور وغيرها.

5 ـ فيما يرتبط بتفويت الفرصة عليه للاستفادة من شرعية الإمام وموقعه، فقد كان أصحاب الإمام عليه السلام وبإيعاز منه كانوا يشيعون أمام الناس بعدم قبول الإمام ولاية العهد؛ وإنه كان مكرهًا عليها، وقد قبلها بشرط أن لا يأمر ولا ينهى ولا يقضي ولا يعزل.

ومع أن المأمون كان يسعى جاهدًا في ذلك[1] إلا أن الإمام كان أذكى منه وأعرف بخططه، فكلما فتل المأمون حبلًا من الحيلة نقضه الإمام بالتدبير الصائب، ويدلّك على ذلك ما صنع عليه السلام عندما أصر المأمون عليه بأن يخرج لصلاة العيد، وبطبيعة الحال سيكون هذا من أوضح أنحاء التأييد للمأمون وعلى مستوى شعبي واسع حيث سيحضر الناس في هذه الصلاة، فبعث إليه الإمام الرضا عليه السلام: قد علمت ما كان بيني وبينك من الشروط في

(1) الصدوق: عيون أخبار الرضا 2/ 177.. عن معمر بن خلاد، قال: قال لي أبو الحسن الرضا عليه السلام، قال لي المأمون يومًا: يا أبا الحسن انظر بعض من تثق به نوليه هذه البلدان التي قد فسدت علينا! فقلت له: تفي لي وأفي لك فإنّي إنما دخلت فيما دخلت على أن لا آمر فيه ولا أنهي ولا أعزل ولا أولي ولا أشير حتى يقدمني الله قبلك. فوالله إنّ الخلافة لشيء ما حدثت به نفسي، ولقد كنت بالمدينة أتردد في طرقها على دابتي وإن أهلها وغيرهم يسألوني الحوائج فأقضيها لهم، فيصيرون كالأعمام لي وإن كتبي لنافذة في الأمصار وما زدتني من نعمة هي عليّ من ربي فقال له: أفي لك!

دخول هذا الأمر، فبعث إليه المأمون إنما أريد بذلك أن تطمئن قلوب الناس ويعرفوا فضلك، فلم يزل عليه السلام يراده الكلام في ذلك فألح عليه.

فقال: يا أمير المؤمنين إن أعفيتني من ذلك فهو أحب إليّ، وإن لم تعفني خرجت كما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام، فقال المأمون: اخْرج كيف شئتَ، وأمر المأمون القواد والناس أن يبكروا إلى باب أبي الحسن عليه السلام .

فقعد الناس لأبي الحسن عليه السلام في الطرقات والسطوح، الرجال والنساء والصبيان، واجتمع القواد والجند على باب أبي الحسن عليه السلام، فلما طلعت الشمس قام عليه السلام فاغتسل وتعمم بعمامة بيضاء من قطن، فخرج الإمام من داره حافيًا على هيأة جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلما نظر القواد والجند لأبي الحسن عليه السلام نزلوا عن دوابهم ورموا بخفافهم.

فلما رأى الفضل بن سهل ذلك بعث إلى المأمون: يا أمير المؤمنين إن بلغ الرضا المصلى على هذا السبيل افتتن به الناس، والرأي أن تسأله أن يرجع، فبعث إليه المأمون فسأله الرجوع، فدعا أبو الحسن عليه السلام بخفه فلبسه وركب ورجع[1].

(1) عطاردي: مسند الإمام الرضا 1/ 64.

فالإمام عليه السلام أدار معركته مع المأمون بأفضل ما يمكن من غير أن يلجأ إلى وسائل غير شرعية، وهذا تنبيه وإرشاد مهم لنا ولمن يتعاطى في الشؤون السياسية ألّا يلجأ إلى الكذب والحيلة، وعلينا أن ننهج سبيل الشرع في معاملاتنا وحتى اختلافاتنا.

ولأن الرواية المفصلة التي نقلها الشيخ الصدوق في كل من علل الشرائع وعيون أخبار الرضا عن أبي الصلت الهروي تشير إلى كثير مما سبق؛ ولذلك سننقلها بالكامل مع أن بعضها ربما ذكر في موضع آخر، لكنها لما كانت مفصلة فقد آثرنا نقلها ها هنا: فقد قال: «إِنَّ اَلْمَأْمُونَ قَالَ لِلرِّضَا عَلِيِّ بْنِ مُوسَى عليه السلام يا بن رَسُولِ اَللَّهِ قَدْ عَرَفْتُ فَضْلَكَ وعِلْمَكَ وزُهْدَكَ وورَعَكَ وعِبَادَتَكَ وأَرَاكَ أَحَقَّ بِالْخِلاَفَةِ مِنِّي!

فَقَالَ اَلرِّضَا عليه السلام: بِالْعُبُودِيَّةِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَفْتَخِرُ وبِالزُّهْدِ فِي اَلدُّنْيَا أَرْجُو اَلنَّجَاةَ مِنْ شَرِّ اَلدُّنْيَا وبِالْوَرَعِ عَنِ اَلْمَحَارِمِ أَرْجُو اَلْفَوْزَ بِالْمَغَانِمِ وبِالتَّوَاضُعِ فِي اَلدُّنْيَا أَرْجُو اَلرِّفْعَةَ عِنْدَ اَللَّهِ عَزَّ وجَلَّ.

فَقَالَ لَهُ اَلْمَأْمُونُ: فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَعْزِلَ نَفْسِي عَنِ اَلْخِلاَفَةِ وأَجْعَلَهَا لَكَ وأُبَايِعَكَ!

فَقَالَ لَهُ اَلرِّضَا عليه السلام: إِنْ كَانَتْ هَذِهِ اَلْخِلاَفَةُ لَكَ وجَعَلَهَا اَللَّهُ لَكَ

فَلاَ يَجُوزُ أَنْ تَخْلَعَ لِبَاسًا أَلْبَسَكَهُ اَللَّهُ وتَجْعَلَهُ لِغَيْرِكَ وإِنْ كَانَتِ اَلْخِلاَفَةُ لَيْسَتْ لَكَ فَلاَ يَجُوزُ لَكَ أَنْ تَجْعَلَ لِي مَا لَيْسَ لَكَ.

فَقَالَ لَهُ اَلْمَأْمُونُ: يا بن رَسُولِ اَللَّهِ لاَ بُدَّ لَكَ مِنْ قَبُولِ هَذَا اَلْأَمْرِ!

فَقَالَ: لَسْتُ أَفْعَلُ ذَلِكَ طَائِعًا أَبَدًا. فَمَا زَالَ يُجْهِدُ بِهِ أَيَّامًا حَتَّى يَئِسَ مِنْ قَبُولِهِ.

فَقَالَ لَهُ: فَإِنْ لَمْ تَقْبَلِ اَلْخِلاَفَةَ ولَمْ تُحِبَّ مُبَايَعَتِي لَكَ فَكُنْ وَلِيَّ عَهْدِي لِتَكُونَ لَكَ اَلْخِلاَفَةُ بَعْدِي.

فَقَالَ اَلرِّضَا عليه السلام: واَللَّهِ لَقَدْ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ آبَائِهِ عَنْ أَمِيرِ اَلْمُؤْمِنِينَ عَنْ رَسُولِ اَللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم أَنِّي أَخْرُجُ مِنَ اَلدُّنْيَا قَبْلَكَ مَقْتُولًا بِالسَّمِّ مَظْلُومًا تَبْكِي عَلَيَّ مَلاَئِكَةُ اَلسَّمَاءِ ومَلاَئِكَةُ اَلْأَرْضِ وأُدْفَنُ فِي أَرْضِ غُرْبَةٍ إِلَى جَنْبِ هَارُونَ اَلرَّشِيدِ!

فَبَكَى اَلْمَأْمُونُ ثُمَّ قَالَ لَهُ: يا بن رَسُولِ اَللَّهِ ومَنِ اَلَّذِي يَقْتُلُكَ أَوْ يَقْدِرُ عَلَى اَلْإِسَاءَةِ إِلَيْكَ وأَنَا حَيٌّ؟

فَقَالَ اَلرِّضَا عليه السلام: أَمَا إِنِّي لَوْ أَشَاءُ أَنْ أَقُولَ مَنِ اَلَّذِي يَقْتُلُنِي لَقُلْتُ!

فَقَالَ اَلْمَأْمُونُ: يا بن رَسُولِ اَللَّهِ إِنَّمَا تُرِيدُ بِقَوْلِكَ هَذَا اَلتَّخْفِيفَ

عَنْ نَفْسِكَ ودَفْعِ هَذَا اَلْأَمْرِ عَنْكَ لِيَقُولَ اَلنَّاسُ أَنَّكَ زَاهِدٌ فِي اَلدُّنْيَا.

فَقَالَ اَلرِّضَا عليه السلام: واَللَّهِ مَا كَذَبْتُ مُنْذُ خَلَقَنِي رَبِّي عَزَّ وجَلَّ ومَا زَهِدْتُ فِي اَلدُّنْيَا لِلدُّنْيَا وإِنِّي لَأَعْلَمُ مَا تُرِيدُ!

فَقَالَ اَلْمَأْمُونُ: ومَا أُرِيدُ؟

قَالَ: اَلْأَمَانُ عَلَى اَلصِّدْقِ؟

قَالَ: لَكَ اَلْأَمَانُ. قَالَ: تُرِيدُ بِذَلِكَ أَنْ يَقُولَ اَلنَّاسُ إِنَّ عَلِيَّ بْنَ مُوسَى لَمْ يَزْهَدْ فِي اَلدُّنْيَا بَلْ زَهِدَتِ اَلدُّنْيَا فِيهِ أَ لاَ تَرَوْنَ كَيْفَ قَبِلَ وِلاَيَةَ اَلْعَهْدِ طَمَعًا فِي اَلْخِلاَفَةِ؟

فَغَضِبَ اَلْمَأْمُونُ ثُمَّ قَالَ: إِنَّكَ تَتَلَقَّانِي أَبَدًا بِمَا أَكْرَهُهُ وقَدْ أَمِنْتَ سَطْوَتِي فَبِاللَّهِ أُقْسِمُ لَئِنْ قَبِلْتَ وِلاَيَةَ اَلْعَهْدِ وإِلاَّ أَجْبَرْتُكَ عَلَى ذَلِكَ فَإِنْ فَعَلْتَ وإِلاَّ ضَرَبْتُ عُنُقَكَ!

فَقَالَ اَلرِّضَا عليه السلام: قَدْ نَهَانِيَ اَللَّهُ عَزَّ وجَلَّ أَنْ أُلْقِيَ بِيَدِي إِلَى اَلتَّهْلُكَةِ فَإِنْ كَانَ اَلْأَمْرُ عَلَى هَذَا فَافْعَلْ مَا بَدَا لَكَ وأَنَا أَقْبَلُ ذَلِكَ عَلَى أَنِّي لاَ أُوَلِّي أَحَدًا ولاَ أَعْزِلُ أَحَدًا ولاَ أَنْقُضُ رَسْمًا ولاَ سُنَّةً وأَكُونُ فِي اَلْأَمْرِ مِنْ بَعِيدٍ مُشِيرًا فَرَضِيَ مِنْهُ بِذَلِكَ وجَعَلَهُ وَلِيَّ عَهْدِهِ عَلَى كَرَاهَةٍ مِنْهُ عَلَيْهِ اَلسَّلاَمُ لِذَلِكَ»[1].

(1) الصدوق: عيون أخبار الرضا 2/ 152، وعلل الشرائع 1/ 276 والأمالي.

وبعد أن عجز المأمون من الانتصار على الإمام في ميدان السياسة، وفي ميدان الإدارة، وفي ميدان التدبير، لجأ إلى قتله، وهذا يدل على ضعفه.

الملاحظ في شهادة الإمام الرضا عليه السلام أن المأمون هو بنفسه من قام بسمّ الإمام بخلاف بقية الأئمة، فكانوا يقتلون بوسائط؛ فتارة تكون زوجة، وتارة يكون والي المدينة وثالثة مسؤول السجن...، وهكذا.

زيارة الإمام الرضا عليه السلام

تتناول هذه الصفحات موضوع زيارة الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام وآثارها وما يرتبط بالثواب المترتب عليها، ونقدم له بمقدمة في المعنى اللغوي والاصطلاحي للمفهوم الذي نحن بصدده.

أما الزيارة وهي من الجذر اللغوي (زور) فهي «كما قال اللغويون» أصل يدل على المَيل والعدول، ومنه الزُّور يعني الكذب لأنه مائل عن طريقة الحق، والزَّوَر: الميل، يقال: ازورَّ عن كذا أي مال عنه، ومن الباب: الزائر لأنه إذا زارك فقد عدل عن غيرك[1].

ومن ذلك ما جاء في القرآن الكريم: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ﴾[2].

وأما في الاصطلاح فهو عبارة عن انتقال الإنسان الناشيء من الاستحباب لقبر من قبور الأنبياء أو الأوصياء تعظيمًا له وتكريمًا.

(1) ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة 3/ 36.
(2) الكهف: 17.

وهذا هو الأصل فيها، وهو انتقال وذهاب لقبر المزور، حتى لو لم يكن فيها كلام أو لفظ. ولكن الصورة الأمثل التي نعتقدها والتي تحتوي عليها الزيارات هي أنها تشتمل على جهات متعددة، فهي حركةٌ داخلية في النفس تتعنون بعنوان المحبة والتقديس للشخص المزور، وهي كذلك حركة خارجية في المجال الجغرافي على أن ينتقل الزائر من مكانه إلى مقام المزور وهي حركة علمية معرفية منه يؤمن للمزور بمقام معين ويشهد له بذلك، ويخاطبه في الزيارة مقرًا بتلك المقامات، والمعرفة.

ونعتقد أنه ـ بهذه الجهات وملاحظتها ـ يحقق الزائر الغاية الأكبر من زيارة قبر المزور؛ ومن هنا ذكرت الروايات الكثير من الثواب والجزاء المترتب على هذه الزيارات.

إن الزيارة هي من مصاديق (أن تحب في الله) وهو جوهر الإيمان، فإنه قد لا يبعثك لزيارته من يبذل لك الأموال والمغريات، في حين ترى نفسك تصرف الأموال وتتغلب على الصعاب من أجل الوصول إلى زيارة قبر نبيك أو إمامك أو من يرتبط بهما.

وتتشكل علاقة الزائر بصاحب القبر المزور في عدة عناوين:

الأول: الشهادة؛ فأنت زائر تخاطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، حين زيارته:

«أشهد أنك قد بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة...»، وتخاطب الأئمة عليهم السلام بالقول: «أشهد أنك قد أقمت الصلاة وآتيت الزكاة وأمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر» والشهادة عمل إعلامي! كأنك تقول يا أيها الناس: اسمعوا هذا اعتقادي في هذا النبي والإمام فأنا أشهد به وأشهدكم عليه!

والثاني: المشاركة في الموقف؛ فكأن الزائر يشارك المزور في موقفه، ويرحب بعمله، ولا سيما وهو يتمثل عمل من يزوره ويثني عليه في ذلك، فهو محب له محب لعمله، وهذا ما أشار إليه الحديث الذي نقله جابر بن عبد الله الأنصاري عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من أحب قومًا حشر معهم ومن أحب عمل قومٍ أشرك معهم فيه»[1].

والثالث: «برام العقد والمعاهدة، وهو ما تحتوي عليه ألفاظ الزيارات مثل «إني مؤمنٌ بكم وبإيابكم، موقن بشرائع ديني وخواتيم عملي وقلبي لقلبكم سلمٌ وأمري لأمركم متبع ونصرتي لكم معدة».

ولقد تكاثرت الأحاديث المحرضة على زيارة مراقدهم وقبورهم عليهم السلام، حتى لقد أُلِّفت كتب كاملة[2] في هذا الجانب؛ فمن ذلك. ما عن

(1) الطبري؛ محمد بن أبي القاسم: بشارة المصطفى 126.

(2) مثل كتاب المزار للشيخ المفيد والشهيد الأول وابن المشهدي، وكامل الزيارات لابن قولويه وغيرها.

الحسن بن علي عليهما السلام مخاطبًا جدّه رسول الله: يا أبتا ما لمن زارنا؟ قال: «يا بني من زارني حيًّا وميتًا، ومن زار أباك حيًّا وميتًا، ومن زارك حيًّا وميتًا، ومن زار أخاك حيًّا وميتًا، كان حقيقًا عليَّ أن أزوره يوم القيامة وأخلصه من ذنوبه وأدخله الجنة»[1].

وفيما يرتبط بزيارة الإمام الرضا فقد وردت أحاديث كثيرة عن آبائه وعنه؛ **فمنها** ما عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ستدفن بضعة مني بخراسان لا يزورها مؤمن إلا أوجب الله له الجنة، وحرم جسده على النار»[2].

ومنها ما عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «سيقتل رجل من ولدي بأرض خراسان بالسم ظلمًا اسمه اسمي واسم أبيه اسم ابن عمران موسى عليه السلام ألا فمن زاره في غربته غفر الله له ذنوبه ما تقدم منها وما تأخر»[3].

ومنها ما عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام فيما رواه عبد الله بن الفضل الهاشمي، قال: «كنت عند أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، فدخل عليه رجل من أهل طوس، فقال له: يا بن رسول الله، ما لمن زار قبر أبي عبد الله الحسين بن علي عليه السلام ؟ فقال

(1) المشهدي؛ محمد بن جعفر: المزار32.
(2) الحر العاملي: وسائل الشيعة (آل البيت) 4/ 555.
(3) البروجردي؛ السيد حسين: جامع أحاديث الشيعة12/ 594.

له: يا طوسي، من زار قبر أبي عبد الله الحسين بن علي عليه السلام، وهو يعلم أنه إمام من الله مفترض الطاعة على العباد، غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وقبل شفاعته في سبعين مذنبا، ولم يسأل الله عز وجل عند قبره حاجة إلا قضاها له. قال: فدخل موسى بن جعفر عليه السلام، فأجلسه على فخذه، وأقبل يقبّل ما بين عينيه، ثم التفت إليه فقال له: يا طوسي، إنه الإمام والخليفة والحجة بعدي، وإنه سيخرج من صلبه رجل يكون رضا لله عز وجل في سمائه ولعباده في أرضه، يقتل في أرضكم بالسم ظلمًا وعدوانًا، ويدفن بها غريبًا، ألا فمن زاره في غربته، وهو يعلم أنه إمام بعد أبيه مفترض الطاعة من الله عز وجل، كان كمن زار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»[1].

ومنها ما عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام أنه قال: «من زار ابني هذا ـ وأومأ إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام ـ فله الجنة»[2].

ومنها قول الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام نفسه: «لا تُشَد الرحال إلى شيء من القبور إلا إلى قبورنا، ألا وإني لمقتول بالسم ظلمًا، ومدفون في موضع غربة، فمن شدّ رحله إلى زيارتي استجيب دعاؤه وغفر له ذنبه»[3].

(1) الصدوق: الأمالي 684.
(2) الحر العاملي: وسائل الشيعة (آل البيت)14/ 560.
(3) الصدوق: الخصال 158.

ومنها ما عنه عليه السلام: «من زارني على بعد داري ومزاري أتيته يوم القيامة في ثلاثة مواطن حتى أخلصه من أهوالها: إذا تطايرت الكتب يمينًا وشمالًا، وعند الصراط، والميزان»[1].

ومنها ما عن (محمد الجواد) أبي جعفر بن علي عليه السلام قال: سمعته يقول: «من زار أبي فله الجنة»[2].

وهذه الروايات هي بعض ما جاء في فضيلة زيارة الإمام الرضا عليه السلام، وإلا فقد عقد الحر العاملي في الوسائل بابًا خاصًّا بما جاء في زيارته عليه السلام، أورد فيه ثمانية وعشرين حديثًا عن المعصومين عليهم السلام، ونلاحظ فيها بشكل عام الآتي:

أولًا: إن هذا المقدار ربما لم يرد في زيارة غيره من المعصومين عليهم السلام لو استثنينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين والإمام الحسين عليهما السلام.

ثانيًا: إن بعض نصوص هذه الزيارات تؤكد على أمرين مهمين في قضية الإمام الرضا عليه السلام؛ غربته وشهادته مسمومًا، وبهذا فهي الكلمة الفصل في موضوع اغتيال المأمون العباسي للإمام الرضا عليه السلام، وتقطع بذلك الاجتهادات النافية التي ضللها التعامل

(1) الطوسي؛ محمد بن الحسن: تهذيب الأحكام6/ 84.
(2) المصدر نفسه 6/ 86.

الظاهري الحسن للمأمون مع الإمام عليه السلام، فإذا أكّد الإمام أمير المؤمنين والإمام الصادق، والكاظم و(الرضا) عليهم السلام على أنه قضى مسمومًا فلا معنى حينئذ للاجتهاد في مقابل هذه التأكيدات.

ثالثًا: إنه تمَّ الوعد على الزيارة بالثواب الكبير للزائر مثل «له الجنة»، ومثل «استجيب دعاؤه وغفر له ذنبه»، وهذه ينبغي فهمها على أساس أن الزيارة تقتضي هذا الثواب لا أنها علة تامة له، فإذا انضم إليها سائر الشروط تحقق الاقتضاء وصار فعليًا، ومثل هذا قد ورد في كثير من الروايات الثابتة عند الفريقين، مثل «من قال لا إله إلا الله دخل الجنة»، فإن معناها أن هذه الشهادة تقتضي دخول الجنة مع انضمام سائر الشروط من الالتزام بباقي العقائد والقيام بباقي العبادات؛ ولهذا لا ينبغي الاشكال بأنه ما معنى هذا الثواب الكثير على عمل قليل! أو أنه يكفي الشخص أن يزور ثم لا يعمل أي عمل عبادي فيدخل الجنة، فإن مثل هذه الإشكالات نابعة من عدم التأمل فيما ذكره العلماء وقد بيناه بشكل مختصر آنفًا.

هل زيارة الرضا أفضل أو زيارة سائر المعصومين؟

إن المتأمل في نصوص الروايات، يلاحظ أن زيارة الإمام الرضا قد جعلت كزيارة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تارة، وأخرى كزيارة الحسين، بل جعلت في موارد أخرى أفضل من الحج المستحب، وأفضل من زيارة جده الإمام الحسين عليه السلام؛ فكيف تفهم هذه الروايات؟

فمما جاء في كون زيارته كزيارة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «ألا فمن زاره في غربته وهو يعلم أنه إمام بعد أبيه مفترض الطاعة من الله عز وجل كان كمن زار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»[1].

ومما جاء في تفضيل زيارته على زيارة الإمام الحسين عليه السلام وعلة ذلك، ما ورد بسند معتبر عن الإمام الجواد عليه السلام، ونقله في الكافي عن علي بن مهزيار قال: قلت لأبي جعفر (الجواد) عليه السلام جعلت فداك زيارة الرضا عليه السلام أفضل، أم زيارة أبي عبد الله الحسين عليه السلام ؟ قال: «زيارة أبي أفضل وذلك أن أبا عبد الله عليه السلام يزوره كل الناس وأبي لا يزوره إلا الخواص من الشيعة»[2].

ومما ورد من الروايات التي تفضل زيارته على الحج المستحب ما روي عن محمد بن سليمان قال: «سألت أبا جعفر (الجواد) عليه السلام عن رجل حج حجة الإسلام فدخل متمتعًا بالعمرة إلى الحج فأعانه الله على عمرته وحجته ثم أتى المدينة فسلّم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثم أتاك عارفًا بحقك يعلم أنك حجة الله على خلقه وبابه الذي يؤتى منه فسلّم عليك. ثم أتى أبا عبد الله الحسين عليه السلام فسلّم عليه، ثم أتى بغداد فسلم على أبي الحسن موسى عليه السلام، ثم انصرف إلى بلاده فلما كان في وقت الحج رزقه

(1) الطوسي؛ محمد بن الحسن: تهذيب الأحكام 6/ 108.
(2) الكليني: الكافي4/ 584.

الله ما يحج به فأيّهما أفضل لهذا الذي قد حجّ حجة الإسلام يرجع أيضًا فيحج أو يخرج إلى خراسان إلى أبيك علي بن موسى عليه السلام فيسلم عليه؟

قال يأتي خراسان فيسلم على أبي الحسن أفضل، وليكن ذلك في رجب، ولا ينبغي أن تفعلوا هذا اليوم فإن علينا وعليكم من السلطان شنعة»[1].

وتثير هذه الروايات سؤالًا عن وجه المشابهة أو التفضيل؟ ولعلنا نستطيع أن نضع الاحتمالات الآتية:

1 ـ إن الروايات المفضّلة لزيارة الإمام الرضا على الحج المستحب أو على زيارة الإمام الحسين عليه السلام، ينبغي أن تلاحظ ضمن إطارها الزمني والموضوعي، وليست أمرًا دائميًّا وفي كل الأحوال والظروف والأزمنة، وهذا ما يفهم مما جاء في بعض الروايات المعتبرة في تفضيل زيارة الإمام الرضا على زيارة الإمام الحسين، فإن الحسين عليه السلام يزوره كل الناس بينما الرضا لا يزوره إلا الخواص من الشيعة، وقد تفسر هذه الكلمة (الخواص) بمعنى خصوص الإمامية الاثني عشرية، فإن غيرهم كالزيدية والإسماعيلية وأمثالهم ممن يدخلون

(1) الكليني: الكافي 4/ 584.

في الإطار العام للتشيع لا يعترفون للإمام الرضا بالإمامة فلا يقصدون زيارته لا سيما مع بعد المسافة، بخلاف الإمام الحسين عليه السلام فإن هؤلاء يقرون له بالإمامة، ويقصدونه بالزيارة، فيفهم من ذلك أنه لو انقلب الأمر بحيث صار زوار الرضا أكثر أو قل زوار الحسين كما حصل ذلك في مراحل تاريخية، ربما لا يكون التفضيل باقيًا[1].

2 ـ ربما يكون جهة التفضيل راجعة إلى الزائر، وصفته فإذا كان عارفًا بحقه وأنه إمام مفترض الطاعة بعد أبيه فإنه يكون كمن زار رسول الله، ومعنى ذلك أن مجرد الزيارة ـ بناء على هذا ـ

(1) قد رأيت جوابًا نافعًا في هذا الشأن للمرجع الديني السيد محمد صادق الروحاني حفظه الله في كتاب: أجوبة المسائل في الفكر والعقيدة والتاريخ والأخلاق، ج 1/ 320 هذا نصه:
ما العلّة في كون زيارة الإمام الرضا عليه السلام أثوب من الحجّ المستحبّ مع أنّه أكثر جهدًا وعناءً؟
وفي الجواب قيل: باسمه جلت أسماؤه: ليس دائمًا ملاك أفضليّة العمل هو أشقيته، فإنّ بعض الأعمال قد تفضّل على الأخرى بلحاظ الآثار الخارجيّة المترتّبة عليها دينيًّا واجتماعيًّا، كما في أفضليّة مداد العلماء على دماء الشهداء، وأفضليّة الدمعة على الإمام الحسين عليه السلام على كثير من الأعمال، ولعلّ من هذا القبيل زيارة الإمام الرضا عليه السلام في قبال الحجّ المستحبّ، فإنّ الحجّ المستحبّ شعيرة من شعائر الإسلام يؤدّيها الشيعي وغيره على حدٍّ سواء، بينما زيارة الإمام الرضا عليه السلام شعيرة دينية لا يقوم به إلّا الموفّقون من الشيعة، رغم ما يترتّب عليها من تشييد معالم الدين، المتمثّل في ولاية الأئمّة الطاهرين عليهم السلام، فإذا دار الأمر بينها وبين الحجّ المستحبّ كانت راجحة عليه؛ لأنّ الأثر المترتّب عليها يترتب على الحجّ المستحبّ وزيادة.
637 ـ أيّهما أفضل زيارة الإمام الحسين عليه السلام أم زيارة الإمام الرضا عليه السلام؟
باسمه جلت أسماؤه: الروايات التي صرّحت بتفضيل زيارة الإمام الرضا عليه السلام على الإمام الحسين عليه السلام لم تخلُ من الإشارة إلى علّة التفضيل، ومنها يظهر أنّ ترجيح زيارته على زيارة الإمام الحسين عليه السلام ليس مطلقًا، بل في خصوص ذلك الزمان الذي قلّ فيه زائره، ورغب عنه الناس، بسبب الظروف الأمنيّة.

لا تكون مساوية لزيارة قبر الرسول بل لا بدَّ أن يكون الزائر فيها عارفًا ومؤمنًا وواعيًا بموقع الإمامة، وربما يكون هذا قريبًا من القول الوارد في الرواية الأخرى من أنه لا يزوره إلا الخواص.

تأمل في نصوص الزيارات..

ثم إن الزيارات (اللفظية) التي يزار بها الإمام عليه السلام، والواردة عن المعصومين، فيها من الملاحظات ما يستوقف الناظر فسنسجل بعضها:

1 ـ نلاحظ التأكيد في عبارات بعض الزيارات الرضوية على شهادته، ولعل ذلك لنفي احتمال أن يكون الإمام عليه السلام قد مات حتف أنفه، أو كما تخرص بعضهم بالقول إنه أكثر من أكل العنب فمات، وإنما هو شهيد تمَّ قتله على يد حاكم زمانه. فمما أورده ابن قولويه، عنهم عليهم السلام: «إذا أتيت الرضا علي بن موسى عليهما السلام فقل: اللهم صل على علي بن موسى الرضا المرتضى، الإمام التقي النقي وحجتك على من فوق الأرض ومن تحت الثرى، الصديق الشهيد، صلاة كثيرة تامة زاكية متواصلة متواترة مترادفة، كأفضل ما صليت على أحد من أوليائك»[1].

(1) قولويه؛ جعفر بن محمد: كامل الزيارات 513.

2 ـ كذلك فإن الزيارة الرئيسية المروية في شأن الإمام الرضا عليه السلام تصفه بأنه وارث الأنبياء والمرسلين والأوصياء الصادقين، عندما تعددهم واحدًا بعد واحد، بنحو أكثر تفصيلًا مما هو وارد في زيارة (وارث) المخصوصة بالإمام الحسين عليه السلام. ففيها ورد هكذا: السلام عليك يا وارث آدم صفوة اللَّه، السلام عليك يا وارث نوح نجيّ اللَّه، السلام عليك يا وارث إبراهيم خليل اللَّه، السلام عليك يا وارث إسماعيل ذبيح اللَّه، السلام عليك يا وارث موسى كليم اللَّه، السلام عليك يا وارث عيسى روح اللَّه، السلام عليك يا وارث محمّد رسول اللَّه، السلام عليك يا وارث أمير المؤمنين وليّ اللَّه، السلام عليك يا وارث فاطمة الزّهراء، السلام عليك يا وارث الحسن والحسين سيّدي شباب أهل الجنّة، السلام عليك يا وارث .عليّ بن الحسين سيد العابدين، السلام عليك يا وارث محمّد بن عليّ باقر علم الأوّلين والآخرين، السلام عليك يا وارث جعفر بن محمّد الصادق البارّ السلام عليك يا وارث موسى بن جعفر، السلام عليك أيّها الصدّيق الشهيد..

3 ـ وكما أن الزيارة هي مناسبة لتكريس عنصر الحب والموالاة من الزائر للمزور، واعتراف بحقه وكرامته، فإنها في الوقت نفسه أيضًا مَيلٌ عن غيرهم، وبراءةٌ من أعدائهم، واجتنابٌ

لمنهج مخالفيهم، ولهذا فإن الزائر ما إن ينتهي من قراءة الزيارة في جانبها الولائي حتى يشرع بالبراءة والتنفر من أعدائهم فيقول: «اللهم إني أتقرب إليك بحبهم وموالاتهم، وأتولى آخرهم كما توليت أولهم، وأبرأ من كل وليجة دونهم. اللهم العن الذين بدلوا نعمتك، واتهموا نبيك، وجحدوا آياتك [وسخروا بإمامك]، وحملوا الناس على أكتاف آل محمد عليهم السلام[1]. اللهم إني أتقرّب إليك باللعنة عليهم وبالبراءة منهم في الدنيا والآخرة يا أرحم الراحمين. ثم تحول إلى عند رجليه وقل: صلى الله عليك يا أبا الحسن، صلى الله على روحك وبدنك، ولعن الله الظالمين لكم من الأولين والآخرين»[2].

(1) قد يكون معنى ذلك أن ما كان ينبغي أن يكون نعمة على الخلق وهو جعل الله الحجج على الخلق من النبي والأئمة، قد تم تبديله وإلغاؤه من قبل أعدائهم، فبالنسبة للنبي لم يستطيعوا إجهاض دعوته لكنهم سعوا لإجهاض وصيته وإنهاء سيادة عترته التي كانت مع القرآن عنوان الهدى والنجاة من الضلال، وهم بردهم ما أوصى به النبي محمد صلى الله عليه وآله بمثابة المتهمين له بأنه يحابي أسرته إذ اعتبروا توجيهاته تلك غير إلهية، فكانوا أن ردوا ولاية عترته، وبدل أن يجعلوا آل محمد في أحداق العيون حفظًا، مبادرين لطاعتهم إذا بهم يصعدون على أكتافهم، في حين كان المفروض أن يحملوهم على أكتافهم احترامًا واستجابة لهم، وربما تكون هذه الفقرة ناظرة بشكل خاص إلى المأمون العباسي الذي أراد أن يجعل وجود الإمام الرضا مطية لحكمه. بينما كان الأولى به أن يكون مطيعًا له.

(2) المفيد؛ محمد بن النعمان: المزار215.

كلمات المعصومين
في الإمام الرضا عليه السلام وألقابه

من الطبيعي أن يأتي ذكر المعصوم المتأخر في كلام المتقدم مبشرًا به ومخبرًا عنه من يحب الاهتداء إليه، بل وكذلك ذكر المعصوم المتقدم في كلام المتأخر منهم، ذاكرًا للناس بعض خصاله، وهنا ينبغي التدقيق في الكلمات الصادرة عنهم عليهم السلام في حق بعضهم، وذلك أنه إن كان يضيق الوسع على الإنسان العادي أن يدرك كمالات الإمام بتمامها، وهذا ما أشار إليه الإمام الرضا عليه السلام في بيان قصور البشر العاديين عن إدراك الإمام وشأنه قائلًا: «فمن ذا الذي يبلغ معرفة الإمام أو يمكنه اختياره؟ هيهات هيهات، ضلت العقول، وتاهت الحلوم، وحارت الألباب، وحسرت العيون، تصاغرت العظماء، وتحيرت الحكماء، وتقاصرت الحلماء، وحصرت الخطباء، وجهلت الألباء، وكلت الشعراء، وعجزت الأدباء، وعييت البلغاء عن وصف شأن من شأنه، أو فضيلة من فضائله، فأقرت بالعجز والتقصير، وكيف يوصف أو ينعت بكنهه، أو يفهم شيء من أمره، أو يوجد من

يقوم مقامه، ويغني غناءه؟»[1]. لكن المعصوم بإمكانه ذلك وقد فعلوا عليهم السلام، لكن يحتاج أمثالنا إلى التأمل في كلماتهم؛ وهذه بعض الكلمات التي عرّفت الإمام الرضا عليه السلام من قبل المعصومين أمثاله:

1 ـ فمما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، تعبيره عن الإمام الرضا عليه السلام بأنه «بضعة منه»، وقال: «ستدفن بضعة مني بخراسان، ما زارها مكروب إلا نفس الله كربه، ولا مذنب إلا غفر الله له ذنوبه»[2] قال: وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ستدفن بضعة مني بأرض خراسان لا يزورها مؤمن إلا أوجب الله له الجنة، وحرم جسده على النار».

وهو التعبير نفسه الذي استعمله النبي في شأن ابنته الصديقة الطاهرة فاطمة وأنها بضعة منه، وإذا كان التعبير عنها بذلك لكونها ابنته المباشرة واضحًا، فإن التعبير عن الإمام الرضا وهو الذي يفصله عنه من السنوات نحو قرنين من الزمان، ومن الآباء المباشرين سبعة آباء، فإنه لا يكون واضحًا إلا إذا التفتنا إلى عمق التعبير وأنه ليس المقصود منه البضعة المادية وإنما المقصود بالإضافة إلى ذلك مشاركته في الصفات والآثار، فإن بضعة الشيء والشخص وجزأه تشاركه في الصفات.

(1) الصدوق: الأمالي776.
(2) الحر العاملي: إثبات الهداة 1/ 277.

كما أن هذين الحديثين هما من دلائل نبوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وإعجازه واتصاله بالغيب حيث أخبر عن أمر سيحدث بعد حوالي مئتي سنة من الزمان.

2 ـ ومن ذلك ما روي عن سيدنا الإمام أبي عبد الله جعفر بن محمد صادق أهل البيت عليه السلام أنه قال معرّفًا بابنه الإمام موسى بن جعفر؛ ومعدّدًا خصاله واعتبر إنجابَه الإمامَ الرضا خيرًا من كل تلك الخصال؛ فعن يزيد بن سليط الزيدي، قال: «لقينا أبا عبد الله (الإمام الصادق) عليه السلام في طريق مكة، ونحن جماعة، فقلت له: بأبي أنت وأمي، أنتم الأئمة المطهرون، والموت لا يعرى منه أحد فأحدث إليّ شيئًا ألقيه إلى من يخلفني.

فقال لي: نعم هؤلاء ولدي، وهذا سيدهم ـ وأشار إلى موسى عليه السلام ابنه ـ وفيه علم الحكم، والفهم، والسخاء، والمعرفة بما يحتاج الناس إليه فيما اختلفوا ـ من أمر دينهم ـ وفيه حسن الخلق، وحسن الجوار، وهو باب من أبواب الله، وفيه أخرى هي خيرٌ من هذا كله!.

فقال أبي: ما هي بأبي أنت وأمي؟

قال: يُخرِج الله منه غوثَ هذه الأمة وغياثَها، وعلمَها، ونورَها،

وفهمَها، وحكمتَها (حكمها)، خير مولود، خير ناشئ، يحقن الله به الدماء، ويصلح به ذات البين، ويلم به الشعث، ويشعب به الصدع، ويكسو به العاري، ويشبع به الجائع، ويؤمن به الخائف، وينزل به القطر، ويؤمن به العباد.. خير كهل، وخير ناشئ، تسر به عشيرته قبل أوان حلمه، قوله حكم، وصمته علم، يبين للناس ما يختلفون فيه[1].

والملاحظ أن هذه الصفات تنطبق على الإمام الرضا عليه السلام الذي كان غوث الأمة وغياثها وعلمها ونورها وقد سبق القول منا في فصل «عالم آل محمد» في بيان بعض ما نشره من علوم آبائه، كما وتحكي تلك الصفات زمانه الذي عاش فيه، وحال شيعة أهل البيت فيه، فإنه منذ تولى الإمامة بعد شهادة أبيه الكاظم كان الوضع فيه بالنسبة لأهل البيت وشيعتهم قد «حقن الله به الدماء وأصلح به ذات البين وأمن به الخائف...» حتى لقد رأينا أن هارون العباسي وهو في أوج تنمره حين سجن الإمام الكاظم وقتله في السجن، كأنما صب على رأسه ماء بارد، فلم يواصل مشوار التعدي والتنمر الذي قام به، ولم يمس الإمام الرضا بأذى وكذلك بالنسبة لشيعته!

3 ـ وكذلك روي عن إمامنا جعفر الصادق عليه السلام، إخباره عن أن

(1) الكليني: الكافي 1 / 362 وعلي بن بابويه القمي الإمامة والتبصرة 118.

الإمام عليًّا بن موسى هو رضا الله عز وجل في سمائه ورضا لعباده في أرضه، وأنه يقتل بالسم في طوس، فقد ورد في حديث أنه قال لرجل طوسي: «سيخرج من صلبه يعني موسى بن جعفر عليه السلام رجل يكون رضًا لله عز وجل في سمائه ولعباده في أرضه يقتل في أرضكم بالسم ظلمًا»[1].

4 ـ وتكثرت كلمات والده الإمام موسى بن جعفر عليه السلام في حقه وشأنه، ولعل أشهرها ما وصفه فيها بأنه «عالم آل محمد» ونقَل أن هذا الوصف هو من الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «فعن أبي الصلت عن محمّد بن إسحاق بن موسى بن جعفر عن أبيه أن موسى بن جعفر عليه السلام كان يقول لبنيه: هذا أخوكم علي بن موسى عالم آل محمّد، فسلوه عن أديانكم، واحفظوا ما يقول لكم، فإني سمعت أبي جعفر بن محمّد غير مرة يقول لي: إن عالم آل محمّد لفي صلبك وليتني أدركته فإنه سميّ أمير المؤمنين عليه السلام»[2].

وقد تقدم بما يكفي من الاستشهاد على استحقاقه هذا اللقب بجدارة. ويلاحظ أن رئيس المذهب وصادق آل محمد يتمنى أنه أدرك زمان حفيده الإمام علي الرضا عليهما السلام!

(1) الحر العاملي: إثبات الهداة 4/ 148.
(2) المصدر نفسه 301.

5 ـ ومن كلمات الإمام موسى بن جعفر في شأن ابنه الرضا، وفيها يبين فقاهته، وأن كنيته، ككنية أبيه، أبو الحسن (بالرغم من عدم وجود ولد للرضا باسم الحسن) وهذه إحدى وسائل التعريف بإمامة الرضا من قبل أبيه، فقد روي عن علي بن يقطين أنه قال: «قال لي موسى بن جعفر ابتداء منه: هذا أفقه ولدي وأشار بيده إلى الرضا عليه السلام وقد نحلته كنيتي»[1].

من ألقاب الإمام الرضا عليه السلام

كثيرة هي ألقاب الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، ما بين ما نصّ عليه من جهة المعصومين وبين ما اشتهر عنه لدى المؤمنين وإن كان غير مذكور بنصه في كلمات المعصومين.

فمن المذكور في كلمات المعصومين عليهم السلام:

1 ـ **عالم آل محمد**: وقد ورد هذا اللقب حاكيًا عن حقيقته عليه السلام، ودوره في الأمة، وقد مر ذكره آنفًا مرويًا عن جده الإمام جعفر الصادق، وأبيه موسى الكاظم عليهما السلام.

2 ـ **الرضا**: وهو أشهر ألقابه وأوضحها عند العامة والخاصة، ومع أن بعضهم نسب تلقيب الإمام به إلى المأمون العباسي، وربطه بولاية العهد، إلا أن ذلك لا يصح؛ وذلك أن الإمام

(1) الصدوق: عيون أخبار الرضا 1/ 34.

موسى بن جعفر كان يناديه بهذا اللقب[1]، وهو على قيد الحياة أي قبل ولاية العهد بحوالي 17 سنة على أقل التقديرات.

بل نفي ذلك في رواية للإمام محمد الجواد عليه السلام، كما نقلها الشيخ الصدوق بسنده إلى البزنطي الذي سأل الإمام الجواد: «إن قومًا من مخالفيكم يزعمون أنّ أباك إنما سماه المأمون الرضا لما رضيه لولاية عهده؟

فقال: كذبوا والله وفجروا، بل الله تبارك وتعالى سماه الرضا؛ لأنه كان رضًا الله عز وجل في سمائه ورضًا لرسوله والأئمة من بعده صلوات الله عليهم في أرضه. قال: فقلت له: ألم يكن كل واحد من آبائك الماضين عليهم السلام رضًا لله تعالى ولرسوله والأئمة عليهم السلام فقال: بلى فقلت: فلم سمي أبوك بينهم الرضا قال: لأنه رضي به المخالفون من أعدائه كما رضي به الموافقون من أوليائه ولم يكن ذلك لأحد من آبائه عليهم السلام فلذلك سمى من بينهم الرضا عليه السلام[2].

وقد ورد في زيارته عليه السلام، ألقاب أخرى له منها:

1/ المرتضى.

(1) المصدر نفسه 23:كان موسى بن جعفر عليه السلام يسمي ولده عليًّا عليه السلام: الرضا وكان يقول: ادعوا لي ولدي الرضا وقلت لولدي الرضا، وقال لي ولدي الرضا وإذا خاطبه قال: يا أبا الحسن.

(2) المصدر نفسه 22.

2/ التقي.
3/ النقي.
4/ الصديق.
5/ الشهيد.

وذلك في الزيارة التي نقلها ابن قولويه في كامل الزيارات عن بعضهم عليهم السلام؛ قال: إذا أتيت الرضا علي بن موسى عليهما السلام فقل: «اللهم صل على علي بن موسى الرضا المرتضى، الإمام التقي النقي، وحجتك على من فوق الأرض ومن تحت الثرى، الصديق الشهيد، صلاة كثيرة تامة زاكية متواصلة متواترة مترادفة، كأفضل ما صليت على أحد من أوليائك»[1].

ونجد أيضًا ذكر بعض صفات أمير المؤمنين عليّ عليه السلام التي يزار بها الإمام الرضا كما يزار بها جده أمير المؤمنين عليّ عليه السلام. ولعل هذا يفسر ما ورد في أحاديثهم من أنه سَمِيُّ أمير المؤمنين، فإننا لا نعتقد أن الأمر يتوقف عند حدود المشابهة الاسمية فقط.

ألقاب مشهورة من غير المعصومين:

1 - **الرؤوف**: هو من الألقاب الشائعة لا سيما في بعض أوساط طلبة العلم في خراسان، ولم أعثر على نص يستفاد منه أنه

(1) ابن قولويه؛ كامل الزيارات 513 ونقلها عنه من تأخر كالعلامة المجلسي في البحار والنوري في مستدرك الوسائل وغيرهما.

من المعصومين إلا ما نقله العلامة المجلسي رحمه الله في البحار قائلًا: «وجدت في بعض مؤلّفات قدماء أصحابنا زيارة له عليه السلام، وكانت النسخة قديمة كان تاريخ كتابتها سنة ستّ وأربعين وسبعمائة فأوردتها كما وجدتها.. قال: زيارة مولانا وسيّدنا أبي الحسن الرّضا عليه وعلى آبائه وأبنائه الصّلاة والسّلام، كلّ الأوقات صالحة لزيارته، وأفضلها في شهر رجب».

روى ذلك عن ولده أبي جعفر الجواد (صلوات الله عليه) وسلامه وهي.. إلى أن يقول: «السّلام على الإمام الرَّؤوفِ، الّذي هيّج أحزان يوم الطّفوف»[1].

2 ـ **غريب الغرباء**: هو أيضًا من الألقاب الشائعة عند زيارته عليه السلام، لا سيما المحفوظة عند الناس فإنه يشتهر زيارته بالقول:

(1) المجلسي: بحار الأنوار 99/ 55 ويظهر أن أول من نقلها كان العلامة المجلسي ومن بعده فإن كل من تأخر عن العلامة المجلسي تعامل معها باعتبارها (الزيارة الجوادية) حتى أصبحت هذه النسبة والعنوان عندهم كأنه لا محل للنقاش فيه، وفي المقابل تأمل بعض الباحثين في نسبتها للإمام الجواد عليه السلام، لجهة عدم وجود إسناد لها لا من المؤلف للكتاب الذي تفصله عن شهادة الإمام الجواد عليه السلام مدة تزيد عن خمسة قرون؛ فلهذا السبب وأسباب أخرى ترتبط بالمتن كاعتمادها على السجع كثيرًا مما لم يكن معروفًا في كلماته عليه السلام، ومنها تضمنها لقصائد أو أبيات متنوعة في ثلاثة مواضع، وهو كذلك غير مألوف في زياراتهم (المروية عنهم)، ومنها بعض المعاني غير الواضحة مثل (السلام على...، ومن هنا أصبحت به أرض خراسان خراسان) وهي أقرب ما تكون إلى كلمات علماء تلك الفترة.. والقضية تحتاج لمزيد من البحث.
وقد ذكر بعض الكتاب أن هذا اللقب قد ورد في كتاب عيون أخبار الرضا، وقد بحثت بمقدار ما تيسر لي فما وجدته، ولعل البصر قد زاغ عنه!

السلام عليك يا غريب الغرباء وبعيد المدى ومغيث الشيعة والزوار في يوم الجزاء، الرضا المرتضى الراضي بالقدر والقضاء السلطان أبا الحسن علي بن موسى الرضا.

والتعبير عن الإمام علي الرضا عليه السلام بالغريب هو كثير في الأحاديث والروايات المروية عنه وعن آبائه، لكن لم أجد التعبير عنه بغريب الغرباء، نعم ورد في التعبير عن جده الإمام الحسين عليه السلام كما في الزيارة التي نقلها السيد ابن طاووس في الإقبال، فإنه بعدما ذكر زيارته التي احتوت على أسماء الذين استشهدوا معه، ذكر كيفية الوداع معه فقال: فإذا أردت وداعه عليه السلام فقل ما رأيناه في بعض وداعاته: «... السلام عليك يا قتيل الظماء، السلام عليك يا غريب الغرباء..»[1].

ومع أن معناه واضح، بل غربته من حيث البعد الجغرافي عن مقابر آبائه، ومسكن أجداده أوضح من قبور سائر المعصومين! لكن الكلام في أن هذا هل هو لقب صادر عن المعصومين أو هو مما اشتهر بين المؤمنين، وهكذا الحال في مثل بعيد المدى ومغيث الشيعة والزوار.. فإن هذا المعنى يمكن العثور عليه في نفس الروايات، فبعيد المدى هو مما وصف به ضرارُ بن ضمرة

(1) ابن طاووس: إقبال الأعمال 3 / 346.

أميرَ المؤمنين عليًّا ﷺ، وهو بلا ريب يصدق على الإمام الرضا في سياسته مع المأمون، وكذلك في كونه مغيثًا لشيعته وزواره كما تقدم في بعض الأحاديث التي ترتب الجزاء العظيم لشيعته على زيارته.

3 ـ **السلطان**: بالنسبة للقب السلطان وهو منتشر أكثر بين الإيرانيين وضمن الثقافة الفارسية فقد ذكر بعض الكتاب أن مؤلّف كتاب (تاريخ نيشابور) والذي أُلِف نحو سنة 400هـ، أشار إلى لقب (السلطان) إشارة إلى الإمام ﷺ، كما أن الشاعر حافظ الشيرازي (ت 792هـ) أشار لهذا اللقب بعنوان أنه سلطان الدين، فيقول في شعر له ترجمته: «قبِّل قبر الإمام الثامن وسلطان الدين الرضا من أعماق روحك، وقِف على باب ذلك القبر»[1].

4 ـ **ضامن آهو أو كافل الغزال**: كما ذكر في المقال نفسه، أن من الألقاب الشائعة في الوسط الفارسي «ضامن آهو» بمعنى الذي أمّن الغزال وكفله.. مما يروى في قصة عنه[2]، وأشار

(1) http:llbeytoote.com/religious/bozorgan-din/titles4-imam-reza.html

(2) في جواب لمؤسسة المصطفى للإرشاد كما جاء في موقعهم الالكتروني،.https://almojib.com/ar/question211900 نفى الكاتب وجود مصدر موثوق لها مشيرًا إلى وقوع أمثالها، ونص السؤال والجواب هو هكذا:
الكثير يعرف قصة الإمام الرضا ﷺ مع الغزال الذي ضمنها من الصياد وعرفت باسم(ضامن آهو) فهل لهذه القصة مصدر موثوق؟ =

إلى أن أول من استعمل هذا اللقب كان ابن شهر آشوب (ت 588هـ) في كتابه المناقب[1]. والصحيح أنه كما في الهامش إنما ذكر الحادثة بعنوان «وروي...» ولم يذكره لقبًا له عليه السلام.

وقد ذكر السيد علي عاشور في كتابه موسوعة أهل البيت في موضوع ألقاب الإمام الرضا عليه السلام؛ وكان يقال له: الرضا والصادق والصابر والفاضل وقرّة أعين المؤمنين وغيظ الملحدين والرضي

= **وكان الجواب:**

لم نعثر على هذه الواقعة في مرجع من مراجع الحديث أو التاريخ. ولكنّ كثيرًا مِثلَها قد وقع ووثّقَته كتب الحديث.

كثير مِثلها حدث في أيام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ممّا تذكره المراجع. وكثير مِثلها حَدَث في أيام آبائه الطاهرين عليهم السلام.

يَروي القاضي أبو الفضل عِياض اليَحصُبي المالكي (المتوفّى سنة 544 هـ)، عن أمّ سَلَمَة أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يومًا في صحراء، فنادَته ظَبْيَة (وهي أمّ الغزال) كانت واقعة في حَبائل صياد من الأعراب قائلة: إنّ هذا الأعرابي قد صادها، ولها خِشفان (أي وَلَدان) في ذلك الجبل، وتَرَجّت رسولَ الله أن يُطلِقها لتذهب فتُرضِع ولَدَيها ثم تعود فأطلقها رسولُ الله، فذهبت ثمّ رجعت وتنبّه الأعرابيّ فقال: يا رسول الله، ألَك حاجة؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: تُطلِق هذه الظَّبيَة. فأطلَقَها، فخرجت تَعدو في الصحراء وتقول: أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّك رسول الله.

بل إنّ المُحدِّث الشهير الشيخ الصدوق (المتوفّى سنة 381هـ) يَروي أنّ غزالة طارَدَها فَهدُ صياد، بعد استشهاد الإمام الرضا عليه السلام بِعُقُود طويلة، فما زال الفهد يَتبَع الغزالة حتى التجأت إلى مَزار الرضا عليه السلام فوقفت، ووقف الفهد في مقابلها لا يجرُؤ على الاقتراب منها، مع أنّ الصياد كان يَحثّ الفهد ليأخذ الغزالة ومتى حاولت الغزالة الابتعاد عن موضع المزار قَصَدَها الفهد لأخذها، فإذا عادت مُلتَجئة إلى المزار رجع الفهد. وهكذا فازت الغزالة بالنجاة ببركة قبر مولانا الرضا عليه السلام بعد استشهاده بأكثر من قرن.

(1) ابن شهر آشوب: المناقب4/ 348 وَرُوِيَ أَنَّهُ أَتَتْهُ ظَبْيَةٌ فَلاَذَتْ فِيهِ. قال ابن حماد:

الـــذي لاذت بـــه الـظـبـيـة والـــــقـــــوم جـــلـــوس
مـــن أبـــــوه الـــمـــرتـــضـى يـــزكـــو ويـــعـــلـــو ويـــروس

والوفي[1]. وقد أرجع هذه الألقاب إلى كتاب (تاريخ مواليد الأئمة)، وبالرجوع إلى الكتاب في فصل الإمام الرضا ما وجدنا هذه الألقاب[2].

5 ـ **ضامن الجنة**: وهذا اللقب شائع بين الناس عن الإمام الثامن علي بن موسى الرضا عليه السلام، ولعل منشأه أحد أمرين:

1 ـ ما ذكر في ثواب زيارته عليه السلام مع غربته وبعد مزاره، وأن من يزوره والحال هذه يكون من أهل الجنة، فكأن زيارته نوع تضمين منه عليه السلام لدخول الجنة[3]. لكن قد يقول قائل إن مثل هذا التعبير موجود بالنسبة لزيارة سائر المعصومين، منها ما ورد عن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا أبه، ما جزاء من زارك؟ فقال: من زارني أو زار أباك أو زارك أو زار أخاك، كان حقًّا عليَّ أن أزوره يوم القيامة حتى أخلصه من ذنوبه»[4].

(1) عاشور: السيد علي موسوعة أهل البيت 15/ 8.

(2) ابن الخشاب البغدادي: تاريخ مواليد الأئمة (المجموعة) 38، والعجيب أن مؤلف الكتاب ذكر هذه الألقاب (الرضا والصابر والوصي والوفي) للإمام الجواد عليه السلام دون الإمام الرضا، ولا أعلم هل هذا من اشتباه المؤلف أو من سقوط بعض الكلمات، أو الطبعة الإلكترونية التي أعتمد عليها غير دقيقة!! فإن لقب الرضا معروف أنه للإمام علي بن موسى والد الجواد، وإذا كان الجواد يكنى بشيء فيقال له: ابن الرضا..

(3) قد مر علينا تفسير الربط بين بعض الأعمال (ذكرًا كانت أو فعلًا) وبين الجنة، مثل قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة».. وهنا بنفس التوجيه والتفسير، فراجع.

(4) الصدوق: الأمالي 114.

وفي رواية أخرى بنص قريب من السابق عن الإمام الحسين عليه السلام، بينا الحسين عليه السلام. في حجر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ رفع رأسه فقال: «يا أبه ما لمن زارك بعد موتك؟ قال: يا بني، من زارني بعد موتي فله الجنة. ومن أتى أباك زائرًا بعد موته فله الجنة. ومن أتى أخاك زائرًا بعد موته فله الجنة. ومن أتاك زائرًا بعد موتك فله الجنة»[1].

نعم ذكر الشيخ التويسركاني (ت 1320) ناقلًا عن (الرواشح السّماوية) للمير الدّاماد أثناء حديثه عن فضيلة زيارة السيد عبد العظيم الحسني قوله: فيه قال الرّضا عليه السلام: «من زارني بعد موتي ضمنت له الجنّة، ومن لم يقدر على زيارتي فليزر أخي عبد العظيم الحسنى بالرّيّ»[2].

وبالرجوع لكتاب (الرواشح السماوية) للمير الداماد (1040هـ)، مع وجود عدد من الأحاديث في فضل السيد عبد العظيم رحمه الله إلّا أننا لم نجد الحديث المذكور! ولا نعلم هل هو اشتباه من التويسركاني، أو أن النسخة الموجودة من الرواشح قد سقط منها هذا الحديث، فالله أعلم.

2 ـ مما يمكن أن يكون منشأ لاشتهار هذا اللقب هو ما ذكره

(1) المفيد: المزار 196.

(2) التويسركاني؛ محمد نبي بن أحمد: لئالئ الأخبار3/ 160.

المحدث النوري (ت 1320هـ) في كتابه[1] (جنة المأوى) الذي ضُمِّن في (بحار الأنوار) في الطبعة الجديدة[2]، وقد نقل حكاية عمن رأى الإمام الحجة المهدي المنتظر عجل الله فرجه نقلها النوري عن السيد محمد بن السيد أحمد بن السيد حيدر الكاظمي وهو من أجلاء تلامذة الشيخ الأعظم مرتضى الأنصاري. إلى أن يقول فيها: «كنت أسمع بعض أهل الديانة والوثاقة يصفون رجلًا من كسبة أهل بغداد أنه رأى مولانا الإمام المنتظر سلام الله عليه، وكنت أعرف ذلك الرجل، وبيني وبينه مودة، وهو ثقة عدل، معروف بأداء الحقوق المالية، وكنت أحب أن أسأله بيني وبينه، لأنه بلغني أنه يخفي حديثه ولا يبديه إلا لبعض الخواص ممن يأمن إذاعته خشية الاشتهار..

حتى إذا قص ذلك الرجل حكاية رؤيته الإمام الحجة عجل الله فرجه ونقل حواره معه، قال: وكنت قبل هذه الحكاية بقليل قد تشرفت بزيارة مولانا الرضا عليه السلام فقلت له (للإمام الحجة): يا سيدنا قد زرت الرضا علي بن موسى عليهما السلام وقد بلغني أنه ضمن لزواره الجنة، هذا صحيح؟ فقال عليه السلام: هو الإمام الضامن، فقلت: زيارتي مقبولة؟ فقال عليه السلام: نعم مقبولة».

(1) النوري الطبرسي؛ ميرزا حسين: جنة المأوى في ذكر من فاز بلقاء الحجة 152.
(2) المجلسي: بحار الأنوار53/ 313 ـ 319.

مشهد الإمام الرضا عليه السلام
عالَمٌ من القدس والروحانية

دارٌ لحميد بن قحطبة أحد أعوان العباسيين، دفن فيها هارون العباسي الملقب بالرشيد، وما كان برشيد، مات عن 45 عامًا في طوس عندما خرج لمحاربة من ثار ضده، لينتهي الأمر به في تلك الدار مدفونًا، وليقوم ابنه عبد الله (المأمون) وما كان أمينًا ولا مأمونًا، ليقرر باعتباره الخليفة والحاكم دفن الإمام عليٍّ الرضا عليه السلام بجانب أبيه هارون!

فهل كان يعتقد أن جوار الظالم العاتي هارون للإمام العادل المرضي في أرض الله وسمائه سينفع ذلك الظالم في أن يرفع عنه العذاب؟ أو أن يمتع على أثر ذلك بالنعيم؟

أو كان يعتقد أنه ما دام سيعذَّب فسيكون من يجاوره أيضًا معذبًا؟ أو ظن أن أحكام الآخرة كأحكام الدنيا؟ أو أن أباه سينتفع من دعاء المؤمنين وزيارتهم للإمام الرضا عليه السلام؟ أو كان ينتظر أن يكون قبر والده محميًا من الهتك وأمثاله بجواره قبر الإمام عليه السلام؟

لا نعرف الإجابة الحقيقية عن ذلك.

لكن دعبلًا الخزاعي عبَّر عن الموقف الصحيح، والرؤية الواضحة التي يعتقدها المؤمنون عندما قال:

قبران في طوس خير الناس كلِّهم
وقبر شرّهم هذا من العبر
ما ينفع الرّجس من قرب الزكيّ ولا
على الزكيّ بقرب الرجس من ضرر
هيهات كلّ امرئ رهن بما كسبت
له يداه فخذْ ما شئت أو فذرِ

تلك الدار الصغيرة التي كانت وبقيت صغيرة (من سنة دفن هارون فيها سنة 193هـ إلى سنة 203هـ) لا روح فيها ولا معنى إلا العبرة القائلة بأن ما عندكم من مال وسلطة وشهوات وجنود كله ينفد وما عند الله باق، فلا عمر هارون بقي ولا خطابه للسحابة أن تمطر أينما شاءت لأن خراجها يأتي إليه! ولا الجواري المائسات بقين، ولا القناطير المقنطرة من الذهب والفضة.

ينسى أهل الدنيا وأهل السلطة والراكضون وراء الأموال والراكعون للشهوات أن ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[1].

(1) النحل: 96.

وفي غمرة السكرة يمرون على آيات القرآن فيقرأونها ولا تقر في أذهان قلوبهم، مع أن خطابها مباشر وشديد الوقع: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ (*) أَفَمَن وَعَدۡنَٰهُ وَعۡدًا حَسَنٗا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعۡنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ هُوَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ﴾[1] ويتلون في كل يوم جمعة إن كان يصلون صلاته:

﴿قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾[2].

نعم صدق الله حيث يقول: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ﴾[3].

تلك الدار بعدما حل فيها جثمان أبي الحسن الرضا المقدس، ﴿ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ﴾[4] هداية للناس رجالًا ونساء، ذِكْرًا وعبادة، عِلْمًا وزيارة.

مليون متر مربع (أعدْ قراءة الرقم مرة أخرى) هي مساحة المشهد الرضوي إلى الآن! وهي قابلة للزيادة مع السنين كما زادت بالتدريج على مر التاريخ. يعني أنها من حيث المساحة تعادل مساحة المسجد الحرام في مكة، وهو أفضل، خمس مرات!

(1) القصص: 60 ـ 61.
(2) الجمعة: 11.
(3) آل عمران: 198.
(4) الحج: 5.

مليون متر من المعنويات والقدس الروحي تستقر حول مرقد وقبر الإمام أبي الحسن الرضا الذي كان (غريب الغرباء) فأصبح (أنيس النفوس).

لقد وُضع (الرضا) بهذا الإمام في قلوب الناس فإذا بالحكومات تسابق الناس في إظهار رضاها به، سواء كانت شيعية صفوية أو سنية قاجارية أو علمانية بهلوية! فلم يصبح الرضا في أرض الله محصورًا بشيعته بل امتد لغيرهم، ولم يكن في السماء فقط بين ملائكة الله وخالقهم بل في عباد الله في أرضه وبنحو عجيب!

وكأنّ أهل فارس جمعوا كل محبتهم وولايتهم للمعصومين الأربعة عشر، فأفرغوها على إمام ومعصوم حل بينهم ذات يوم غريبًا، فإذا بمكان غربته يصبح دولة كاملة! اسمها (آستان قدس رضوي) أو العتبة الرضوية المقدسة تضم ما يقارب ربع مليون شخص مرتبط بهذه الدولة[1]، وتتمدد موقوفاتها على ثماني محافظات (تعود مواردها لثامن الأئمة) وهي من أهم وأغنى محافظات إيران وهي: محافظة خراسان، وطهران وأصفهان وشيراز وآذربايجان وقزوين ومازندران وكرمان[2].

(1) حسب الإحصاءات بلغ عدد العاملين المرتبطين بالمؤسسة (آستان قدس رضوي) وشركاتها حتى عام 2021 نحو 210 آلاف شخص.

(2) راجع موقع العتبة الرضوية المقدسة على الإنترنت.

تحتوي هذه الموقوفات على البساتين المثمرة المترامية الأطراف والتي تحسب بالكيلومترات لا بالأمتار، ومجمعات الأسواق الكبرى والمصانع المختلفة (للمواد الغذائية والنسيج والجلود وغيرها) والمستشفيات المتقدمة وعالية التخصص والمدارس...، وهكذا. ألم أقل لكم هي دولة كاملة؟

هناك تجد التاريخ يتكلم في متاحفه المتعددة التي تتبع المشهد الشريف، وتجد الدراسات القرآنية في جامعة القرآن المرتبطة بالعتبة المقدسة، وتجد آراء المذاهب المختلفة في جامعة الأديان والمذاهب، وأما المكتبة التابعة فهي العجب حيث يندر أن تجد على مقاسها، إذ اجتمعت هذه الكتب منذ مئات السنين، وكما رأى بعضهم أن بعض كتبها الموقوفة كالقرآن الكريم وغيره يؤرخ بحسب وقفيته منذ عام 390 هـ يعني قبل ما يزيد عن عشرة قرون! ولهذه الكتب ـ وهي كثيرة جدًّا ـ من القيمة المعنوية والمادية ما لا يصل له العد والوصف.

تلتف هذه المليون متر مربع بشكل يشبه الحلقة الدائرة على قبر الإمام عليه السلام في خمسة صحون[1]، يُقام في كل صحن منها غالبًا

(1) الصحن: مساحة واسعة من البناء الجميل المكسو بالرخام في أرضه وبالقاشاني في أطرافه وغير المسقوف في أعلاه، أضلاعه الأربعة تشكلها غرف أو ممرات إلى صحون أخرى أو أروقة داخلية.

صلوات الجماعة ومنابر التثقيف وحلقات العلم أو يجتمع فيها الزوار للقبر الشريف. تنفذ هذه الصحون الخمسة إلى خمسة عشر رواقا أصغر منها وتكون تلك الأروقة الفناء الداخلي المحيط بقبر الإمام ﷺ، ولكل صحن من هذه الصحون ورواق من تلك الأروقة اسم خاص به. لكي تتمكن كلها من استيعاب وخدمة ما بين (12 إلى 20 مليون) زائر سنويًا.

اثنا عشر مليونًا في الحد الأدنى وعشرون مليونًا في الحد الأعلى، ما يعني في كل يوم ثلاثة وثلاثين ألف زائر في أدنى الأرقام وخمسة وخمسين ألفًا في أعلى الأرقام، كل واحد منهم يحمل من المحبة والولاء لهذا الإمام ما ينافس به الآخر ويتقدم ليسبق الآلاف الأخرى ملتزمًا شباك الضريح منجذبًا إليه، هاتفًا: «السَّلامُ عَلَيْكَ يا وَلِيَّ اللَّهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا حُجَّةَ اللَّهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا نُورَ اللَّهِ في ظُلُماتِ الْأَرْضِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا عَمُودَ الدّينِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا وارِثَ آدَمَ صَفْوَةِ اللَّهِ...» وهكذا يعدد وراثته لأنبياء الله ورسله في علومهم وأدوار تبليغهم وإرشادهم، إلى أن تنتهي من الأنبياء والرسل يشير إلى وراثته للأوصياء والمعصومين السابقين عليه.

وإذا كان من ذكر لأعداء الإمام؛ فليذكرهم بمواقفهم قائلًا: «اللهم العن الذين بدلوا نعمتك، واتهموا نبيك، وجحدوا آياتك

[وسخروا بإمامك]، وحملوا الناس على أكتاف آل محمد عليهم السلام. اللهم إني أتقرب إليك باللعنة عليهم وبالبراءة منهم في الدنيا والآخرة يا أرحم الراحمين».

في بعض المناسبات كذكرى شهادته وولادته عليه السلام، أو مناسبات آبائه المعصومين، أو ليالي شهر رمضان ولا سيما ليالي شهادة الإمام أمير المؤمنين وليالي القدر تمتلئ هذه المساحة المليونية بالناس إلى حد أنك تتعثر لو غفلت قليلًا بداع أو مناجية أو تال للقرآن أو باكٍ من خوف ربه.

وأما إذا قال الداعي المناجي ذو الصوت العذب في مكبرات الصوت الكثيرة، وفي كل الصحون في ليالي القدر وردد مئة ألف من الزوار وراءه: إلهي العفو.. إلهي العفو.. إلهي العفو! فذاك من الأمور التي لا يمكن وصفها بالكلمات! بل لا بدَّ من الكون في جوها والاستماع إلى ضجيج الناس خلفه، ليقشعر كل مليلمتر في بدنك! وترى يديك تحتضن وجهك الباكي بافتجاع!

رزقنا الله وإياكم أيها الأعزاء والعزيزات في الدنيا زيارته وفي الآخرة شفاعته، وشفاعة آبائه وأبنائه إنه على كل شيء قدير.

ملحق في ذكر بعض أصحاب الإمام الرضا عليه السلام

1/ أبو الصلت محمد بن عبد السلام بن صالح الهروي: (160 - 236 هـ)

قد ذكروا أن ولادته كانت في المدينة المنورة، ورحل في شبابه إلى مناطق مختلفة كالبصرة والكوفة واليمن لطلب العلم، وقدم إلى مرو للغزو كما قيل، والتقى بالإمام الرضا عليه السلام حين استقدم إليها من المدينة، فالتحق والتصق به.

وبتتبع أحاديثه التي أوردها الشيخ الصدوق في (عيون أخبار الرضا) وكانت بحسب الفرض في زمن وجود الإمام الرضا عليه السلام في خراسان، وهي أقل من سنتين، يتبين منها شدة ملاصقته للإمام عليه السلام، وقابليته لتحمل المعاني والمعارف التي لا يتحملها غيره، فلو استعرضنا بعض عناوينها لوجدنا فيها؛ أحاديث في العقائد ترتبط بالتوحيد والنبوة والإمامة، ووجدنا فيها أحاديث في الفقه والشريعة، وأخرى في الأخلاق والتهذيب، ومنها ما يرتبط بتفسير أحاديث آبائه أو أحاديثه، ومنها ما يرتبط بعلاقة المأمون

بالإمام الرضا وحقيقة تلك العلاقة، وهل كانت صادقة أو كانت ماكرة وخادعة؟

فمن تلك التي تصنف في العقائد: أسئلته للإمام الرضا (وسؤال الشخص ترجمان عقله) فقد سأله قائلًا: يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما تقول في الحديث الذي يرويه أهل الحديث: إن المؤمنين يزورون ربهم في منازلهم في الجنة؟ وقد أجابه الإمام عليه بما تقدم بيانه في صفحات سابقة.

وكذلك سؤاله إياه عن معنى الخبر الذي رووه: إن ثواب لا إله إلا الله النظر إلى وجه الله تعالى! وهذا يشير أيضًا إلى اطلاعه على روايات المدرسة الأخرى، لا سيما وهو مختلط بهم.

وسؤاله الإمام عن الجنة والنار أهما اليوم مخلوقتان؟ وجواب الإمام له.

ويصعب في هذه العجالة تتبع كل الروايات التي رواها عن الإمام عليه السلام، فهي تحتاج إلى كتاب خاص[1]، ويظهر أن الغالب في رواياته هو في باب العقائد أكثر مما هو في الأبواب الفقهية. وقد ذكرنا فيما مضى من المواضيع بعض أحاديثه التي رواها مثل ما رواه عن الإمام الرضا في تنزيه الأنبياء وتفسير ما ظاهره

(1) لمن أراد التفصيل في ذلك فليرجع لكتاب الشيخ أحمد حسين العبيدان: أبو الصلت المؤمن الجلد والثقة المأمون: سيرته ومسنده. وقد أورد فيه نحو مئة حديث (من غير المكرر) في أبواب شتى.

نسبة المعصية لهم. وهكذا ذكره لفضائل النبي المصطفى وأهل بيته وتقدمه على الأنبياء والمرسلين وعلى جميع الملائكة، وفي الحديث عن ارتباط دخول الجنة بولاية أمير المؤمنين والتصديق بالأئمة المعصومين، وأنه قسيم الجنة والنار، وأنه باب مدينة علم رسول الله وأنه مع الحق والحق معه، وأن الدخول في حصن الله وولايته مشروط بولايتهم وإمامتهم كما هو مفاد حديث: لا إله إلا الله حصني ومن دخل حصني أمن من عذابي، بشروطها وهم عليهم السلام شروطها والرضا عليٌّ أحد تلك الشروط.

وإذا كانت هذه رواياته في جانب الولاية، ففي الجانب الآخر وهو البراءة واجتناب خطوط الضلال، فلم يقصر في نقل الروايات، فقد سأل الإمام عليه السلام، عن معنى ما روي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «من تعلم علمًا ليماري به السفهاء أو يباهي العلماء أو ليقبل بوجوه الناس إليه فهو في النار فقال عليه السلام: صدق جدي عليه السلام: أفتدري مَن السفهاء؟ هم قصاص مخالفينا! أو تدري من العلماء؟ هم علماء آل محمد عليهم السلام الذين فرض الله طاعتهم وأوجب مودتهم، ثم قال: أو تدري ما معنى قوله: أو ليقبل بوجوه الناس إليه؟ يعني بذلك ادعاء الإمامة بغير حقها ومن فعل ذلك فهو النار»[1].

(1) الصدوق: عيون أخبار الرضا 1/ 275.

وكان من أهم صفاته؛ اطلاعه على العلاقة الحقيقية بين المأمون والإمام الرضا وتشخيصه للموقف بشكل دقيق؛ ولهذا فقد روى عن الإمام الرضا أحاديث كثيرة يشير فيها أنه قد أجبر على قبول ولاية العهد ولم يكن المأمون صادقا في تسليمه إياها، وأن المأمون قد هدد الإمام عليه السلام بالقتل إن لم يقبل، وقد مرَّ فيما سبق من الصفحات تفصيل ذلك وأكثره مروي عنه.

بل كان فهمه واضحًا ومستوعبًا لطبيعة تلك العلاقة، ويظهر هذا من جوابه المفصل والدقيق لمن سأله: كيف طابت نفس المأمون بقتل الرضا مع إكرامه ومحبته له وما جعل له من ولاية العهد؟. وقد مرَّ تفصيله في صفحات سابقة.

وترك من المؤلفات كتابًا عن (وفاة الإمام الرضا) عليه السلام.

من الواضح أن اختلاطه بالوضع العام لمّا كان من أصحاب الإمام الرضا ومرافقيه في بعض أحواله وانتقالاته فقد مكّنه من الاطلاع الواسع على القضايا. ويشهد لذلك رواياته المباشرة عن الإمام عليه السلام، في المسائل المختلفة العقائدية وغيرها، بل حتى في الأمور التي ترتبط بعلاقته بالمأمون. إلى اليوم الأخير الذي تم فيه تسميم الإمام.

كذلك يظهر أنه كان على درجة عالية من الذكاء بحيث كان مع

تشيعه الشديد وإيمانه المطلق بإمامة الأئمة المعصومين إلا أنه لم يكن يعبر عن ذلك بصورة تفصله عن سائر العلماء والمذاهب الأخرى، ولذلك شكك بعضهم في تشيعه ونسبه إلى التسنن، حتى أنه نقل عن بعضهم[1] أنه يقول بتقديم أبي بكر وأنه يذكر الصحابة بالجميل (وهو مسلك مدرسة الخلفاء).

إن الناظر للروايات المائة التي رواها في مختلف الأبواب تشير بما لا يقبل الشك إلى أنه من خواص الشيعة الإمامية ومن كبار علمائهم الذين ائتمنهم الإمام الرضا على المعارف الخاصة التي قد لا يتحملها غيرهم.

ونعتقد أنه لهذا السبب أصر بعض رجاليي مدرسة الخلفاء على تضعيفه وعدم توثيقه، فإن توثيقه يحرجهم في كثير من الروايات التي ذكرنا بعض عناوينها في السطور السابقة، مع اعترافهم بعلمه واتساع معارفه، فها هو الذهبي يقول واصفًا إياه بأنه: «الشَّيْخُ، العالِمُ، العابِدُ، شَيْخُ الشِّيعَةِ، أَبُو الصَّلْتِ عَبْدُ السَّلاَم بنُ صالِحٍ الهَرَوِيُّ، ثُمَّ النَّيْسابُورِيُّ، مَوْلى قُرَيْشٍ، لَهُ فَضلٌ وجَلاَلَةٌ» ثم يعقب على ذلك بالقول: «فَيا لَيْتَهَ ثِقَةٌ»[2]!.

(1) نقل الذهبي في (سير أعلام النبلاء) عن ابن سَيّارٍ قوله فيه: ناظَرْتُهُ لأستَخْرِجَه، فَلَمْ أرَهُ يَغْلُو، ورَأيْتُهُ يُقَدِّمُ أبا بَكْرٍ، ولاَ يَذكُرُ الصَّحابَةَ إلاَّ بِالجَمِيلِ.

(2) الذهبي؛ شمس الدين: سير أعلام النبلاء 11/ 446.

وفي موضع آخر قال: «اتهمه بالكذب غير واحد، قال أبو زرعة: لم يكن بثقة، وقال ابن عدي: متهم، وقال غيره: رافضي»[1].

ومن الملاحظ أن التوثيق والتضعيف على أساس مذهبي لا يتلاءم مع النزاهة العلمية، فإن للتوثيق والتضعيف مناشئ يكون على ضوئها ذلك، لكن الاتجاه الأموي في الحديث والرجال[2] جعل المسارعة إلى تضعيف الرواة (الشيعة خصوصًا) هو القاعدة وعلامة الدفاع عن أهل السُّنَّة والجماعة كما قالوا.

إن بعض هؤلاء لا يكتم الأمر فها هو ابن عدي الجرجاني يعلق على روايته في فضل فاطمة ما عن «ابْنِ عَبّاسٍ قالَ: قالَتْ فاطِمَةُ: يا رَسُولَ الله زَوَّجْتَنِي عائِلًا لا مالَ لَهُ؟ فَقالَ: أما تَرْضَيْنَ أنَّ اللَهَ اطَّلَعَ إلى أهْلِ الأرْضِ فاخْتارَ مِنهُمْ رَجُلَيْنِ فَجَعَلَ أحَدَهُما أباكِ والآخَرَ بَعْلَكِ».

يعلق على ذلك بقوله: «ولعبد السلام هذا عن عَبد الرَّزّاق أحاديث مناكير فِي فضائل عليّ وفاطمة والحسن، والحُسَين، وهو متهم فِي هذه الأحاديث ويروي عن علي بن موسى الرضا حديث

(1) الذهبي؛ شمس الدين: ديوان الضعفاء 1/ 249.
(2) ذكرنا شيئًا عنه في سلسلة (سنة النبي) صلى الله عليه وآله وسلم.

الإيمان معرفة بالقلب، وهو متهم فِي هذه الأحاديث»[1]، وأسوأ منه مقالة الجوزجاني المتعصب فيه.

4 ـ رأي الإمامية فيه يعبر عنه الشيخ النجاشي رحمه الله بقوله: «عبد السلام بن صالح أبو الصلت الهروي، روى عن الرضا عليه السلام، ثقة، صحيح الحديث، له كتاب وفاة الرضا»[2].

ويؤكده المرحوم الإمام الخوئي بقوله: «إن عبد السلام بن صالح أبا الصلت لا إشكال في وثاقته، ولعلها من المتسالم عليه بين المؤالف والمخالف، ولم يضعفه إلا الشاذ من العامة...»[3]، ثم أشار إلى ما ذكره شيخ الطائفة عنه من كونه عاميًا، في بعض نسخ رجال الشيخ، دون بعضها الآخر، فقال إنه سهو من قلمه الشريف.

2/ أبو علي دعبل بن علي الخزاعي 148 - 244 هـ

يذكر المؤرخون أنه قد ولد في الكوفة، وقضى شبابه فيها، ثم انتقل إلى بغداد وأقام فيها. ويكاد يتفق الجميع على شاعريته الكبيرة، حتى إنه فاق ـ كما نقل عن البحتري ـ، أستاذه مسلم بن الوليد الأنصاري الذي كان سيد شعراء زمانه أيام هارون

(1) ابن عدي: الكامل في ضعفاء الرجال 5/ 332.
(2) النجاشي؛ أبو العباس أحمد: فهرست أسماء مصنفي الشيعة (رجال النجاشي) 246.
(3) معجم رجال الحديث 11: 19.

والمأمون، كما يتفقون على تشيعه العميق في محبتهم والعنيف على أعدائهم. ولم يكتم ذلك حتى عرف عنه أنه يحمل خشبته على ظهره، ينتظر صلبه عليها ثمنًا لمواقفه في ولاء آل محمد والبراءة من الظالمين أعدائهم.

وقد فهم بعض المؤرخين والرجاليين ذلك الموقف بشكل خاطئ فحملوه على الهجاء، ووصفوه بأنه سبّاب[1]. ولا ريب أن عبَدة السلاطين لا يمكن أن يفهموا الموقف من الظلم إلا على أنه سباب، ولن يفهموا منه أنه موقف يندرج في مصاديق النهي عن المنكر والفساد!

كان يراد تصويره في وعي المسلمين كالحطيئة الذي كان مشغولًا بالهجاء لعامة الناس، يتكسب بذلك ويخيف من لا يعطيه المال، أو في بعض الحالات يعبر عن إحباطاته ونظرته السوداوية للحياة. فليكن دعبل الخزاعي هكذا، لكنّ الشمس لا يمكن أن تُغطَّى بغربال، فإنه لم ينشغل بهجاء أو سباب الناس وإنما كان لسانه سيفًا مسلَّطًا على الخلفاء الظالمين والولاة الفاسدين. «وكذلك كان أبو علي دعبل بن علي الخزاعي يهجو الملوك والخلفاء ولا يكاد يعرض لشاعر إلا ضرورة»[2].

(1) قال عنه ابن حجر العسقلاني في لسان الميزان 3/ 419: «دعبل بن علي الخزاعي الشاعر المفلق [أبو علي] رافضي بغيض سباب».

(2) الآمدي؛ أبو القاسم: الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري 1/ 13.

ولم يكن هذا بِدْعا في حياته، وإنما ورثه عن أسرة عرفت في تاريخها بشدة نصرتها لآل محمد وتفانيها في الدفاع عنهم، وهي خزاعة، ومع أنهم ذكروا أن هارون الرشيد عندما سمع شعره ولا سيما قوله:

لا تعجبي يا سلمُ من رجل ضحك الزمان برأسه فبكى

استقدمه وحاول أن يغدق عليه من المال حتى يكون لسان دعبل وشعره أحد سيوف هارون؛ إلا أن دعبلًا لم يكن من باعة الدين، فانفصل عنه سريعًا، ولم يمنعه ذلك في أن يقول راثيًا أهل بيت النبي وذامًّا الأسرة العباسية وفي طليعتها هارون على ظلمهم.

وليس حيّ من الأحياء نعلمه
من ذي يمان ومن بكر ومن مضر
إلَّا وهم شركاء في دمائهم
كما تشارك أيسار على جزر
قتل وأسر وتحريق ومنهبة
فعل الغزاة بأرض الروم والخزر
أرى أمية معذورين إن قتلوا
ولا أرى لبني العباس من عذر
أربع بطوس على القبر الزكي إذا
ما كنت تربع من دين على وطر

قبـران فـي طـوس خيـر النـاس كلَّهـم
وقبـر شـرّهم هـذا مـن العبـر
مـا ينفـع الرّجـس مـن قـرب الزكـيّ ولا
علـى الزكـيّ بقـرب الرجـس مـن ضـرر
هيهـات كلّ امـرئ رهـن بمـا كسـبت
لـه يـداه فخـذ مـا شـئت أو فـذر [1]

وعندما جاء المأمون لم يسلم منه إلا بمقدار ما كان يظهر الاحترام لأهل البيت والإمام الرضا عليه السلام على وجه الخصوص، ومع ذلك قال له ـ فيما يشبه التهديد ـ:

أيسـومني المأمـون خطـة عاجـز
أو مـا رأى بالأمـس رأس محمـد
إنـي مـن القـوم الذيـن سـيوفهم
قتلـت أخـاك وشـرفتك بمقعـد
رفعـوا محلـك بعـد طـول خمولـه
واسـتنقذوك مـن الحضيـض الأوهـد

وأما المعتصم العباسي والذي لم يكن يملك أي كفاءة في الخلافة سوى أنه من نطفة أبيه! فلا علاقة له بالعلم ولا المعرفة

(1) الأصفهاني؛ أبي الفرج: الأغاني20/ 127.

ولا إدارة البلاد، فقد سلط عليه دعبل لواذع شعره وجاء بما بقي بعده عنوانًا سيئًا له، فقال:

وقام إمام لم يكن ذا هداية
فليس له دين وليس له لبّ
وما كانت الانباء تأتي بمثله
يملّك يومًا أو تدين له العرب
ولكن كما قال الذين تتابعوا
من السلف الماضين إذ عظم الخطب
ملوك بني العباس في الكتب سبعة
ولم تأتنا عن ثامن لهم كتب
كذلك أهل الكهف في الكهف سبعة
خيار إذا عدوّا وثامنهم كلب
وإني لأعلي كلبهم عنك رفعة
لأنك ذو ذنب وليس له ذنب
لقد ضاع ملك الناس إذ ساس ملكهم
وصيف واشناس وقد عظم الكرب[1]

وكما اختفى من المعتصم الذي أمر باغتياله، فقد هرب من

(1) شبر؛ جواد: أدب الطف أو شعراء الحسين 1/ 303

المتوكل أيضًا واختفى! ولقد كان يقول قصائده تلك في مدح أهل البيت وهجاء أعدائهم ويعلم ما الذي ينتظره وما هو الثمن الذي سيدفعه! أليس هذا هو حال المؤمنين الصادقين؟

وبطبيعة الحال فإن مثل هذه المواقف التي تبقى ـ كما هي باقية الآن ـ بين الناس لن تجلب عليه إلا الدعايات المضادة من قبل أنصار الخلافة والخلفاء، حتى أنه اتُّهِم بشتم صفية بنت عبد المطلب! وأراد القاضي محاكمته على ذلك؛ الأمر الذي جعله يسخر منه قائلًا: سخنت عينك! أمن دين الرافضة شتم صفية بنت عبد المطلب؟

ولا تزال الصورة التي أراد أتباع الخلفاء إبقاءها عنه هي صورة الشخص السبّاب الهجّاء المشاغب! لكي تختفي صورة المقاوم الرسالي والصادع بالحق أمام الزيف، وصورة أبي ذر الغفاري في زمانه!

أربعون سنة (كما قال هو) يحمل على ظهره خشبة صلبه، ثمناً لمواقفه، وعمر طويلًا ـ في تصديق لقول أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام: «وإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقربان من أجل ولا ينقصان من رزق، وأفضل من ذلك كله كلمة عدل عند إمام جائر»[1].

(1) الري شهري؛ محمد: ميزان الحكمة 1/ 1325.

وبمقدار ما تجده يتدفق غضبًا ويلتهب اشتعالًا على الظالمين، ففي المقابل تجده حين يذكر أهل البيت عليهم السلام يذيب قلبه أسى على مصائبهم، ويخفض جناح طاعته لأوامرهم فها هو حين ينعى الإمام الحسين عليه السلام يقول:

رأس ابن بنت محمد ووصيه
يا للرجال على قناة يرفع
والمسلمون بمنظر وبمسمع
لا جازع من ذا ولا متخشع
أيقظت أجفانًا وكنت لها كرى
وأَنَمتَ عينًا لم تكن بك تهجع
كحلت بمنظرك العيون عماية
وأَصَمَّ نعيك كل أُذنٍ تسمع
ما روضة إلا تمنت أنها
لك مضجع ولخط قبرك موضع (1)

وإذا كان الخلفاء يستقدمونه ويحاولون أن يكرموه حتى يمدحهم، فلا يفعل فإنه يبادر من نفسه للقاء الإمام الرضا عليه السلام، ويقول له: يا بن رسول الله إني قد قلت فيك قصيدة وآليت على نفسي أن لا أنشدها أحدًا قبلك فقال عليه السلام: هاتها؛ فأنشده:

(1) شبر؛ جواد: أدب الطف أو شعراء الحسين 1/ 305.

مـدارس آيـات خلت من تلاوة ومـنـزل وحـي مقفر العرصات

فلما بلغ إلى قوله:

أرى فيئهم في غيرهم متقسمًا وأيـديـهـم مـن فيئهم صفرات

بكى أبو الحسن الرضا عليه السلام وقال له: صدقت يا خزاعي، فلما بلغ إلى قوله:

إذا وتـروا مـدوا إلـى واتريهم أَكُـفًّـا عـن الأوتـار منقبضات

جعل أبو الحسن عليه السلام يقلب كفيه ويقول: أجل والله منقبضات! فلما بلغ إلى قوله:

لقد خفت في الدنيا وأيام سعيها وإنـي لأرجـو الأمـن بعد وفاتي

قال الرضا عليه السلام: آمنك الله يوم الفزع الأكبر؛ فلما انتهى إلى قوله:

وقـبـر بـبـغـداد لـنـفـس زكـيـة تضمنها الرحمن في الغرفات

قال له الرضا عليه السلام: أفلا ألحق لك بهذا الموضع بيتين بهما تمام قصيدتك؟ فقال: بلى يا بن رسول الله، فقال عليه السلام:

وقبر بطوس يا لها من مصيبة توقد في الأحشاء بالحرقات
إلى الحشر حتى يبعث اللَّه قائمًا يـفـرج عـنـا الـهـم والـكـربـات

فقال دعبل: يا بن رسول الله هذا القبر الذي بطوس قبر من هو؟

فقال الرضا عليه السلام: قبري، ولا تنقضي الأيام والليالي حتى تصير طوس مختلف شيعتي وزواري؛ ألا فمن زارني في غربتي بطوس كان معي في درجتي يوم القيامة مغفورًا له. ثم نهض الرضا عليه السلام بعد فراغ دعبل من إنشاد القصيدة وأمره ألّا يبرح من موضعه، فدخل الدار فلما كان بعد ساعة خرج الخادم إليه بمئة دينار رضوية، فقال له: يقول لك مولاي اجعلها في نفقتك!

فقال دعبل: والله ما لهذا جئت ولا قلت هذه القصيدة طمعًا في شيء يصل إلي، وردّ الصرة وسأل ثوبًا من ثياب الرضا عليه السلام ليتبرك ويتشرف به فأنفذ إليه الرضا عليه السلام جبة خز مع الصرة، وقال للخادم: قل له خذ هذه الصرة فإنك ستحتاج إليها ولا تراجعني فيها؛ فأخذ دعبل الصرة والجبة[1]...، الحديث.

استمر على مواقفه الصادقة في ولاء آل محمد كما استمروا على عداوتهم القديمة لآل محمد ولمن يواليهم، وقد نال كل من الطرفين ما ينتظره، فدعبل نال القربى والزلفى منهم، والشهادة فيما بعد مقتولًا على يد أعداء الله وأعداء أوليائه الذين نالوا ما أرادوا من إسكات صوت معلن بالفلاح وخير العمل بولاء أهل البيت، فكانت نهاية دعبل كنهايات ساداته شهادة وقتلًا في سبيل

(1) الصدوق: عيون أخبار الرضا 2/ 295.

الله. فقد دس إليه أحد ولاة العباسيين من يغتاله، فضربه بعكاز مسموم وقد خرج من المسجد بعد صلاة العشاء، فكانت فيها منيته وقد بلغ من العمر نحو 98 سنة.

رحمه الله وأخزى قاتليه الظالمين.

ولكونها من القصائد الخالدات، حتى إنه لا يذكر دعبل إلا ويذكر بها، فقد آثرنا ذكر قسم من أبياتها المئة والعشرين، ترحمًا على منشئها وتخليدًا لهذه المعاني العظيمة التي تشتمل عليها:

بكيت لرسم الدار من عرفات
وأذريت دمع العين بالعبرات
وفك عرى صبري وهاجت صبابتي
رسوم ديار قد عفت وعرات
مدارس آيات خلت من تلاوة
ومنزل وحي مقفر العرصات
لآل رسول الله بالخيف من منى
وبالبيت والتعريف والجمرات
ديار علي والحسين وجعفر
وحمزة والسجاد ذي الثفنات
وسبطي رسول اللَّه وابني وصيه
ووارث علم اللَّه والحسنات

منـازل وحـي اللَّـه ينـزل بينهـا
علـى أحمـد المذكـور فـي السـورات
منـازل كانـت للصـلاة والتقـى
وللصـوم والتطهيـر والحسـنات
ديـار عفاهـا جـور كل منابـذ
ولـم تعـف للأيـام والسـنوات
فيـا وارثـي علـم النبـي وآلـه
عليكـم سـلام دائـم النغمـات
لقـد أمنـت نفسـي بكـم فـي حياتهـا
وإنـي لأرجـو الأمـن بعـد وفاتـي

* * *

سـقى اللَّـه قبـرًا بالمدينـة غيثـه
فقـد حـل فيـه الأمـن بالبـركات
نبـي الهـدى صلـى عليـه مليكـه
وبلـغ عنـا روحـه التحفـات
وصلـى عليـه اللَّـه مـا ذر شـارق
ولاحـت نجـوم الليـل مبتـدرات
أفاطـم لـو خلـت الحسـين مجـدلًا
وقـد مـات عطشـانًا بشـط فـرات

إذا للطمت الخد فاطم عنده
وأجريت دمع العين في الوجنات
أفاطم قومي يا بْنةَ الخير واندبي
نجوم سماوات بأرض فلات
قبور بكوفان وأخرى بطيبة
وأخرى بفخ نالها صلواتي
وقبر ببغداد لنفس زكية
تضمنها الرحمن في الغرفات

فقال له الرضا عليه السلام: أفلا ألحق لك ببيتين بهذا الموضع بهما تمام قصيدتك؟!

قال دعبل: بلى يا ابن رسول الله، فقال الرضا عليه السلام:

وقبر بطوس يالها من مصيبة ألحت على الأحشاء بالزفرات
إلى الحشر حتى يبعث اللَّه قائمًا يفرّج عنا الغم والكربات

فقال دعبل: هذا القبر الذي بطوس قبر من؟

فقال الرضا عليه السلام:هو قبري..

وأكمل دعبل:

فأما الممضات التي لست بالغًا مبالغها مني بكنه صفات

قبور بجنب النهر من أرض كربلا معرسهم فيها بشط فرات
توفوا عطاشى بالفرات فليتني توفيت فيهم قبل حين وفاتي
نبذت إليهم بالمودة صادقًا وسلمت نفسي طائعًا لولاتي
فيارب زدني في هواي بصيرة وزد حبهم يارب في حسناتي
لقد خفت في الدنيا وأيام سعيها وإني لأرجو الأمن بعد وفاتي

* * *

ألم تر أني مذ ثلاثين حجة أروح وأغدو دائم الحسرات
أرى فيأهم في غيرهم متقسمًا وأيديهم من فيئهم صفرات
فكيف أداوي من جوى بي والجوى أمية أهل الفسق والتبعات
ديار رسول الله أصبحن بلقعًا وآل زياد تسكن الحجرات
وآل رسول اللَّه تسبى حريمهم وآل زياد ربة الحجلات
وآل رسول اللَّه تدمى نحورهم وآل زياد آمنوا السربات
إذا وتروا مدوا إلى واتريهم أكفًا من الأوتار منقبضات

* * *

فلولا الذي أرجوه في اليوم أو غد تقطع نفسي أثرهم حسراتي
خروج إمام لا محالة خارج يقوم على اسم اللَّه والبركات
يميز فينا كل حق وباطل ويجزي على النعماء والنقمات
فيا نفس طيبي ثم يا نفس أبشري فغير بعيد كل ما هو آت
ولا تجزعي من مدة الجور إنني أرى قوتي قد آذنت بثبات

فإن قرب الرحمن من تلك مدتي وأخّـر من عمري ووقـت وفاتي
شفيت ولـم أتـرك لنفسي غصة ورويــت منهم منصلي وقناتي
فإني من الرحمن أرجو بحبهم حياة لــدى الــفــردوس غـيـر تـبـات

* * *

المصادر

بعد القرآن الكريم

أكثر المصادر التي اُعتمدت هي نسخ إلكترونية على مواقع أو تطبيقات، والاعتماد الأساس كان على مكتبة أهل البيت ـ الموقع الإلكتروني ـ وبعض كتب مدرسة الخلفاء تمَّ الاعتماد على تطبيق تراث.

- الإربلي؛ علي بن أبي الفتح كشف الغمة في معرفة الأئمة، دار الأضواء ـ بيروت 1405 ـ 1985 م.
- آل سيف؛ فوزي: كاظم الغيظ الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، دار المحجة البيضاء ـ بيروت 1443هـ.
- الأصفهاني: أبو الفرج: الأغاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الآمدي؛ أبو القاسم الحسن بن بشر: الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، دار المعارف ـ الطبعة الرابعة.
- الأندلسي؛ القرطبي علي بن أحمد بن سعيد بن حزم: رسائل ابن حزم، ت: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت.

- البار؛ محمد علي: الإمام علي الرضا ورسالته في الطب النبوي، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان.
- بامخرمة الهجراني؛ الطيب بن عبد الله بن أحمد: قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، دار المنهاج.
- البحراني الأصفهاني؛ الشيخ عبد الله: عوالم العلوم (الإمام الرضا عليه السلام)، منشورات مدرسة الإمام المهدي عليه السلام قم 1409.
- البستي؛ محمد بن حبان بن أحمد: المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، ت محمود إبراهيم زايد.
- البيهقي؛ ظهير الدين علي بن زيد: تاريخ بيهق، دار اقرأ للطباعة والنشر والتوزيع - دمشق، 1425 هـ.
- التستري؛ الشيخ محمد تقي: الأخبار الدخيلة الأخبار الدخيلة، ت علي أكبر الغفاري، طهران، مكتبة الصدوق.
- الجرجاني؛ عبد الله بن عدي ابن عدي: الكامل في ضعفاء الرجال، ت سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
- الجعفي؛ المفضل بن عمر: كتاب الاهليلجة المنسوب للإمام الصادق ت قيس العطار، نشر دليل ما، قم.
- الجوزي؛ سبط بن: تذكرة الخواص، منشورات الشريف الرضي - قم 1418.

- الجوزي؛ سبط بن: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، دار الرسالة العالمية، دمشق ـ سوريا.
- الحراني؛ الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة: تحف العقول عن آل الرسول، مؤسسة النشر الإسلامي (التابعة) لجماعة المدرسين بقم 1404.
- الحكيم؛ السيد محمد سعيد: في رحاب العقيدة، دار الهلال، النجف، 1425.
- الخوئي؛ السيد أبو القاسم الموسوي: معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، مركز نشر الثقافة الإسلامية قم إيران.
- الديلمي؛ الحسن بن محمد: إرشاد القلوب، انتشارات الشريف الرضي، قم، 1415.
- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز: سير أعلام النبلاء، ت شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، 1405.
- الذهبي؛ محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز: ديوان الضعفاء والمتروكين، ت حماد بن محمد الأنصاري، مكتبة النهضة الحديثة، مكة السعودية.
- الراوندي؛ قطب الدين: الخرائج والجرائح، تحقيق ونشر مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدسة.
- الري شهري؛ محمد: ميزان الحكمة، دار الحديث، قم ـ إيران.

- شبر؛ جواد: أدب الطف أو شعراء الحسين، دار المرتضى، بيروت، 1409.
- السعيد؛ خالد: أشهر الاغتيالات في الإسلام، نسخة إلكترونية على الإنترنت.
- الشيباني؛ أحمد بن محمد بن حنبل: مسند الإمام أحمد بن حنبل، ت شعيب الارناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان .
- تاريخ الخلفاء للسيوطي.
- الصدوق؛ محمد بن علي بن بابويه: الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية ـ مؤسسة البعثة ـ قم.
- الصدوق؛ محمد بن علي بن بابويه: التوحيد، ت السيد هاشم الحسيني الطهراني منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة.
- الصدوق؛ محمد بن علي بن بابويه: الخصال، ت علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية قم إيران.
- الصدوق؛ محمد بن علي بن بابويه: عيون أخبار الرضا عليه السلام، ت الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان.
- الطبرسي؛ أحمد بن علي الاحتجاج، ت السيد محمد باقر الخرسان، دار النعمان للطباعة والنشر ـ النجف الأشرف، 1386 ـ 1966م.

- الطبرسي؛ الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن: إعلام الورى بأعلام الهدى، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم 1417.
- الطبري؛ محمد بن أبي القاسم: بشارة المصطفى صلى الله عليه وآله لشيعة المرتضى عليه السلام، ت جواد القيومي الأصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
- الطبري؛ أبو جعفر محمد بن جرير: تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، دار التراث ـ بيروت 1387.
- الطبري (الشيعي)؛ لمحمد بن جرير: دلائل الإمامة، ت قسم الدراسات الإسلامية ـ مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة قم 1413.
- الطوسي؛ محمد بن الحسن: اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي)، ت السيد مهدي الرجائي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم إيران 1404 هـ.
- الطوسي، محمد بن الحسن: تهذيب الأحكام، ت السيد حسن الموسوي الخرسان، دار الكتب الإسلامية طهران ـ 1390 هـ.
- الطوسي؛ الشيخ محمد بن الحسن: الغيبة، ت عباد الله الطهراني، مؤسسة المعارف الإسلامية ـ قم المقدسة 1411.
- العاملي؛ إثبات الهداة إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

- العاملي؛ محمد بن الحسن الحرّ: إثبات الهداة بالنّصوص والمعجزات، خرّج أحاديثه: علاء الدّين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان.
- العاملي؛ محمد بن الحسن الحر: وسائل الشيعة إلى تفصيل مسائل الشريعة (آل البيت) ت مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم.
- العاملي؛ السيد جعفر مرتضى: الحياة السياسية للإمام الرضا 1403.
- عبد المنعم؛ محمود عبد الرحمن: معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير ـ مصر.
- العسقلاني؛ أحمد بن علي ابن حجر: لسان الميزان، ت عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية.
- عطاردي؛ الشيخ عزيز الله: مسند الإمام الرضا: المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام 1406 هـ.
- الغازي؛ داود بن سليمان: مسند الرضا، ت السيد محمد جواد الجلالي، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي قم.
- فتح الله؛ أحمد: معجم ألفاظ الفقه الجعفري، مطابع المدوخل، الدمام، 1415 هـ.
- القرشي؛ باقر شريف: حياة الإمام الرضا، انتشارات سعيد بن جبير، قم.

- القرشي؛ باقر شريف: موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام، مؤسسة الإمام الحسن، النجف، 1433.
- القمي؛ الشيخ عباس في كتابه منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، إيران.
- القمي؛ علي بن بابويه: الإمامة والتبصرة، ت نشر مدرسة الإمام المهدي عليه السلام قم، إيران.
- الكليني؛ محمد بن يعقوب بن إسحاق: الكافي، تعليق علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، إيران.
- المازندراني؛ بن شهرآشوب؛ رشيد الدين محمد بن علي: المناقب، مؤسسه انتشارات علامة، قم.
- المجلسي؛ المولى محمد باقر: بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان 1403.
- المسعودي؛ علي بن الحسين: إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب، انصاريان، قم، 1426.
- المشهدي، محمد بن جعفر: المزار، ت جواد القيومي الأصفهاني نشر القيوم، قم، إيران 1419.
- المفيد؛ محمد بن محمد بن النعمان العكبري: الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، تحقيق مؤسسة آل البيت لتحقيق التراث، دار المفيد.

- المفيد؛ محمد بن النعمان العكبري: المزار، ت السيد محمد باقر الأبطحي، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1414.
- المقدسي، المطهر بن طاهر: البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد مصر.
- المناوي؛ محمد عبد الرؤوف: فيض القدير في شرح الجامع الصغير، ت أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الناصري؛ رياض محمد حبيب الواقفية، المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام، مشهد، إيران 1409.
- النجاشي؛ أحمد بن علي بن أحمد: فهرست اسماء مصنفي الشيعة (رجال النجاشي)، ت السيد موسى الشبيري الزنجاني، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، إيران.
- نجف؛ محمد مهدي: الجامع لرواة أصحاب الإمام الرضا، المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام، إيران، 1407.

مواقع إلكترونية:

http://www.islamquest.net/

شكر ودعاء

لأن كلمة «شكرًا» وحدها لا تكفي للإخوة والأخوات الذين ساهموا وساهمن في إنجاز هذا الكتاب، فإني أسأل الله سبحانه أن يكتبهم ويكتبهن وإياي في شفاعة عالم آل محمد الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام إنه على كل شيء قدير.

شكري ودعائي للإخوة الفضلاء: الشيخ جعفر البناوي، ود. الخميس، وخادم أهل البيت من فرنسا، وللأخوات الفاضلات تراتيل، عبير الزهراء، ليلى الشافعي.

الفهرس

المقدِّمة 5

الهوية الشخصية للإمام 11

الإمام الرضا من الميلاد إلى الاستشهاد 13

والدة الإمام الرضا 14

نص الإمام الكاظم على ابنه الرضا 15

تصديه للإمامة 19

تحدي الواقفية وإفساد الداخل الشيعي 26

دوافع التشكل 27

ويمكن الإجابة على هذه الشبهة بطرق متعددة 32

السفر للبصرة والكوفة 38

المدينة محور النشاط العلمي للإمام 41

استقدامه إلى خراسان وولاية العهد 44

عالم آل محمد 52

قرائن على الدور العلمي الاستثنائي لعالم آل محمد 56

1/ طول الفترة الزمنية 56

العدد الكبير للرواة والتلامذة 57

عدد الأحاديث ومواضيعها وخصوصياتها 58
إطلالة على بعض أحاديثه عليه السلام 61
التعامل الصحيح مع الأحاديث 63
عرض لبعض أحاديثه عن أبيه عن آبائه 78
1 ـ ما ورد في معرفة الله وتنزيهه عن الجسمانية 78
2 ـ هل الجنة والنار مخلوقتان؟ 79
3 ـ منزلة النبي المصطفى وعصمة الأنبياء 81
4 ـ ما ورد في ولاية أمير المؤمنين 86
5 ـ ومنها ما جاء في تخطئة الإمام الرضا عليه السلام المناهج الباطلة 87
6 ـ ومن ذلك ما يرتبط بالإيمان بعدد من القضايا الساخنة 89
7 ـ ومن ذلك أيضًا شرح لبعض المصطلحات الواردة في الأحاديث 91
8 ـ ومنها بعض القواعد التي بها يحل التعارض بين الروايات وهو
من أهم أبواب الفقه: والاستنباط فيه 94
9 ـ توضيحه تاريخ أمه فاطمة الزهراء عليها السلام وآبائه 94
كتبٌ ومؤلفاتٌ 99
الرسالة الذهبية 112
أهمية الرسالة الذهبية 118
هل نتعامل معها كما نتعامل مع أحاديث المعصومين؟ 119
المؤتمرات العلمية والاحتجاجات 122
هل اغتال المأمون العباسي الإمام الرضا عليه السلام بالسُّم؟ 126

هل في الشيعة من يرى موت الإمام بشكل طبيعي؟ 143
لماذا فعل المأمون ذلك؟ 146
الإمام الرضا والمأمون العباسي صراع السياستين 159
ولاية المأمون... والأزمات السياسية 161
ولاية العهد ومكائد المأمون 163
التدبير السياسي للإمام 167
زيارة الإمام الرضا عليه السلام 180
هل زيارة الرضا أفضل أو زيارة سائر المعصومين؟ 186
تأمل في نصوص الزيارات.. 190
كلمات المعصومين في الإمام الرضا عليه السلام وألقابه 193
من ألقاب الإمام الرضا عليه السلام 198
فمن المذكور في كلمات المعصومين عليهم السلام 198
ألقاب مشهورة من غير المعصومين 200
مشهد الإمام الرضا عليه السلام عالَمٌ من القدس والروحانية 208
ملحق في ذكر بعض أصحاب الإمام الرضا عليه السلام 215
1/ أبو الصلت محمد بن عبد السلام بن صالح الهروي: **(160 ـ 236هـ)** 215
2/ أبو علي دعبل بن علي الخزاعي **148 ـ 244 هـ** 221
المصادر 235
شكر ودعاء 243
الفهرس 245